

رواية

# مَعْبُرُ الْأَبْدَانِ

مريم توركان

اسم العمل: معد أَبَدُون

اسم الكاتبة: مريم توركان

نوع العمل: رواية

تدقيق لغوي: مريم توركان

تصميم الغلاف: مريم توركان

تنسيق داخلي: مريم توركان

## الإِهَادَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوْا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوْا لَكُمْ طَوْرَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ هَذِهِ  
وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"

صدقَ اللهُ العظيم.

الآية رقم 14 من سورة فاطر

## الإِهْدَاءُ الثَّانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا  
تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ" (175)

صدقَ اللهِ العظيم

سورة آل عمران.

## الفصل الأول

جلس الراوي وحوله الصبية، يسألونه إكمال ما ابتدأه من حديث، لكنه لم يستجب لهم، كرروا عليه حتى تهدأ ثم تابع: حسناً، ولكن ليس قبل أن تدعوني.

تساءل الصبية: وبماذا نعدك يا مولانا؟ ردَّ الشيخ بسمةٍ: أنْ تجعلوا الهدف من مرويّاتي لكم هو أخذ العبرة.

ردَّ الجميع بصوتٍ واحدٍ: هو ذاك يا مولانا.

الراوي: حسناً، حسناً.

بعد أن تزوج عابدين بأمنة ابنة الشيخ زكريا \_ عام ألف وتسعمائة وثمانية

وأربعين، تغيرت حالة للأفضل، فصار مصلياً، كثير الذكر لله رب العالمين.

صحيح أنَّ الطبع يغلب التطبع، لكنَّ الأصح أنَّ من أحبَّ أحداً اقتدى به، وهذا ما حدث مع عابدين حين سَكَنَ حُبَّ آمنة قلبه.

عابدين.

نعم يا آمنة، أهناك خطبٌ ما؟  
آمنة: أنادي عليك ولا تسمعني!  
عابدين: خيراً إنْ شاءَ الله.

آمنة: ما بك؟

عابدين: إخوتي يا آمنة.  
آمنة: ماذا فعلوا يا ابن قلبي؟  
عابدين: قد جرحوا قلبي بأسنتهم.

آمنة بعد أن هبطت درج السُّلُم المصنوع  
من اللِّبن: لا تهتم لشأنهم يا أبا زينب.

عابدين: دائمًا ما يُشَعرونني بالقلة، رغم  
أني قد أعطيتهم من عمرِي سنين، لم  
أدخل عليهم بجهدٍ ولا مال.

آمنة تربت على كتفه بحنان: أصيل أنت  
يا أبا زينب.

عابدين رافعًا رأسه وقد تساقط دمعه:  
طيلة عمرِي وأنا أجبر خواطرهم، وفي  
المُقابل يقومون بكسرِ خاطري.

آمنة تُشارِكه الدمع: دعك من ذلك  
حبيبي، كله في ميزان حسناتك عند الله،  
لا شيء يضيع عنده يا أبا زينب.

عابدين: ونعم بالله العلي العظيم.

آمنة متسائلة في تردد: عابدين.

عابدين: خيراً يا أم زينب.

آمنة: فرح بيت أبو خميس غداً، هل ستذهب مع إخوتك؟

عابدين: لن أذهب يا آمنة، يكفي ما يفعلونه بي من قلة وأنا معهم.

آمنة: كما تحب حبيبتي.

إنقضى الخميس وأتى يوم الجمعة.

بينما يتوجه ز بيت أبو خميس لزفاف سعيد \_الابن الأكبر لأبي خميس، هناك حراق تشتعل ببيت أبو المكارم؛ حيث عابدين وإخوته.

قامت الدنيا ولم تقعد حين علم الإخوة أن عابدين لن يذهب معهم، لعهدهم به طوع

أمرهم مُذ ولادته، فكيف يجرؤ على فعلٍ  
كهذا؟

أرسلوا في طبّه ليُبرهن لهم علة رفضه  
الذهاب معهم إلى الفرح.

أخبرته آمنة أن يحيى ابن أخيه الأكبر  
ينتظره خارج الغرفة، قام من رقاده  
وأسرع إليه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبددين: وعليكم السلام ورحمة الله  
وبركاته، كيف حالك يا يحيى؟

يحيى بسمة صافية كبشرته البيضاء:  
بخير يا عمّي، قد أرسلني أبي في طلبك.

عبددين وقد تغير لونه: خيراً يا لدبي؟

يحيى: قد اجتمع هو وعمّاي ولّيم  
وشّمس، وأزواج عّماتي بالمضافة، ثمَّ  
أرسلني في طلبك.

عابدين: لم؟

يحيى: الله أعلم عمَّ.  
ثمَّ تركه عاد إلى حيث الجمع  
بالمضافة.

غرفة رحبة بُنيت من اللِّين؛ لتكون رطبة  
في حرِّ الصيف، دافئة في برد الشتاء،  
مُزيَّنة بلوحاتٍ من القِماش، ومُلوَّنة  
جُدرانها بألوانٍ مُتناسقةٍ إلى حدٍ ما.

بها أربعة أرائك، مكسوة أرضيتها  
بمفاريشٍ تُشبه السجاد إلى حدٍ كبير.

ما زال أبو حميس يُحَسِّن فرحة بيت أبو  
خميـس؟

قال لها عز الدين، الأخ الأكبر لعابدين،  
بينما باقى الإخوة يتزمون الصمت في  
حضرته.

لحظاتٍ وقد حضر عابدين، ألقى السلام  
عليهم وجلس.

أصحيـح ما قد سمعته عابدين؟  
عابدين: وما الذي سمعته أخي؟  
عز الدين وقد تغيرت ملامحه إلى  
الغضب: أترد على سؤالي بسؤال!  
عابدين: لم أقصد أخي، لكنني لا أعلم  
عن ماذا تتحدث؟

عز الدين: عن فرحة بيت أبو خميـس.

عابدين: هكذا أفهم، صحيح أخي، لن  
أستطيع حضور الفرح.

عز الدين: خيرا يا أبا زينب؟

عابدين: مرهق بعض الشيء أخي.

عز الدين وقد نظر للحضور: حسناً،  
ليس عيباً أن يُصيّبَ الإرهاق، لكنَّ  
العيوب أن تشتكى منه؛ إذ الشكوى  
للنساء فقط، أمّا الرجال فالتحمُّل من  
طِباعهم.

عابدين: ماذا تعني يا أبا يحيى؟

عز الدين: أعني أنّي ستأتي معنا، سواء  
أكنت مُتعَبَ أم غير ذلك!

لم يستطع عابدين الوقف في وجهه عز الدين بعد أن أصدر قراره.

عادَ لآمنة حزيناً، مهموماً، وكأنَّه قد ملأ  
زرعَةً خضراء جاءتها رياحُ عاصف  
فاحترقَتْ!

تَهَدَ الرَّاوِي ثُمَّ قَالَ: حَتَّى الْحُبُّ لَا يُعْتَدُ  
بِهِ حِينَ تُطْرَقُ الْفَوَاجِعُ أَمَانُ الْقُلُوبُ!

لَمْ يَفْهَمْ الصَّبِيَّةُ مُرَادُ الشَّيْخِ فَسَأَلَوْهُ  
التَّفْسِيرَ، لَكَنَّهُ لَمْ يُعْطِهِمْ إِيَّاهُ وَوَعْدَهُمْ  
بِفَهْمِهِ مِنْ سِيقَ السُّرْدِ.

أَنْهَتْ آمِنَةٌ تَصْفِيفَ شِعْرِ زَيْنَبَ، وَأَمْرَتْهَا  
بِالذَّهَابِ إِلَى بَيْتِ جَدِّهَا زَكْرِيَاً حِينَ رَأَتْ  
عَابِدِينَ.

اقْتَرَبَ مِنَ الْفِرَاشِ فَأَسْقَطَ جَسْدَهُ عَلَيْهِ،  
وَيَكَانَهُ يُسْقِطُ حَمْلًا ثَقِيلًا يُرِيدُ التَّخْلُصَ  
مِنْهُ!

جلسٰت آمنۃ بجوارہ تربت علی یدیہ  
بحناءٰ بالغ، وتمسح علی رأسہ بعطفِ  
ولطف.

## ماذا حدث پا اپا زینب؟

عابدين: غُصْبُتُ عَلَى الْذَهَابِ مَعْهُمْ إِلَى  
بَيْتِ أَبِي خَمِيسٍ.

**آمنة: لا تحزن ولا تعزل همّا، ستدّهبا  
معهم دون أن تحضر.**

## عبدین: گیف یا اُم زینب؟

آمنة: ستذهب ولكن لن تحضر الفرح!

# عابدين: هل سأغطي جسدي ببودرة العفريت؟

ضحكَت آمنةٌ ثُمَّ تابعتْ: لا يا أبا زينب،  
لن تُغطِّي جسدك ببودرة العفريت، ولكنّك

سـ تذهب معهـم وتجـلـس دقـيقـة يـن، ثـمـ  
تـسـ تـاذـنـ منـ أـبـيـ خـمـيسـ فـيـ الـاـنـصـرـافـ  
وـتـأـتـيـ.

عـابـدـيـنـ وـقـدـ عـادـتـ لـهـ بـسـمـتـهـ: يـاـ لـهـاـ مـنـ  
فـكـرـةـ رـائـعـةـ!

سـلـمـتـ وـغـنـمـتـ وـدـمـتـ لـيـ أـمـ زـينـبـ حـبـةـ  
الـقـلـبـ وـنـورـ الـعـيـنـ.

آـمـنـةـ بـبـسـمـةـ صـافـيـةـ وـصـوـتـ حـانـ: سـلـمـتـ  
لـيـ عـبـودـ.

عـابـدـيـنـ مـُـنـدـهـشـاـ: عـبـودـ!

لـمـ أـسـمـعـهـاـ مـُـنـذـ زـمـنـ.

آـمـنـةـ: شـُـفـقـتـ عـنـكـ حـبـبـيـ، لـكـنـ قـلـبـيـ لـمـ  
يـنـشـغـلـ عـنـكـ أـبـداـ.

عابدين: لتسامحيني آمنة؛ وددت لو  
أسكنتك قصراً يليق بمكانتك ومقامك، لا  
غرفة واحدة مبنية من اللبن، لكن ليس  
لي من الأمر شيء، فمالى قد أخذه  
إخوتي دون أن يتركوا لي ما أقتات به.

آمنة: هذه الغرفة هي قصري ما دامت  
تجمعنا.

عابدين: أين ذهبت زينب؟  
آمنة: إلى بيت جدّها زكريا.

عابدين: بارك الله لنا فيه، وأعانني على  
ردّ معرفته.

ذهب عابدين مع إخوته بعد أن بدأ  
ثيابه، وما أن رأهم أبو خميس حتى قام  
لهم من مجلسه، رحب بهم وضيافهم.

صعدَ الشِّيخُ زكْرِيَا سطحَ المَسْجِدِ؛ لِيؤْذِن  
لِصلَةِ الْعَصْرِ.

لحظاتٍ ورفعَ أذانَ الْعَصْرِ بصَوْتِهِ  
الْعَذْبِ، وَمَا أَنْ سَمِعَ عَابِدِينَ الْأَذَانَ حَتَّى  
هَنَّا الْعَرِيسُ وَوَالْدَهُ، ثُمَّ أَسْرَعَ لِتَلْبِيةِ  
النَّدَاءِ بِالْمَسْجِدِ.

غَضَبَ عَزَّ الدِّينِ مِنْ فِعْلِ أَخِيهِ لِكَنَّهُ قَدْ  
كَظَمَ غِيظَهِ.

خلعَ نعليِّهِ ودلَفَ الْمَسْجِدَ حَامِلًا إِيَّاهُمَا؛  
خشَيَةَ السُّرْقَةِ، رأَهُ الشِّيخُ زكْرِيَا فَهَشَّ  
لَهُ وَبَشَّ.

قَبْلَ عَابِدِينَ يُمْنَاهُ وسَائِلُهُ الدُّعَاءِ لِتَفْرِيجِ  
هَمَّهِ.

تَبَسَّمَ لَهُ الشِّيخُ زكْرِيَا وَأَضَافَ: مَا لِي  
أَرَاكَ مَهْمُومًا يَا أَبا زَيْنَبِ؟

عابدين وقد سقطت دمعة حبّسَة رغماً  
عنْهُ: مُتَعَبٌ أنا يا عَمِّي الشِّيخ زكريا.

الشِّيخ زكريا بعدهما ربَّتْ على كتفه: لا  
تعتل هَمَّا والله كافلَكَ يا ولدي.

عابدين مُبتسماً: وَنِعْمَ بالله العَظِيم.

صعد الشِّيخ زكريا سطح المسجد ليُعلن  
إقامة الصلاة.

فرغ عابدين من صلاة العصر وجلسَ  
يذكر ربّه، ذهبَ النّاس إلى أعمالهم،  
بينما الشِّيخ زكريا قد شاركه الجِلسة.

هو الغنيّ، فإنْ كانَ الفقر هو سبب  
حزنك، اسألُه باسمِه هذا وحاشاه حاشاه  
أنْ يخذلُك.

رفع عابدين رأسه وتبسم له قبل أن يُضيف: مالي سواه يا عمّي الشيخ زكريا، أحبّه بكل ذرّة فيّ، حاشاه أن يظلمني؛ بل هو المُنعم المُكرم المُنّان، الذي أكرمني وأنعم علىّ بالكثير، لكنَّ الظلم من البشر للبشر.

هزَّ الشيخ زكريا رأسه في إشارة منه على الاهتمام بما يقوله عابدين.

عابدين وقد ترك العنوان لعِبراته: إخوتي قد ضيقوا علىّ حياتي يا عمّي الشيخ زكريا، أصبحت كالعيش في كابوس، لا هو قادر على الاستيقاظ ولا الكابوس ينتهي!

الشيخ زكريا: ماذا فعلوا بك يا ولدي؟

عابدين: قد أخذوا ما أخذوا من عمري،  
وظلموني بميراث أبي، ومؤخرًا يُحَقّرونَ  
من شأنِي.

الشيخ زكريا: أنتَ مُمِيزٌ يا ولدي ببياض  
قلبك، وطِبْتَكَ الظاهرَ للاقصي والداني.

عابدين مقاطعاً: طيبتي هذه هي سبب  
تعاستي يا عمّي الشيخ زكريا، أصبحتُ  
أُعِيرُ بها من قبل إخوتي.

الشيخ زكريا: لا يُحزنَكَ قولهم، هُم  
مُفتقرونَ لما تملّكه، لذا يُحاولونَ التقليل  
من شأنك؛ لإرضاء نقصهم.

عابدين: ما العمل يا عمّي الشيخ زكريا؟

الشيخ زكريا مُبتسماً: فَوْضَ أمركَ للهِ،  
واصبر على ما أصابك.

عابدين: ونَعْمَ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

عادَ عابدين إلَى الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ صَلَّى  
المَغْرِبَ، لِيُفَاجِأَ بِأَخِيهِ عَزَّ الدِّينِ وَاقْفَا  
أَمَامَ غُرْفَتِهِ.

تَرَاجَعَ عابدين خَطْ وَتِينَ لِلخَلْفِ، لِيَتَقَدَّمَ  
مِنْهُ عَزَّ الدِّينُ، وَيَضْعِفَ يَدُهُ عَلَى كَتْفِهِ  
بِقُوَّةٍ.

عَزَّ الدِّينُ: لَمَذَا غَادَرَتِ الْفَرَحَ يَا أَبَا  
زَيْنَبَ؟

عابدين يَتَصَبَّبُ عَرْقًا: سَمِعْتُ الْأَذَانَ  
فَقُمْتُ أَصْلَى.

عَزَّ الدِّينُ: وَنَحْنُ أَيْضًا نُصْلَى يَا عابدين،  
فَلَا تَحْسِبْ نَفْسَكَ الْوَحِيدَ الْمُسْلِمَ!

عابدين: لم أقصد يا أبا يحيى، لكن عمي  
الشيخ زكريا قال إن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إن من أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها.

عز الدين: عليه الصلاة والسلام، حسناً يا أبا زينب، لدينا واجب عزاء في الغد بالعزبة التي بجوارنا، بعد العصر تكون قد تجهزت.

عابدين: كما تُريد أخي.

مضت الأيام وتضاعف الفقر، زاد عمر عابدين عاماً ليتم به الخامسة والعشرون، ولا زال قاطناً بغرفة التي ضاقت عليه ببيت أبيه.

نظر حوله فرأى أنه لا مكان له بين إخوته، شعر وكأنه هواء لا يرى ولا

يُسَمِّعُ، تعااظمَ الْحُزْنَ بِقُلْبِهِ حَتَّى أَكَلَ  
جَسَدَهُ الْقَوِيُّ، وَتَعااظَمَتِ الْأَفْكَارُ بِرَأْسِهِ  
حَتَّى جَلَبَتْ لَهُ الْأَرْقَ فَحَرَمَتْهُ النَّوْمَ.

كَانُوا يَبْتَسِمُونَ فِي وِجْهِهِ سَابِقًا، حِينَما  
كَانَ يَعْمَلُ وَيَكْدَّ عَلَيْهِمْ، فَيُسَافِرُ هُنَّا  
وَهُنَّاكَ حَتَّى سَافَرَ خَارِجَ الْقُطْرِ  
الْمَصْرِي؛ لِيَأْتِيهِمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوهُ مِنْ قَبْلٍ.

قَدْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ بِكَدَّهُ هُوَ، أَضَاعَ مِنْ عُمْرِهِ  
سَنَوَنًا لَمْ يَذْكُرْهَا عَنْهُمْ، رَأَى حَاجَتَهُمْ  
فَأَسْرَعَ مُضْحِيًّا بِرَاحَتِهِ لِأَجْلِ رَاحَتِهِمْ.

أَصْبَحَ المَكَانُ الَّذِي وُلِدَ بِهِ هُوَ سَبَبُ  
ضَيقَهُ، بَعْدَ أَنْ كَانَ سَبَبًا لِسَعادَتِهِ حِينَ  
كَانَتْ أُمَّهُ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ.

فَكَرَ وَقَرَّ أَنْ يُعاوِدَ السَّفَرَ مِنْ جَدِيدٍ،  
لَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةِ لَنْ تَكُونَ لِإِخْوَتِهِ كَمَا كَانَ

سفرهُ السابق، بل ستكون لاعفافِ نفسهِ  
وأهل بيته.

شجعهُ على قرارهِ ما رأهُ من جحودِ  
إخوتهِ على زوجهِ وابنتهِ؛ إذ كانت  
الكراهة هي أساس معاملتهم لهما.

كراهة بحتة لا سبب لها سوى الغيرة  
من آمنة؛ لكونها ابنة الشيخ زكريا أبو  
العمدة.

حينَ أرادَ عابدين الزواج اختاروا لهُ  
إحدى القربيات، لكنَّهُ رفضَ اختيارهم  
وأصرَّ على اختياره، وتزوجَ من آمنة  
رغمًا عنهم جميعاً.

قد عزمَ الأمر ولم أستطع التأثير عليهِ  
فيما أنوى فعله، أصابني التعب نتيجة  
محاولاتي في التوضيح لهُ عن أهمية

وجوده بيننا، لكنه لا يسمع لي، وسيفعل  
ما أراد، ماذا أفعل أبي؟

قالتْها آمنة بصوتٍ يقطعهُ البُكاء حينَ  
ذهبتْ لبيتِ أبيها الشيخ زكريا.

الشيخ زكريا وقد ربتَ على كتفها  
بحنان: كفافي دموعك يا ابنتي، فما عزمَ  
عليهِ زوجكِ فهو عَينُ الصواب؛ يكفي ما  
حدثَ لهُ من ذُلٍ ومهانة، أما ترينَ حالكم  
والفقر الذي أصبحتم عليه؟!

يومًا ما ستكبرُ زينب، وكما تعلمينَ يا  
أمّها أنَّ الفتيات حينَ يبلغنَ المَحِيض  
يُطلبنَ للزواج.

آمنة: لا زالت في الرابعة من عمرها  
أبي.

الشيخ زكريا مُبتسماً: ستكتُب الصغيرة يا  
أمهـا دونـ أن تـشعرـي بهاـ، لـذـا لا بـدـ وـأنـ  
يـكونـ أباـهاـ قدـ اـذـخـرـ لهاـ مـبـلـغاـ يـزـوـجـهاـ  
بـهـ.

آمنـةـ: أـرـيدـ لـهـاـ مـسـتـقـبـلاـ أـفـضـلـ مـنـ حـالـيـ،  
لـذـاـ سـأـعـلـمـهاـ القرـاءـةـ وـالـكـاتـبـةـ، ثـمـ أـدـفـعـهاـ  
لـلـانـضـمامـ إـلـىـ الـفـصـولـ الـتـعـلـيمـيـةـ، يـكـفـيـ  
أـنـّـيـ قـدـ خـرـجـتـ مـنـ الـمـدـرـسـةـ الـابـتـدـائـيـةـ  
قـبـلـ أـنـ أـكـمـلـ تـعـلـيمـيـ بـهـاـ.

الـشـيخـ زـكـريـاـ: إـذـاـ لـتـشـجـعـيـ زـوـجـكـ عـلـىـ  
الـسـعـيـ فـيـ أـرـضـ اللـهـ الـوـاسـعـةـ.

آمنـةـ: حـسـنـاـ أـبـيـ، سـأـفـعـلـ بـعـونـ اللـهـ.

ذهبـ عـابـدـيـنـ إـلـىـ إـخـوـتـهـ وـسـأـلـهـمـ حـقـهـ فـيـ  
مـيرـاثـ أـبـيـهـ؛ لـيـتـيـاعـ بـهـ عـقـدـاـ لـلـعـملـ

بِإِحْدَى الْدُولِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّقِيقَةِ، لَكُنْ عَزٌّ  
الَّذِينَ قَدْ نَهَرُوا وَأَخْبَرُوا بِأَنَّهُ لَا مِيرَاثٌ لَهُ.

غَضَبَ عَابِدِينَ وَحَوْقَلَ فِي وَجْهِهِ، دَفَعَهُ  
عَزٌّ الدِّينِ فَسَقَطَ أَرْضًا، نَهَضَ وَعَلَّلَهُ  
سَبَبُ مُطَالِبِتِهِ بِحَقِّهِ، لَكَنَّهُ لَمْ يَرَأْفِ بِهِ،  
بَلْ تَضَاحَكَ عَلَيْهِ بِمَعِيَّةِ باقِي الإِخْرَاجِ!  
لَمْ كُلَّ هَذَا يَا أَبْنَاءَ أَبِي وَأُمِّي؟

قَالَهَا عَابِدِينَ وَالدَّمْعُ يَقْطَرُ مِنْ عَيْنِيهِ.

عَزٌّ الدِّينِ بِغَضَبٍ: مَنْ أَنْتَ كَيْ تَسْأَلُنَا؟

عَابِدِينَ بِصَوْتٍ مُنْكَسِرٍ: أَخَاكَ، أَنَا أَخْوَكَ  
يَا عَزٌّ الدِّينِ، أَخْوَكُمُ الصَّغِيرُ الَّذِي  
وَصَّتُكُمْ عَلَيْهِ أَمْكَمَ قَبْلَ موْتِهَا، كَمَا فَعَلَ  
أَبَاكَ سَابِقًا.

عَزُّ الدِّين بعْرَفَة: جَيْد أَنَّكَ تَعْلَم مَقَامَكَ  
يَا صَغِيرٍ.

عَابِدَيْن بِصَوْتِ مُتَهَّدِجٍ: لَا فَرْقَ فِي  
الْمَقَامَات بَيْنَ الْإِخْرَوَة، بَيْنَ الْإِخْرَوَة يَوْجُد  
حُبٌّ وَعَطْفٌ، وَرَحْمَةٌ وَرَأْفَةٌ، وَحَلْمٌ  
وَصَبْرٌ وَسُترٌ.

عَزُّ الدِّين: لَمْ يُعْجِبْنِي حَدِيثُكَ يَا عَابِدَيْن،  
وَمَا دُمْتَ قَدْ نَوَيْتَ السَّفَر فَلَا دَخَلَ لَكَ.

عَابِدَيْن مَشْدُوْهَا: مَاذَا تَعْنِي يَا أَبا يَحْيَى؟

عَزُّ الدِّين: أَعْنِي أَنَّ الْمَالَ الَّذِي سَتَحْصُلُ  
عَلَيْهِ نَظِيرٌ عَمْلُكَ، سَتُرْسَلُهُ لَيْ لَاْضَعُهُ  
بِمَصْرُوفَاتِ الْبَيْتِ الَّذِي يَاوِيْكَ.

عَابِدَيْن: لَنْ أَفْعُل يَا عَزُّ الدِّين.

عَزِّ الدِّينُ: كَمَا تُرِيدُ يَا أَبَا زِينَبَ، لَنْ رَى  
كَيْفَ سَتُسافِرُ؟

وَمَنْ أَيْنَ سَتَأْتِي بِالْمَالِ الْمَطْلُوبِ؟  
وَإِنْ حَدَثَ وَسَافَرْتَ، لَا تُطِيلِ الْغِيَابَ؛ كَيْ  
لَا تَجِدَ آمِنَةً وَزِينَبَ بِالشَّارِعِ.

وَقَبْلَ أَنْ يُنْطَقَ عَابِدِينَ بِحُرْفٍ وَاحِدٍ كَانَ  
عَزِّ الدِّينُ قَدْ تَرَكَ الْمُضَافَةَ وَمَعَهُ بَاقِي  
الإخْوَةِ.

لَمْ يُعِرِّضْ عَابِدِينَ عَنْ قَرَارِهِ، بَلْ تَشَبَّثَ  
بِهِ وَقَوِيتَ عَزِيمَتِهِ، حِينَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا مَفْرَّ  
لَهُ مِنَ الْغُرْبَةِ، لَكِنَّهَا غُرْبَةُ هَادِفَةٍ هَذِهِ  
الْمَرَّةِ؛ فَلَأْجِلِ أُسْرَتِهِ الصَّغِيرَةِ سَيَغْتَرِبُ،  
سَيَغْتَرِبُ لَكِنَّهُ أَبْدًا لَنْ يُضِيعَ جُهْدَهُ، سَيَكِدُ  
وَيُقَاسِي لِأَجْلِ آمِنَةِ وَزِينَبَ.

أخذت آمنة بنُصْحِ أبيها، فوقفت مع زوجها كَزوجةِ أصيلة، أَعْطَتْهُ مصاغها بطيءٌ بِنفْسِ لِيبيعْهُ وَمَنْ ثُمَّ يُسْتطِعُ السفر.

رفضَ في بادِيَءِ الْأَمْرِ، لَكُنَّهُ وافقَ أَمَامَ إصرارِهَا، وَوَعَدَهَا بِأَنَّهُ سِيُوقَضِيَّ بِمَا هو أَفْضَل؛ إِذْ هُوَ دَيْنٌ مُعْلَقٌ بِرُقبَتِهِ.

فرحَ عابدينَ بَعْدَ مَا أَمْسَكَ بِتَذْكِرَةِ السفرِ، لَكُنَّ قَلْبَهُ الطَّيِّبُ قدْ نَبَضَ حُزْنًا عَلَى فِراقِ الْأَحَبَّةِ وَإِنْ كَانَ فِراقًا مُؤْقَتًا.

أَسْرَعَ الزَّمَانُ مَرُورًا حَتَّى جَاءَ المِيعَادُ، مِيعَادُ الفِراقِ.

أخذَ عابدينَ يُوصِي آمنةَ عَلَى نَفْسِهَا وَابنَتِهَا، ثُمَّ أَوْصَى الشِّيخَ زَكْرِيَاً عَلَيْهِمَا،

وودعهم قبلَ أنْ يمتطي الحمار؛ ليوصلهُ  
إلى المركز.

ظنَّ عابدين أَنَّهُ لن يُعاني بعدَ اليوم..  
ونسيَ أَنَّ بعضَ الظنِّ إِثمٌ!

## الفصل الثاني

مرّت ستة أشهر على سفر عابدين، لم يُرسل خالها قرشاً واحداً، كان الشيخ زكريا هو المتكفل بأمنة وابنته حتى وافته المنية قبل شهرين، ثم تولّت الأم إعالة ابنته وحفيدتها من بعده.

لم ترك ابنته للوحدة؛ فكانت تزورها صباح مساء، تحدث معها وتضاحكها، ثم تذهب بعد أن تلعب مع زينب.

أخبرتها آمنة ذات مساء أن جميع من في البيت يُضايقونها، حتى أن عز الدين يناديها بالصلالية؛ إذ سأله عنها امرأته فأخبرته بأنها تصلي ولا ترك فرضها، كي تهرب من الأعمال المنزلية!

ولأنَّ لِيلى هي زوج كبير البيت، فهي  
الأمر الناهي في شؤون التدبير المنزلي،  
وهي مَن تَوزع عَلَى نساء البيت  
أعمالهنَّ.

أخذت آمنة تبكي على حالها، لكنَّ أمها  
لم تتركها وحيدة، فأوصتها بالصبر،  
واستأذنت عز الدين في أخذ ابنته لثقبِيم  
عندَها بضعة أيام.

توقفَ الراوي عن السرد، سألهُ الصبية  
السبب، ابتسَمَ بعينينِ دامعتينِ ثُمَّ قالَ:  
رُغم مرور الأعوام على هذه القصة إلا  
أنَّ أذى البشر لبني جنسهم لا زال  
مستمراً!

كَفَ دمعهُ وأخذَ نفساً عميقاً قبلَ  
مُعاودتهِ السرد مَرَّةً أخرى.

ما زلنا نعيي يا أبا يحيى؟

قالتْها أم آمنة بغضبٍ ردًا على رفض عز الدين إقامة آمنة معها.

عز الدين وقد اتكاً على عصى الخير زان  
الخاصّة به: أعني أنّه لا يصح لها  
الخروج من البيت وزوجها غائب كما  
تعلمين، لأنّ دري إنْ كان حيّاً أو غير  
ذلك.

أم آمنة: وما الخطأ في ذلك؟  
ليالي: الخطأ يكمن في حديث الناس؛  
حين يتفوّهون بكلام غير لائق فاقدن  
به أم زينب.

عز الدين: هذا ما وودت قوله.

**أُمْ آمنةٌ: لَا أَهْتَمُ بِمَنْ يَقُولُ وَلَا بِمَا يَقُولُ،  
مَا دَامُوا لَنْ يَعْوِضُونِي عَنْ ابْنَتِي إِنْ  
حَدَثَ لَهَا مَكْرُوهٌ.**

# عَزُّ الدِّين: مَاذَا تَقْصِدُين يَا أَرْمَلَةُ الشَّيْخ زَكْرِيَا؟

أُم آمنة: أعني أن آمنة وزينب سُتْ قيمان  
معي عِدَّة أَيَّام؛ لغرض الترويح عن  
النفس.

عَزِّ الدِّينِ وَقَدْ اتَسْعَتْ حَدْقَتَاهُ غَضْبًا:  
أَنْصَتِ إِلَيَّ يَا امْرَأَة....

أُم آمنة مقاطعة: أَنْصَتْ أَنْتَ يَا ابْنَ أَبِي  
الْمَكَارِمْ، أَنَا رَاجِيَةً، أَرْمَلَةُ الشَّيخِ زَكْرِيَا  
أَبُو الْعُمَدةِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَابْنَةُ الْحَاجِ جَادِ  
الْكَرِيمِ أَبُو الْعَزِّ، يَعْنِي لَا يَوْجَدُ أَعْلَى مِنْ  
كَعْبَيِ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ، لَكِنَّ الشَّيخَ زَكْرِيَا

قد علمني أمور ديني، كما وصاني  
بالتواضع.

لم تُعطِه فُرصةً للرد على ما قالت،  
فأخذت آمنة وزينب وذهبن إلى بيتِ  
الشيخ زكريا رَحْمَهُ اللَّهُ.

أقامت آمنة وابنتها زينب مع أمها ببيتِ  
الشيخ زكريا، والذي يَبْعُد عن بيتِ أبي  
المكارم شارعٌ عَنْ فقط.

تمر الأيام ويُطيل غياب عابدين، حتى  
ظنَّ الناس أنه قد مات؛ فأسرع إخوتهِ  
بنصب سُرادق العزاء، أمّا النسوة فقد  
اجتمعن على لطمِ الخدود وشَقِّ الجيوب،  
والدعاء على النفس وعدم التسليم لأمر  
اللهِ إنْ هو قادر.

لَمْ تَذْهَبِ الْحَاجَةُ رَاجِيَةً؛ لِمُخَالَفَةِ فِعْلِ  
النَّسْوَةِ لِمَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ الْحَنِيفُ.

أَمَّا آمِنَةٌ فَقَدْ اتَّشَّحَتْ بِالسُّوَادِ؛ حُزْنًا عَلَى  
فِرَاقِ بَعْلِهَا.

أَخْذَتِ الْحَاجَةُ رَاجِيَةً آمِنَةً وَزِينَبَ،  
وَذَهَبَتِ إِلَى بَيْتِ أَبِي الْمَكَارِمِ، لِيُقَابِلُهُنَّ  
عَزَّ الدِّينِ بِوْجِهٍ فَاتِرٍ وَبِسَمَّةٍ مُصْطَنَعَةٍ.

قَدَّمَتِ إِلَيْهِمِ الْحَاجَةُ رَاجِيَةً وَاجِبُ الْعَزَاءِ  
فِي عَابِدِينَ، ثُمَّ وَضَّحَتْ لَهُمْ سَبُبُ عُودَةِ  
آمِنَةَ وَابْنَتِها، وَهُنَا كَانَتْ الْمُفَاجَأَةُ!

أَنْكَرَ عَزَّ الدِّينَ حَقَّ عَابِدِينَ فِي مِيرَاثِ  
أَبِيهِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ آمِنَةَ لَيْسَ لَهَا أَيَّةٌ  
حَقُوقٌ لَدِيهِمْ بِهَذَا الشَّأنِ.

مَا تَقُولُهُ لَيْسَ صَحِيحًا يَا عَزَّ!

قالتْها آمنة بصوتٍ يقطعهُ البُكاء.

عَزِّ الدِّين بِكُلِّ ثُقَّةٍ: مَاذَا؟

أَلَا يَوْجُدُ غَيْرَ النِّسَاء لِتُعَلِّمُنِي الصَّحَّ مِنْ  
الخَطَأِ؟!

آمِنَةٌ: أَرَاكَ تَنْتَقِصُ مِنْ النِّسَاء يَا عَزِّيْزَ؟  
وَمَاذَا بِهَا إِنْ عَلِمْتَكَ النِّسَاء مَا دَامَ  
بِالْحَقِّ.

انتَصَبَ عَزِّ الدِّين وَاقِفًا، وَقَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ  
يَدُهُ عَلَيْهَا كَانَتْ أُمُّهَا قَدْ أَمْسَكَتْ بِيَدِهِ.

رَاجِيَةٌ: الرِّجَالُ الْحَقِّ لَا يَتَطَافَلُونَ عَلَى  
النِّسَاء، وَأَبْنَاءِ الْأَصْوَلِ إِنْ غَابَ أَخْوَهُمْ  
عَفَّوا جَمَاعَتُهُ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، أَمَّا  
أُولَادُ الْحَلَالِ فَيَحْفَظُونَ الْحَقَّ وَقَوْلَ أَهْلِهَا،

وَلَا يَغْمِضُ لَهُمْ جَفَنٌ إِلَّا بَعْدَ رَدِ الْحَقِّ  
لِصَاحِبِهِ.

عَزِّ الدِّينُ: أَنْهِيَتِ حَدِيثَكِ يَا أُمَّهَا؟  
الْحَاجَةُ رَاجِيَةٌ تَنْظَرُ إِلَيْهِ بِغَضْبٍ نَسِيرٌ لَا  
يَقْوِي أَحَدٌ عَلَى أَخْذِ مَا فِي يَدِهِ.

عَزِّ الدِّينُ: حَسَنًا، لَتَعْيَا جَيِّدًا لَمَا أَقُولُ، لَا  
وَرثْ لَكُمْ عِنْدِي؛ إِذْ أَنَّ عَابِدِينَ ذَاتِهِ لَا  
مِيراثَ لَهُ، أَمَّا إِنْ كُنَّا سَنْتَهُدُّ بِالْأَصْوَلِ  
فَسَأَتْرِكِ لِتُرْبَّيِ ابْنَتِكِ بِغُرْفَتِكِ وَطَعَامِكِ  
وَطَعَامُهَا عَلَيَّ.

قَاطَعَتْهُ أَمْنَةُ: لَسْنَا بِشَحَاذِينَ يَا عَزِّ  
لِزُوجِي عِنْدَكُمْ مَالٌ دَفَعْ ثَمْنَهُ مِنْ عُمْرِهِ  
وَشَبَابِهِ.

عَلَا صَوْتُ عَزِّ الدِّينِ: خَسَّتِ، قَطَعَ اللَّهُ  
لِسَانِكِ، وَقَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ سُبَابَهُ نَهْرَتِهِ

راجية بقولها: بل قطع الله لسانك وذل  
مقامك يا معدوم الضمير.

أتظنني أخشك؟

كن حذراً لما تقول، أنا راجية، الحاجة  
راجية بنت أبو العز وأرملة أبو العمدة،  
لا تساهل ولا تجرؤ على رفع الكلفة  
بيننا، فمقامنا محفوظ حيث أقامنا الله.

آمنة وزينب سُنْقِيمان معي بيتِ الشيخ  
ذكرى رضوان الله عليه، قد ترك لهما  
الراحل ما يكفيهما طيلة حياتهما.

نحن بيت عز وأصل، لا نترك بعضاً  
للغير، بيت أبو العمدة بيت الخير  
والأصل.

رفع عز الدين يده على الحاجة راجية  
في محاولة منه للطمها، إلا أنها أمسكت

بِيَدِهِ وَعَقْبَتْ: إِنْ كَرَرْتُهَا ثَانِيَةً، أَعْذُكَ  
سَتَفْقَدُهَا وَلَلَّا بُدْ.

نَظَرَ عَزِّ إِلَى الْأَرْضِ خَجْلًا وَعَجْزًا،  
أَخْذَتِ الْحَاجَةَ رَاجِيَةً ابْنَتَهَا وَحْفِيَّتَهَا،  
وَذَهَبَنَ إِلَى بَيْتِ أَبْوِ الْعُمَدةِ.

## الفصل الثالث

مرّ عامٌ على ذكرى وفاة عابدين، أقام  
عَزَّ الدِّين سُرِادق العزاء مَرَّةً أُخْرِي؛  
لِإِحْيَا ذَكْرِي، جَلَسَ الْمُقْرِئ عَلَى  
كُرْسِيِّهِ الْمُزَخْرَف، بَدأ بِتلاوَة آي الذِّكْر  
الْحَكِيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم.. الْحَمْدُ  
لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ  
لَهُ عِوْجَانَ (1) قِيمًا لِيُنذِرَ بَاسًا شَدِيدًا مِنْ  
لَذْنَهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ  
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مُكْثِينَ  
فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا أَتَخَذَ اللَّهَ  
وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ  
كَبُرَتْ كَلْمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ  
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5) فَلَعْنَاتٌ بِخَمْعٍ نَفْسَاتٍ  
عَلَى عَاثِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ

أَسْفًا (6) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً  
لَهَا لِنَبْلُو هُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (7) وَإِنَّا  
لَجِئْنَا مَعَ الْجِئْنِ مَا عَلَيْهَا صَدِيقًا جُرْزًا (8) أَمْ  
حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا  
مِنْ عَائِتَنَا عَجَبًا (9) إِذَا أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى  
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً  
وَهَيْئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10).. صدق

اللهُ العظيم

وما أن أنهى الشيخ تلاوته حتى ضجَّ  
المكان وارتजَّ من حول المفاجأة؛ إذ رأوا  
الميّت الذي يُحييون ذكرى وفاته قد  
أتاهم مُترجلًا يمشي على قدمين!

أصابهم الهاجع جميعًا، حتى أن أحدهم قد  
جزم أن روح عابدين غاضبة لذا قد أتت  
لتأثير له.

عَمَّ الْاسْتِياءُ أرجاءَ الْبَلْدَةَ بَعْدَ انتشارِ  
خَبَرِ حضُورِ شَجَابِ عَابِدِينِ سُرِّادِقِ  
الْعَزَاءِ.

اقْرَبَ عَابِدِينَ مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ، ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ  
دَمَعًا مَمْزُوجًا بِالْحَسْرَةِ وَالْأَلَمِ، تَثَاقَّلَتْ  
خُطُواتُهُ حَتَّى ظَنَّ قَدْمَاهُ قدْ شُلُّتْ.

جَرَّ قَدْمِيهِ جَرَّاً حَتَّى دَلَفَ الْبَيْتَ، رَأَتْهُ  
لِيَلَى (أُمُّ يَحِيَّى) فَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ فَزِعٍ،  
مَمَّا جَعَلَ نَسْوَةَ الْبَيْتِ يَجْتَمِعُنَّ عَلَى  
صِرَاخِهَا.

لَا تَخَافِي يَا ابْنَةَ عَمٍّ.

قَالَهَا عَابِدِينَ بِصَوْتٍ حَزِينٍ.

أَخَذَتْ لِيَلَى ثُحْمَلْقَ بِهِ ثُمَّ سَأَلَتْهُ: مَنْ أَنْتَ  
يَا هَذَا؟!

وَكَيْفَ عَرَفْتَ اسْمِي؟

نَظَرَ عَابِدِينَ لِلأَرْضِ، ثُمَّ حَدَّثَهَا قَائِلًا: أَنَا  
عَابِدِينَ يَا أُمَّ يَحْيَى!

لَيْلَى فِي مُحاوِلَةٍ مِنْهَا لِلْفَهْمِ: مَاذَا؟

وَلَكِنْ كَيْفَ؟!

تَبَسَّمَ عَابِدِينَ مِنْ حَدِيثِهَا، لَكِنَّهَا لَمْ تَرَى  
بِسْمَتَهُ؛ لِغَزَارَةِ شَارِبَهِ وَلَحِيتَهُ، وَكَذَا  
شِعْرَ رَأْسِهِ.

لَيْلَى: وَمَنِ الَّذِي فَعَلَ بِكَ هَذَا؟

عَابِدِينَ: سَأُخْبِرُكِي وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ يَا أُمَّ  
يَحْيَى، وَأَخْذَ يَجْوَلُ بِبَصَرِهِ فِي أَرْكَانِ  
الْبَيْتِ عَلَهُ يَجْذِهَا (آمِنَةً).

أَخْبَرْتُهُ أُمّ يَحِيَى أَنَّ الْحَاجَةَ رَاجِيَةً قَدْ  
أَخْذَتْ آمِنَةَ وَزِينَبَ؛ لِيُقِيمَا مَعَهَا بَعْدَ أَنْ  
ظَنَّ الْجَمِيعَ مَوْتَهُ!

لَيْتَنِي مِتٌ!

قَالَهَا عَابِدِينَ بِقُلْبِهِ وَذَرْفَتْ لَهَا عَيْنَاهُ.

وَلَى ظَهْرِهِ لَهُنَّ مُتَوَجِّهًا إِلَى بَيْتِ الشَّيخِ  
زَكْرِيَاً أَبْوَ الْعَمْدَةِ، لَكِنَّ أُمّ يَحِيَى قَدْ  
أَوْقَفَتْهُ بِقَوْلِهَا: إِلَى أَيِّنَ أَنْتَ ذَا هَبْ؟

لَتَغْتَسِلَ أَوْلًا فَرَائِحَتُكَ تَشَيِّبَ أَنَّكَ خَارِجٌ  
مِنْ قَبْرِ!

رَدَّ عَلَيْهَا بِحَسْرَةٍ: لَا أَسْتَطِعُ، سَأَفْعُلُ  
بَعْدَ أَنْ أَطْمَئِنَّ عَلَى آمِنَةَ وَزِينَبَ وَعَمَّيِ  
الشَّيخِ زَكْرِيَاً.

البقاء والدوان لله، قد ماتَ عُمّاكَ الشِّيخ  
زكرياً بعد سفرك بأربعة أشهر.

قالتْها أمّ يحيى بصوتٍ حزين.

عابدين بصوتٍ واهنٍ حزين: ماتَ أبي،  
ماتَ صاحبِي، ماتَ شِيخِي، ماتَ بعض  
قلبي، ماتَ ضميري الحيّ!

حتّى أنتَ قد تركتني يا شيخي!

أما يكفي أنَّ نفسي قد تركتني هي  
الأخرى!

عُدتُ لِأرْمَمَ روحِي بحضورِكَ، فوجدتُ  
روحَكَ الطاهرَةَ قد غادرت.

أخذَ عابدين يبكي بُكاءَ اليتيم، لم تستطع  
أمّ يحيى ولا غيرها من النساء أنْ يُهدأنَ  
من رَوْعه.

دلفَ عزَّ الدينِ وَإخْوَتِهِ الْبَيْت؛ بحثًا عنْ  
عابدينَ بعْدَ مَا رأَوْهُ فِي سُرُادقِ العَزاءِ.

رأَوْهُ وَقَدْ جَلَسَ وَاضْعَاعًا رَأْسَهُ بَيْنَ  
فَخْذِيهِ، يَبْكِي عَلَى رَحِيلِ الشَّيخِ زَكْرِيَا.

أَمَرَ عزَّ الدينَ النَّسْوَةَ بِمُغَادِرَةِ الْمَضَافَةِ،  
ثُمَّ أَغْلَقَ الْبَابَ وَاقْتَرَبَ مِنْ عَابِدِينَ قَائِلًا  
لَهُ: مَالِكٌ يَا ابْنَ أَبِي؟

ما الذي حدث لك؟

اصبر أخي، رَحِمَ اللَّهُ الشَّيخُ زَكْرِيَا.

رَفَعَ عَابِدِينَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ لِعزَّ الدينِ  
بِعَيْنِينِ تَذْرِفَانِ: قَدْ ذَهَبَ عُمْرِي مَعَ  
رَحِيلِ عَمِّي الشَّيخِ زَكْرِيَا، وَبَقَيَ شَبَحِي  
تَائِهًا يَبْحُثُ عَنِّي؛ عَلَّهُ يَجْدُنِي!

رمهُ عز الدين بنظرةٍ حادة، تنم عن  
عدم استيعابه لما أصبح عليه عابدين؛  
فكم معلم أن عابدين أمني لا يقرأ ولا  
يكتب، فكيف يتحدث بلسان الفلسفه؟

عز الدين: ماذا بك يا أخي؟

تنطق ويكتأك من أهل العلم!

تبسم عابدين بسخرية: لا تعقل همي يا  
أبا يحيى، ثم انتصب واقفا ونظر  
لإخوته، وأضاف:

وهل أعطيتم آمنة ميراثها في حين  
توهتم موتى؟

نظر بعضهم لبعض ولم ينبع أحدُهم  
بینت شفة.

تركهم عابدين وذهب إلى بيت حمأة  
الشيخ زكريا.

آمنة، آمنة.

نعم يا أمي.

راجية: هل تناولت زينب الطعام قبل أن  
تنام؟

آمنة: أجل أمي.

راجية: أطهوت لها ما أرادت؟

آمنة: قد فعلت أمي، فذبحت لها دجاجة  
وقدمت بحشوها بالفريك، كما طلبت.

راجية: سلمت حبيبتي، وهل طعمت؟

آمنة: لست جائعة.

راجية: لم يا ابنتي؟

آمنة تتحسس أيسر صدرها: مقوّضٌ  
قلبي منذُ الصباح أمي.

راجية: خيراً إنْ شاء الله.

آمنة: لا أدرِي لِمَ أشعر بعابدين؟!

راجية: رحمة الله وغفر له.

و قبلَ أنْ تنطقَ آمنة، سمعت طرقاً سريعاً  
على الباب.

نهضت الحاجة راجية من مجلسها،  
وأسرعت لغرفتها فحملت مسدساً  
لزوجها رحمة الله، وأمرت آمنة أنْ  
تقف خلفها.

من الطارق؟

سَمِعَ عَابِدِينَ صَوْتَ حَمَاتِهِ، ذَرْفَتْ عَيْنَاهُ  
فَرَحًا، وَعَلَا صَوْتُهُ يُنْسَادِي: آمِنَةٌ، أَنَا  
عَابِدِينَ يَا آمِنَةٌ، افْتَحِي لِي يَا أُمَّ زَكْرِيَا.

نَزَّلَتْ كَلْمَاتُهُ عَلَى أَذْنِيهِمَا كَوْقَعِ  
الصَّاعِقَةِ، لَكِنَّ آمِنَةً قَدْ شَعِرَتْ بِالْحَنْينِ  
لِذَكْرِيَّاتِهِ مَعَهُ، بَيْنَمَا الْحَاجَةُ رَاجِيَةٌ لَا  
ثُصَدَّقَهُ وَتَظَنَّهُ لِصَّا مِنَ الْلَّصُوصِ.

تَقْدَّمَتْ آمِنَةٌ مِنَ الْبَابِ وَقَامَتْ بِفَتْحِهِ عَلَى  
مَهَلٍ، فَإِذْ بِشَابٍ مُتوسِطِ الْقَامَةِ، أَبِيضِ  
الْبَشَرَةِ، أَسْوَدِ الْعَيْنَيْنِ وَكَحِيلَّهُمَا، طَابِعُ  
الْحُسْنِ يُزَيِّنُ وَجْهَهُ رُغْمَ كُثَافَةِ لَحْيَتِهِ  
وَشَارِبِهِ، وَكَذَا شَعْرُ رَأْسِهِ.

رَأَتُهُ آمِنَةٌ فَشَهَقَتْ بِاسْمِهِ ثُمَّ سَقَطَتْ عَلَى  
الْأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا.

حملها عابدين ودلف بها إلى إحدى  
غرف الدار وسط ذهول الحاجة راجية.

وضعها على السرير وأخذَ يتأمل  
لامحها المنحوتة بعناية فائقة، امرأة لم  
تُكمل العشرون بعد، مليحة، بيضاء  
البشرة، بُنْيَة العينين واسعتهما، كثيفة  
أهدابهما، شعرها أشدُّ نعومة من  
الحرير، أسودٌ من الفحم، طابع الحُسن  
يُضفي على ملامحها أنواعاً من الإثارة،  
بالإضافة لشامةٍ صغيرة رقيقة سوداء  
تعلو شفتها اليسرى، ونظيرتها تتوسط  
ذقها الصغير.

قوامها كغازلٍ بريٍّ رشيق، لم يتعذر  
الثلاث وخمسون كيلو من الجرامات،

بِينَمَا طُولُهَا قَدْ تَعْدَى الْمَتْرَ وَنَصْف  
بِعْضِ السُّنْتِيمُترَاتِ!

أَخْرَجَتْهُ الْحَاجَةُ رَاجِيَةً مِنْ حَالَةِ  
الرُّومَانِسِيَّةِ الَّتِي يَعِيشُهَا، بِقَوْلِهَا: مَنْ  
أَنْتَ؟

نَظَرَ لَهَا مُبْتَسِمًا: أَنَا عَابِدِينِ يَا خَالَةَ  
رَاجِيَةَ، ثُمَّ قَبَّلَ يُمْنَاهَا.

إِنْ كُنْتَ عَابِدِينَ فَمَنِ الَّذِي مَاتَ؟

رُبَّمَا أَخْتَلَطَ عَلَيْكُمُ الْأَمْرُ، لِعَدْمِ مُرَاسِلَتِي  
لَكُمْ مُنْذُ عَامِينَ.

قَالَهَا عَابِدِينَ بِصُوتٍ حَزِينٍ.

سَأَلَتْهُ الْحَاجَةُ رَاجِيَةً بِحَزْمٍ: وَلِمَاذَا لَمْ  
تُرَاسِلَنَا؟

عابدين وقد تساقطت عبراته: كُنْتُ أظنْ  
أَنَّ الدُّنْيَا سَتُّعانقني بعْدَ الغناءِ الْذِي رأيْتُهُ  
بها، لَكِنَّهَا قد صَفَعْتِي صَفْعَةً أَفْقَدَتِي  
نفسي، فأصْبَحْتُ كما ترِينَ يَا خالَةً.

الحاجة راجية: كِيفَ تتحمَّل رائحةِ  
هذا؟

رائحةِ تشي بخروجك من قبرِ ما!  
عابدين خِلَالاً: المعاذرة يَا خالَة، لم  
أغسل مُنْذُ فترَة.

سأجهز لكَ الماء وعِدَّةَ الحلاقةَ الخاصةَ  
بعمّكَ الشَّيخ زكريا؛ كي تغسل وتُنظف  
بدنك.

قالَتِها الحاجة راجية ثُمَّ تركتهُ وذهبت.

أغلق خلفه الباب، وهذا من ضوء السراج (لمبة جاز)، اقترب من آمنة حتى تسم بأنفاسها، فتحت عينيهما على مهل لترأه يتغزل بها، ماسحا بيده على شعرها.

عابدين!

قالتها بصوتٍ حانٍ، لم يتسع عابدين مقاومته، فخلع عن رداءه وقبل أن يُكمل، قاطعته بقولها: ماذا ستفعل يا عابدين؟

أنت عابدين أم عفريت؟

ضحك عابدين حتى بدت نواجذه، ثم أجابها بصوتٍ حانٍ تعرفه هي جيداً: عابدين يا بنت القلب ونور العين، أشتاق

إِلَيْكِ جُمِيلَتِي، لَكُمْ تَمْنَىْتُ هَذِهِ الْحَظَاتِ  
مُذْ سَفَرِي.

حاوَلَ عَابِدِينَ أَنْ يُقْبَلَا، لَكِنَّهَا نَفَرَتْ مِنْهُ  
وَأَسْرَعَتْ بِالنَّهُوضِ.

نَظَرَ إِلَيْهَا عَابِدِينَ بِعَيْنَيْنِ دَامِعَتِينِ: أَلَهَا  
الْحَدَّ قَدْ كَرِهَتِ عَابِدِينَ يَا آمِنَةً؟

آمِنَةٌ بَعْدَ أَنْ أَمْسَكَتْ بِمَقْبِضِ الْبَابِ: لَمْ  
وَلَنْ يَحْدُثْ حَبِيبٌ آمِنَةً.

عَابِدِينَ: إِذَا مَاذَا؟

آمِنَةٌ: عَاهَدْتُكَ نَظِيفًا طَيِّبًا يَا حَبِيبِي، لَمْ  
أَعْتَدْ رَؤْيَاكَ بِهِ ذَاهِلًا الشَّكَلِ، الْمَعْذِرَةُ  
حَبِيبِي، لَتَغْسِلَ أَوْلًا وَتُنْظِفَ نَفْسَكَ؛  
لَأَنَّنِي أَشْتَاقُ إِلَيْكَ يَا رَجُلَ.

حَسَنًا، قَدْ فَهَمْتُ مُرَاوِدَكَ يَا صَغِيرَتِي.

قالها عابدين وانصرفَ إلى دورة المياه؛  
ليغسل وينظف جسده، بينما آمنة قد  
أسرعت لخزينة الملابس، فأخرجت منها  
صندوقاً يحوي بداخله أدوات الزينة  
الخاصة بها، لتنجّل لزوجها كمال و  
كانت عروسًا ليلة زفافها!

ما العمل يا أبا يحيى؟

قالتها ليلى لعز الدين.

عز الدين: لا أدرى يا أم يحيى!

ليلى: كيف؟

ثم أضافت: لا خير له في مالنا، وإن كان قد وضع ماله بهذا البيت، فذلك قبل موته أباكم، أما وقد مات أبوكم فلا مال له عندكم، وبالتالي لن نقوم بتقسيم البيت الذي يأوينا.

نظر لها عز الدين بعجب، ثم أضاف:  
سبحان من سواك!

هذا يكون القول الأصح.

صغيرتي الحبيبة، غزالتي الجميلة،  
أشتاقك جميلاً.

قالها عابدين بصوتٍ هادئ بعد طرقٍ  
خفيفٍ على باب غرفة آمنة.

فتحت له آمنة على مهلٍ؛ ليراهَا في  
أبهى حلقة بعد أن تجملت فأكحلت  
العيون، وأكرمت الشعر، وطيّبت الجسد.

دلف بالهفة وأغلق دونه الباب.

جذّي أنا عطشى، أريد ماءً.

قالتها زينب وهي مغمضة العينين.

نهضت جاتّها راجية فجأة فجأتها الماء؛  
كَي تروي ظمأها.

سلمتِ جدّة، تُصْبِحَنَ عَلَى خَيْرٍ.

وأنْتِ كَذَلِكَ يَا ابْنَةَ قَلْبِي، ثُمَّ قَبَّلَتْ جَبِينَهَا  
وخلدت هي الآخرى إلى النوم.

ضبابُ يُغشِّي المَكَانَ، تَشَابَّكُ الأَشْجَارُ  
يُوحِي بِالْفَزَعِ، بِوْجُودِ ظُلْمَةِ اللَّيلِ.

جماجُّ مُنْثُورَةٌ عَلَى جَانِبِي الْطَّرِيقِ، أَيُّ  
طَرِيقٍ هَذَا الَّذِي تُزِينُهُ الْجَمَاجُّ؟!

يَبْدُو وَكَانَهُ طَرِيقُ الْلَّاعُودَةِ!

صوتٌ مُرْعِبٌ يُنادِي: عَابِدِينَ.

كُلُّمَا نَادَى الصَّوْتُ ارْتَجَّ المَكَانُ بِمَا  
عَلَيْهِ.

كادت أنفاس عابدين تنقطع من فرطِ  
نشاط قلبه، فقصةُ الصدر يعلو ويهبط،  
يسيرُ على أطرافِ أصابعه؛ كي لا تلمحه  
الجامجم!

يعلمُ عِلم اليقين أنَّها مُجرد رُفاتٍ فاقدَ  
القدرة والحركة، لكنَّ خوفهُ تغلبَ على  
علمهِ فظنهَا تقوى على الحركة، بل  
وبإمكانها أنْ تفتَّ بِهِ.

تائِهًا لا يدرِي ما الذي جاء به إلى هنا؟  
وكأنَّ ذاكرته قد مُحيت للتقو، هناك طرقٌ  
يدلفها الشخص دون خيار، وعليهِ أنْ  
يُكملها بِكامل إرادته.

ما هذا الذي أسمعه؟

همسَ بها عابدين لنفسه.

صوت حركةٍ بطيئةً قد تسبّبَ في جفافِ  
دمه!

نظرَ حولهُ فلم يجد شيئاً قد تغيّر،  
فالجماجم كما هي، وتشابكُ الأشجار كما  
هو، والظلام يقطعهُ بصيص من ضوءِ  
القمر.

أقنعَ عقلهُ بـألا يلتفت وأكملَ سيره،  
لحظاتٍ وتكررَ ما سمعهُ قبلَ قليل.. وقفَ  
فتوقفَ الصوت، تمنى لو ابتعاتهُ الأرض  
في تلكَ اللحظة، قررَ أنْ يُواجهَ مخاوفهُ  
فاستدارَ رويداً رويداً فإذا بهِ وقد اتسعتْ  
حدقاته، أخذَ ينظر بفمِ فاغِرٍ لـ تلكَ اليدِ  
الخارجية من باطنِ الأرض!!

لم يتمالك خوفهُ فصرخَ بـكُلِّ ما أوتيَ من  
قوّة؛ لتكونَ صرخاتهِ هي مفتاح السرّ

في عودة الرُّفات للحياة.. بينما هو من  
أصبح مكانهم!

عابدين، عابدين.

ماذا بك يا حبيبي؟

قالتْها آمنة وهي تُحاول ايقاظه، ثم  
أضافت: لماذا تصبّ عرقاً هكذا؟!

تفضّل بعض الماء.

احتسى عابدين بعض حسوات من كوبِ  
الماء، ثمَّ أَسندَ رأسه على صدرِ آمنة،  
وأخذَ يبكي.

ما الذي قد فعلته بنفسك يا ابن حزينة؟!

قالها عابدين موجهاً السؤال لنفسه.

أخذت آمنة تمسحُ على رأسه بحنانٍ  
بالغ، حتى كفَ دمعهُ واعتدلَ جالساً

على الفِرَاش: صَفِيرْتِي، لَا أُرِيدُ العُودَة  
إِلَى تَلَكَ الْبَلَد مَرَّةً أُخْرَى.

وَمَن ذَكَرَكَ بِهَا؟

قَالَتْهَا آمِنَةٌ بَدْهَشَةً.

أَكْمَلَ عَابِدِينَ حَدِيثَهُ: أَشْتَاقُكِ وَزَيْنَبِ  
جَمِيلَتِي، لَا تَرْكِينِي لِنفْسِي وَالشَّيْطَانَ!

وَمَا دَخَلَ الشَّيْطَانَ بِالْأَمْرِ عَابِدِينَ؟

أَشْعُرُ وَكَائِنَّكَ قدْ تَغَيَّرْتَ بَعْضَ الشَّيْءِ.

عَابِدِينَ: لَا شَيْءٌ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُغَيِّرْنِي  
سَوْى قُرْبَكِ يَا صَفِيرْتِي، وَالآنَ أَيْنَ  
إِفْطَارُ الْعِرَائِسِ يَا عَرْوَسُ قَلْبِي؟

تَبَسَّمَتْ آمِنَةٌ بِخَجْلٍ ثُمَّ ذَهَبَتْ لِتَأْتِيهِ  
بِطَلْبِهِ.

أُمِّي، أَصْحَيْخُ مَا قَالَتْهُ جَدَّتِي؟

قالتْها زينب بلهفة.

آمنة أثناء إعداد الإفطار: صباحُ الخيرِ  
عزيزي.

زينب بمرح: صباحُ الخيرِ أميرتي.

آمنة بعدما قالتْها: صباحُكِ جميل يا زينة  
الفتيات.

أجل صحيح، وهو جالسٌ بالغرفة مُنتظراً  
الإفطار، دعىني أخبره بشوقِي إليه قبلَ  
أنْ تدلفي لتأسلمي عليه.

كما اتفقنا، سنضفت على عابدين؛  
ليتازلَ لنا عن حقِّهِ بالبيتِ الكبيرِ، لنأمن  
على أنفسنا منه.

نَحْنُ عُصبةٌ وهو بمفردِهِ، وسنكون أشدّ  
بمعيّةِ أزواجِ أخواتكم.

قالها عز الدين محدثا بها إخوته.

تمتم الجميع بالموافقة.

طرقت آمنة الباب ثم فتحت على مهلٍ  
وهمست لعابدين: زينب ت يريد أن تسلم  
عليك.

فما كان منه إلا أن ارتدى جلبابه  
الفضفاض في الحال.

كان الحق معى حين أخذت ملابسك من  
هناك حبيبى.

قالتها آمنة بدلال.

تبسم لها عابدين وأضاف: سلمت لي يا  
ابنة قلبي.

خرج عابدين إلى صالة البيت؛ ليُفاجأ  
بزينب وقد كَبُرَ جسدها وتغيّرت  
ملامحها، تبسمت له فذرفت عيناه.

قبل يدها وجبينها، ثمّ احتضنها وهو  
ي بكى.

ربت آمنة على كتفه بحنانٍ ثُمَّ طلبت من  
زينب أن تُنادي جدتها من سطحِ البيت؛  
كي تتناول معهم الإفطار.

عابدين، ماذا هناك؟

أشعر وكأنَّ السفر قد غيرك!

حتى أَنْتَ قد نسيت الدُّعاء الذي علّمنا  
إيه النبي صلى الله عليه وسلم،  
والخاص ببيان الزوج زوجته، رغم أنك  
لم تنساه قط طيلة الأعوام السابقة.

نظرَ عابدين إليها بعينِ دامعتينِ، ثُمَّ  
أضاف: سامحني صغيرتي، أمان قلبي  
وآمنتُه.

قد رأيت بغربتي ما لا يسرّ الخاطر.

خيراً إنْ شاءَ الله.

قالتُها آمنة بلهفة.

عابدين: لا تعلّي همي آمنة.

آمنة: وإنْ فعلتَ، فَمَنْ الَّذِي يَحْمِلُ عَنِّكَ  
بعضَ همكَ حبيبي؟

قبلَ عابدين رأسها، وجلسَ مُنتظراً قدومَ  
زينب وجذتها؛ ليتناولوا الطعام سوياً.

## الفصل الرابع

قد كَبُرْتُ الصغيرة يا أمّها قبل أوانها!

قالها عابدين لآمنة أثناء جلس تهمها  
سطح البيت.

آمنة: ألا برّكت حبيبي، بارك الله في  
جذتها راجية؛ فهي من ترعاها، لم  
تحرمها من شيء، تفعل لها ما تُريد،  
وتطعمها من خيرات الله، ولا تخُل  
عليها بشيء.

ضحك عابدين حتى بدت نواجه ذهño ثم  
أضاف:

لا حُرمناها أبداً، نعم الخليفة هي لعمي  
الشيخ زكرياء!

آمنة: رحمات الله عليك يا أبي.

عابدين: كم عمرها الآن يا أمّها؟

آمنة مُندّشة: أنسنت عمر ابنتك!

عابدين مُبتسماً: المعذرة يا صغيرتي.

آمنة مُبتسمة: الغُزْرُ لِأَيُّ يَا أَبَاها، قد  
أتمت الستة أعوام مُنذْ شهرين.

عابدين مُندّشًا: فقط ستة أعوام!

ظننتها أكبر من ذلك بكثير، رضي الله  
عن الخالة راجية، ورحم عمي الشيخ  
ذكرى.

آمنة متأثرة: اللهم آمين يا رب العالمين.

زينب، زينب.

نعم يا جدة.

راجية: هيّا بنا.

زينب: إلى أين؟

راجية مُبتسمة: إلى مكانٍ سيفُرِح قلبك.

زينب بسعادة: هيَا بنا يا جدّة.

أخذتها الجدّة راجية وذهبتا إلى بيت العمة ماريا؛ لتفصل لها ثياباً جديدة تستر جسدها البعض.

وصلتا إلى البيت، وما أن رأتهما العمة ماريا حتى هشّت لهما وبشّت، صافحت الجدّة وعانتها وكذا زينب، ثمَّ أدخلتهما البيت.

تفضلاً يا خالة راجية من هنا.

قالتْها ماريا مُشيرَةً إلى غرفة الضيافة.

ردّتْ عليها الخالة راجية بصوتٍ فرِح: لم نأتِ للضيافة يا أمّ ماجد، جئناكِ في

طَلَبٌ بِخُصُوصِ عَمَلِكِ، فَلَنْجَسْ بِجَوَارِ  
مَاكِيَّةِ الْحِيَاَةِ بِالصَّالَةِ.

سُرَّتْ مَارِيَا مِنْ قَوْلِ رَاجِيَّةٍ، ثُمَّ جَلَسَنَ  
بِالصَّالَةِ وَبِجَوَارِ مَاكِيَّةِ الْحِيَاَةِ.

كَيْفَ حَالُكِ يَا أُمَّ مَاجِد؟

قَالَتْهَا رَاجِيَّةٌ بَعْدَ أَنْ خَلَعَتْ الْحُبْرَةَ  
وَوَضَعَتْهَا بِجَانِبِهَا.

نَحْمَدُ اللَّهَ يَا خَالَةَ رَاجِيَّةٍ.

قَالَتْهَا مَارِيَا بُحْزَنٍ وَكَأَنَّ بِقُلُوبِهَا غَصَّةً  
تُسْرِي بِحَلْقَهَا!

رَاجِيَّةٌ: مَالِكٌ يَا ابْنَةَ الْمُقْدَسِ؟

نَظَرَتْ مَارِيَا إِلَيْهَا، ثُمَّ أَسْرَعَتْ وَارْتَمَتْ  
بِحَضْنِهَا وَأَخْذَتْ تَبْكِي.

أخذت راجية تربت على كتفها بحنانٍ ثم  
تابعت: أو يحمل قلبِ الصغير كلَّ هذا  
الحزن يا بُنيتي؟

هل تسبَّبَ رياض في حُزْنِكِ؟

نظرت لها ماريا نظراتٍ تؤكِّد صحة  
شكّها.

غضبت راجية وأضافت: وأين هو الآن؟  
ماريا بصوتٍ يقطعهُ البُكاء: ذهبَ إلى  
الحقل يا خالة.

راجية بعدَ أنْ مسحت دمعها: تعلمينَ أَنَّكِ  
وآمنة بقلبي سواء، تعلمينَ أم لا؟  
ماريا: أعلمُ أمي.

راجية: كانتْ أمِكِ (تريز) بمثابة أخت  
لِي، فأنَا وحيدة أبواي كما تعلمينَ، لأجلِ

هذا كانت هي قريبة مُنّي، وأنتِ كذلك  
بالنسبة لامنة ابنتي.

ماريا بعدما قبّلت جبينها: أعلم ذلك يا  
خالة.

راجية: حسناً، أتساءل: ماريا ابنة  
المقدس مكرم لم تجد رجلاً غير رياض  
أبو لبيب لتتزوج به؟

ماريا: أراه النصيب خالة.

راجية مُبتسمة: النصيب الذي اخترتني  
أنتِ بقلبكِ ماريا!

ماريا بخجل: أنرتِ الدار يا زينب، كبرت  
الزينة حماها الله.

راجية: لأجل هذا جئناكِ.

ماريا: أنا في خدمتكم خالة.

راجية: سلمت وغمنت بنيتي، أريدك أن  
تفصل لي لها ثوابين أو ثلاثة بذوقك  
الجميل، هذا هو القماش لتأخذيه.

ماريا بعدما قبّلت زينب وأخذت من  
راجية القماش: حسنا يا خالة، هل لك  
مواصفات أم أفصل بالمواصفات  
القديمة؟

راجية: نعم، لدى بعض المواصفات،  
أريد أن يكون الثوب ساتر، واسع،  
فضفاص؛ كي تأخذ راحتها به وليس تر  
جسدها البعض، حفظها الله.

ماريا: آمين، حسنا خالتى ليكن ما  
أردت، ثم اس تاذتها وذهبت لتأتيهما  
بواجب الضيافة.

آمنة أمعك مفتاح الغرفة؟

قالها عابدين وهو يرتدى جلباه.

آمنة: أجل حبّبِي، أأنهض لاتيَّاكَ به؟

عابدين مُبتسماً: ليس الآن، ارتاحي قليلاً

يا صغيرتي، وأنا سأذهب إلى إخوتي.

آمنة: حماكَ اللهُ حبّبِي.

لِمَ كُلَّ هذا التعب يا أمّ ماجد؟

قالتها راجيةٌ بعدها وضعت ماريَا واجب

الضيافة أمامها.

ماريَا: لا يوجد تعب ولا غيره يا خالة،

واجب الضيافة هذا أقلّ من مقامكِ

العالىٰ، بالهناءِ والشفاءِ.

مذَّت راجيةٌ يدها فتناولت بعض الفايش

(نوع من المخبوزات التي يتميّز بها أهل

الصعيد)، وأعطتهُ لزينب ومعهُ كوب

شاي خفيف، أما هي فتناولت بعض  
الكعك مع كوب شاي جبر (شاي ثقيل  
جداً أعيد غليانه أكثر من مرّة).

ماريا بعد ما أخذت مقاسات زينب،  
وجلست على ماكينة الحياكة: وكيف  
حال آمنة يا خالة؟

راجية: بخير يا بنتي.

ماريا: أصحيح ما قد سمعته يا خالة،  
بخصوص عودة زوجها للحياة مرّة  
أخرى؟!

وضعت راجية كوب الشاي جانباً، ثم  
تنحّدت وقالت: لا أدرى ماذا أقول يا  
ابنتي؟!

ماريا بدهشة: خيراً يا خالة، ماذا حدث؟

راجيةً بعدها نظرت لزينب: ليس الآن يا  
ابنتي، ليس الآن.

ماريا: كما تُريدين يا خالة.

أهلاً، أهلاً، أهلاً.

قالها عز الدين حين رأى عابدين.

هذا هو أخي، لا ذاك الميت الهاوب من  
القبر!

تبسمَ لِهِ عابدين وأضاف: الحمدُ للهِ،  
كيفَ حالكم يا أبا يحيى؟

عز الدين بعد عناق: نحمدُ الله يا أبا  
زينب، ماذا حدث لك يوم عودتك؟

عابدين بعدها جلس: ظلمتُ يا ابن أمّ،  
ظلمتُ ظلماً فاحشاً، وحينَ رأني أحد  
الرجال على حالي تلك، أشفقَ عليَّ

وأٰتى لِي بِأُوراقي مَنْ مَنْ ظلمني، ثُمَّ قَامَ  
بِالْحِزْ الْبَحْرِي لِي؛ كَيْ أَسْتَطِعُ العُودَةَ  
إِلَى هُنَا.

عَزُّ الدِّينُ: جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا.

عَابِدِينُ: يَا رَبَّ، أَبَا يَحِيَّى جَئْنَاكَ  
لِأَسْتَأْذِنُكَ فِي الْعُودَةِ لِلِّاقَامَةِ بِغُرْفَتِي.

عَزُّ الدِّينُ: غُرْفَتِكَ مَحْفُوظَةٌ كَمَا هِيَ يَا  
أَبَا زِينَبٍ.

عَابِدِينُ: حَسَنًا، حَسَنًا.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ

قَالَتْهَا رَاجِيَةً بَعْدَمَا فَتَحَتِ الْبَابِ وَدَلَفَتْ.

زِينَبٍ، اِذْهَبِي إِلَى غُرْفَةِ أُمِّكِ فَأَخْبِرِينِي  
إِنْ كَانَتْ يَقِظَةً؟

زِينَبٍ: حَسَنًا يَا جَدَّةً.

أسرعت زينب بالوقوف أمام باب غرفة آمنة، طرقت الباب وأخذت تنادي عليها دون أن تدخل.

أمي، أمي، جاتي بحاجة إليك إن كنت بِقِطة.

أتها صوت آمنة وهي تغالب النوم:  
حسنا يا زينب، إذهبى وسائلحق بك.

لحظات وكانت آمنة تجلس مع راجية بفnaire الدار.

ما بك يا ابنتي؟

آمنة: بخير يا أمي.

راجية بعدما هزّت رأسها: كيف حاله معك؟

آمنة بخجل: كال usual أمي.

ragia: حسناً، خذِي حذركِ فعابدين به  
شيء لا يعلمه إلا الله.

آمنة بخوف: مثل ماذا أمي؟

ragia: الله أعلم، الأيام كشاف الحقائق.

آمنة: أين ذهبتما يا أمي؟

ragia: ماريا تُرسلُ إليكِ السلامات.

آمنة بدهشة: أذهبتِ لماريا دون أن  
تأخذني معكِ أمي؟

ragia:رأيتُكِ مشغولة بزوجكِ، فذهبتْ  
وزينب لقضاء أمر ما.

آمنة: أمر ماذا أمي؟

ragia: أردتُ أن أفصلَ لزينب ثوبين أو  
ثلاثة؛ كي تستر بهم جسدها البعض  
ومحسنها التي ظهرت قبل أوانها.

آمنةً بعَدَمِ قُبْلَتِ جَبِينِهَا: سَتَرَكِ اللَّهُ دُنْيَا  
وآخرةً أُمّي.

دَلَفَ عَابِدِينَ، أَلْقَى السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ  
وَقَالَ: لَا أَدْرِي كَيْفَ أَشْكُرُكِ يَا خَالَةَ؟!

مَهْمَا فَعَلْتَ لَنْ أَفِيكِ حَقّكِ، لِيَجْعَلَنَا اللَّهُ  
سَبِيلًا لِدُخُولِكِ الْجَنَّةَ.

رَاجِيَةٌ: عَلَى مَاذَا تَشْكُرُنِي؟

قَدْ حَفِظْتُ لَحْمِي وَعِرْضِي مِنْ بِهَدْلَةِ بَيْتِ  
أَبِي الْمَكَارِمِ.

تَبَسَّمَ عَابِدِينَ وَأَضَافَ: لَنْ يَحْدُثْ وَأَنَا  
حَيٌّ أُرْزَقُ.

رَاجِيَةٌ: أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكِ يَا وَلَدِيِّ.

عابدين بعدها قبّل يُمناها: أستاذك خالة  
في أن آخذ آمنة وزينب لُقْيم بغرفتنا  
بيت أبي.

راجية: وبعدها تُسافر وتركتها لأخواتي؛  
ليُضيّقوا عليها عيشها، لن تفعل ما دام  
بيت الشيخ زكريا لا زال مفتوحاً بالخير  
واللخير.

وما أن سمع عابدين اسم الشيخ زكريا  
حتى سالت عبراته.

آمنة: أمّي لا تُكري عليه، لن يتركنا  
ثانية.

عابدين بعدها كف دمعه: لا تقأة في  
حالة، ستكون الأمور على ما يُرام.  
راجية: حسناً.

آمنة: سأذهب لأجهز أشيائي.

دلفت غرفتها ولحقها عابدين.

ما أجمل الغزال البري!

قالها عابدين.

استدارت آمنة وتوقفت عن تغيير ملابسها.

ماذا هناك يا رجل؟

قالتها بدلال.

عابدين عندما اقترب منها: كُلّ خيرٍ صغيرتي.

آمنة: عابدين ليس الآن؛ فأمّي تجلس خارج الغرفة، وزينب ستأتي من سطح البيت.

عابدين بصوتٍ رخيم لا تقوى آمنة على  
مقاومته: ألا تُريدين أن يكون لزينب أخ؟

آمنة بصوتٍ حانٍ: بالطبع أريد، ولكن  
بعد أن تُرزق بعملٍ يكفينا ذلّ السؤال.

عابدين: لكنني لا أستطيع، سأفعل ما  
بوسعي ليكون لها أخاً يؤنس وحدتها،  
ويُشاركها الفرح والطرح.

أسرع إلى الباب فأغلقه بالقفل، ثم هدأ  
من ضوء لمبة الجاز، حتى باتت  
إضاءتها خافتة.

مضت الأيام وعادت آمنة لحياتها  
القديمة قبل أن يُسافر عابدين، لكنها  
لاحظت أن عابدين لم يكن كما عاهده؛  
إذ أصبح مُتقلب المِزاج، لا يسعى للتغيير

وضعهم المادي الصعب، فقط يريد طعاماً  
ومضاجعة، لا أكثر!

عابدين، وماذا بعد؟

قالتْها آمنة وهي تجلس بجواره على  
الأريكة.

عابدين وقد وضع يده على بطنهما؛  
يتحسس نبض جنينهما: ماذا حدث يا  
جميلاتي؟

آمنة بعدما أزاحت يده عن بطنهما: مرّت  
الأشهر وأوشكت على الوضع، ولا شيء  
يُعينني على ذلك في هذا القحط.

عابدين: لا تحملني همّا ياصغيرتي،  
فالطفل يولد ويولد معه رزقه.

آمنة: إنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَمَا فَائِدُكَ بِالنَّسْبَةِ  
لِهِ؟

عابدين: ماذا تقصدين آمنة؟

آمنة: ما أقصدهُ أنْ تَبْحَثَ لِكَ عَنْ عَمَلٍ  
نَقْتَاتٍ مِنْهُ، يَكْفِي مَا فَعَلْنَاهُ بِأَمْمِي حِينَ  
تَسْبِّبُنَا فِي بَيْعِ بَعْضِ أَرْضَهَا؛ كَيْ نَبْقَى  
عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ!

عابدين بغضب: أَتُعَايِرُنِي؟

آمنة: أَتَرِي الْحَقْيَقَةُ مُعَايِرَةً؟

عابدين: ماذا تُرِيدُنِي؟

آمنة: أُرِيدُكَ أَنْ تَسْعِي لِرِزْقِكَ، فَإِنْ لَمْ  
يَكُنْ هُنَا فِي أَرْضِ اللَّهِ وَاسِعَةً، لَتَسْعِي فِي  
مَكَانٍ آخَرَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى.

عابدين: حسناً، سأفعل، ولكن بعد وضعك.

جاء الربيع، نسمات الهواء تشفى العليل، تنوعت المحاصيل الزراعية، فرسمت لوحة فنية بأرض الحقول.

الكل يتجهز للاحتفال بالنسيم، فهذا تقوم بعمل الفطائر، وتلك تسلق البريض، وأخرى تجهز الجبن القديم والعسل الأسود.

دوى صراغ آمنة أرجاء بيت أبي المكارم، هرع النسوة وتركت ما كنّا يفعلنه.

أخذ عابدين يبكي على بكائها.

دلفت ليلى وباقى النسوة، فرأت آمنة تستغاث من شدة المها.

طلبت من عابدين أن يذهب إلى الحاجة  
راجية؛ لحضور ولادة ابنتها.

إذهب إلى الحاجة راجية فأبلغها بأنَّ  
آمنة ستلد الآن.

سمع كلامها وأسرع إلى بيت راجية.

طرق الباب، فتحت له زينب، سألهما عن  
جذتها، أخبرتهُ أنها تطعم الطيور بسطح  
البيت.

صعدَ السُّلْمُ الطيني بسرعة، رأها  
فأخبرها بحالة آمنة.

ضربت على صدرها بيديها، ثم أمرت  
زينب أن تأتيها بالسكين الحاد.

زينب بعدما جاءتها بالسكين: تفضلي يا  
جدة.

أخذت منها راجية السكين، وعلى الفور  
قامت بذبح فرختين وبطتين، ثم وضعنهم  
بحقيبة سوداء، ومعهم الكثير من السمن  
البلدي، وبحقيقة أخرى وضعت الفايش  
الذي أعدّته مسبقاً لهذا الغرض.

وصلت راجية لبيت أبي المكارم، وضعت  
ما جاءت به جانبًا وصعدت إلى غرفة  
ابنتها.

وجدت النسوة يملأن الغرفة، أمر تهنهن  
بالخروج، بقيت هي مع ابنتها بصحبة  
القابلة نجيبة (أم نبيب).

سأموت أمي، استوصي بزينب خيراً.

قالت لها آمنة بصوت ضعيف.

أمسكت راجية بيدها وقالت: ستعيشين يا  
ابنتي، لتكوني أكثر صبراً على المك.

القابلة بصوتٍ يشوبهُ القلق: حالتها  
خطيرة يا عمة راجية، مُمتنٌّ رَحْمها  
بتؤمن لا بجنيٍ واحد!

ragiyyah: اللهم بارك، كوني قوية يا آمنة،  
وأنت يا أمّ لبيب مجيدي ربّك، وسأليه  
التسير.

Amm Lubib: يا مُسهل يا ربّ، اللهم يسر لها  
وضعها ولا تفجعنا فيها.

ragiyyah: آمنة، أقرأي ما تيسّر من القرآنِ  
الكريم، وصل على السراجِ المنير، اللهم  
صل وسلام وزد وبارك عليك يا حبيب الله  
محمد.

أخذت آمنة بنصيحة أمها فسلمت  
وشرعت في قراءة الفاتحة، وما أنْ

انتهت منها حتى علا صوت أم لبيب: يا  
مسهل يا رب، هانت يا آمنة.

أخذت تطلق حتى جاء ولدها الأول إلى  
الدنيا، وبعده بعده دقائق جاء الآخر.

رأى عابدين طيفاً أثناء جلوسه بجوار  
قبر أمّه، فرأى عينيه فلم يجد شيئاً، أكمل  
حديثه الذي بدأه حين جاء.

ظلمت أمي وما أصعب الظلم!

قالوا لي أن الله يحبني ولا إثبات حبّي له  
سُبحانه وتعالى، لا بد وأن اتبع  
طريقهم؛ إذ هو الخلاص من كُل همٍ  
وغمٍ، بل هو الرفعة والراحة الأبدية.

فرحت كثيراً جداً، فمثالي أمي لا يفقه  
شيئاً، أنى لي بحب الله؟

سَهُلُوا لِي الْأَمْرَ وَأَخْتَصُرُوا عَلَيَّ  
الطَّرِيقَ، أَخْبَرْتَهُم بِحَيَاةِي وَمَا احْتَوَتْ  
عَلَيْهِ مُذْوَلَتُ وَإِلَى أَنْ قَابَتَهُمْ.

فَرَحُوا بِي أَيْمًا فَرَحٌ! فَأَنَا الْمُنْتَظَرُ  
خَاصَّتْهُمْ؛ بَلْ أَنَا مَنْ يَبْحَثُونَ عَنْهُ مُذْذَبٌ  
مِئَاتِ السَّنِينِ!

رَأَيْتَهُمْ يَتَسَاهَلُونَ فِي صَلَاتِهِمْ وَكَذَا أَمْرُورُ  
دِيْنِهِمْ، أَخْبَرْتَهُم بِالصَّحِيحِ فِعْلَاهُ كَمَا  
عَلِمْنِي شِيخِي زَكَرِيَا رَحْمَهُ اللَّهُ، لَكُنُّهُمْ  
وَبِحِيلَةٍ مَا كَرِهَ أَقْنَعْتُهُمْ بِأَنَّ الشَّيْخَ زَكَرِيَا  
هُوَ الْخَطَأُ، وَأَنَّ مَا عَلِمْنِي هُوَ إِلَّا  
مَحْضُ ضَلَالٌ!

قَوَمْتُ أَفْكَارَهُمْ لِكُنَّ شَيْطَانِي قَدْ اسْتَسْلَمَ  
لَهُمْ؛ بِحُجَّةٍ أَنَّهُمْ أَعْلَمُ مَنْ يَدْعُونِي، فَأَنَا الْأَمْمَى  
الْجَاهِلُ.

آهِ يا أُمّي على ما حَدَثَ لي!

قد سُرقت مُنْيٌ دون علمي.

وَقَبْلَ أَنْ يُكَمِّلَ جَاءَهُ يَحِيَّ مُبْشِراً.

مُبْرُوكِ يا عَمّي، أَلْفَ مُبْرُوكِ.

بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا رَزَقَكَ.

كَافَ فَعَابِدِينَ دَمْعَهُ وَقَالَ: أَوْضَعْتَ  
آمِنَةً؟

يَحِيَّ بِحَمَاسٍ: أَجْلُ عَمِّي.

عَابِدِينَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَطَائِهِ الْجَزِيلِ.

يَحِيَّ: قَدْ وَضَعْتَ تَوَأْمَانِي، جَمِيلَانِ  
كَالْبَدْرِ لَيْلَةً تَمَامِهِ!

عَابِدِينَ بِدَهْشَةٍ: إِنَاثُ أَمْ....

فَاطِعَهُ يَحِيَّ: ذَكْرِيَّنِي يا عَمِّي.

عابدين وقد اتسعت عيناه: ماذا  
؟|||||||||

هذه إشارة قد أُخبرتُ بها من قبل.

يحيى: خيراً يا عمّي؟

عابدين: لا تشغلى بالآك يا ولدي، هيا بنا  
لنرى أبناء عمّك.

## الفصل الخامس

بدلت آمنة ثيابها بمعاونة أمها، ثم استلقت على سريرها، بينما راجية قد نَظَفَت الفراخ والبط، ووضعتهم في إناءٍ به ماء على الموقد الحطبي (الكانون).

وأقامت بعملِ أكلة سريعة لتناولها آمنة؛ كي تزيد من طاقتها وتعوضها عمّا أحدهُ الوضع من إرهاق.

آمنة، تفضّلي يا ابنتي.

قالتها راجية وهي تُعطيها طبقاً به الكثير من الفايش الصعيدي، مُضافاً إليه ماء مغلي بالسمن البلدي والسكر.

أخذته منها آمنة وشرعت في تناوله.

سلمتِ أمي.

قالتها آمنة بعد أول ملعقة.

راجية: بالهباء والشفاء يا بُنْيَتِي، حمداً  
للّهِ عَلَى سلامتكِ.

طرقَ عابدين الباب، فتحت له راجية،  
اقربَ من آمنة، قبَّلَ جبينها وقال: حمداً  
للّهِ عَلَى سلامتكِ جميلتي.

آمنة بصوتٍ واهن: سلمت لنا أبا زينب.

عابدين بعدما نظر إلى الوليدين: بارك  
الله لنا فيهما وحفظهما.

اللّهُمَّ آمين يا ربّ.

قالتها راجية، ثُمَّ حملت أحدهما وتقدمت  
من عابدين قائلة: بسم وبرّك.

عابدين ببسمةٍ صافية: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ  
بارك، حملهُ وقبلَ جبينهُ ثُمَّ أعادهُ لجذبه.

وضـعـتـه راجـيـة بـجـانـب آمنـة، وـحـمـلـتـهـاـ الآخـرـ وـأـعـطـتـهـاـ لـعـابـدـيـنـ، سـمـىـ وـحـمـلـهـاـ قبلـ جـبـينـهـ ثـمـ أـعـادـهـ إـلـيـهاـ ثـانـيـةـ.

آمنـةـ: الـكـبـيرـ زـكـرـيـاـ وـ.....

قـاطـعـهـاـ عـابـدـيـنـ بـقـوـلـهـ: لاـ، بلـ الـكـبـيرـ سـالـمـ وـالـصـغـيرـ غـامـمـ.

آمنـةـ: وـلـكـنـاـ قـدـ اـتـفـقـتـ مـعـيـ عـلـىـ زـكـرـيـاـ.

عـابـدـيـنـ: شـيـخـيـ زـكـرـيـاـ أـغـلـىـ مـمـاـ تـتـخـيـلـيـنـ صـفـيرـتـيـ، لـذـاـ حـفـظـتـ وـدـهـ بـقـلـبـيـ، وـتـعـاهـدـتـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ نـفـسـيـ عـلـىـ أـلـاـ يكونـ هـذـاـ الـاسـمـ الـغـالـيـ لـأـيـ أـحـدـ!

راجـيـةـ بـعـدـمـاـ هـزـتـ رـأـسـهـاـ وـكـأـنـهـاـ تـوـافـقـهـ الرـأـيـ: صـحـ، كـلـمـكـ صـحـيـحـ يـاـ وـلـدـيـ.

آمنة بغضب: ما تقوله ليس صحيحاً  
عابدين، سأسمّي ابني باسم أبي.

نهرتها راجية بقولها: التزمي الصمت يا  
امرأة، الولد لأبيه يسميه كيفما شاء، ما  
دام الاسم حسناً جميلاً.

لا حُرمتُك أبداً خالة، قالها عابدين ثم قبلَ  
يُمناها.

أراها ستقيم معنا؟

قالت لها ليلى.

ردت عليها سعيدة زوج وليم: قد أتت  
لابنتها بأشياء كثيرة وخيرات أكثر.

ليلى: أجل يا أم عز الدين، فآمنة  
وحيدتها، كما أنَّ بيت الشيخ زكرياء لا  
زال عامراً بالخير.

سعيدة: كان كذلك قبل أن تبيع نصف أرضها؛ لتنفق على بيت ابنتها.

ليلي: صدقت سعيدة، فعابدين لا يعمل منذ عودته، لا يفاح في شيء سوى الإنجاب!

ضحكتا وذهبتا لإكمال أعمالهما المنزلية.

بلغت زينب عامها السابع بعد مولد الصغيرين بشهر واحد، أي في شهر يونيو عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين من الميلاد.

زاد الفقر وتفاقم الأمر، بينما زاد بهاء زينب وجمالها، فصارت تطلب للزواج حتى قبل بلوغها المحيض!

كُلّ من يراها يتمنّاها؛ لحسنها الملحوظ، فهي المليحة ذات السبعة أعوام، لكنَّ

قوامها قوام فتاة ناضجة الأنوثة، فائقة  
الجمال، وهذا ما جعل الخطاب يتقدّمون  
لها راغبين في الزواج منها.

أتعلمين يا آمنة أنَّ زينب كُلُّها أنوثة، هي  
المعنِيُ الحرفِي للأنوثة يمشي على  
قدمين.

قالها عابدين.

آمنة بعذما أنهت رضاعة الصغيرين:  
أعلمُ ذلك، دعْنَا مِنْ زينب الآن،  
وأخبرني متى ستبث عن عمل، فالبيت  
خالٍ من الخيرات، وأمّي لا تقوى على  
تحمّل أعبائنا أكثر من هذا، لكيْها لا  
تتفوّه.

عابدين: حسناً، سأبحث عن عملٍ بإحدى  
القرى المجاورة بدايةً من الغد.

ليَكُن التوفيق حليفاً.

قالتْها آمنة ونامت بجوار الصغيرين.

قد سألتُ لِكَ صاحب الأرض التي أعمل بها، إِنْ كَانَ بِحاجَةٍ إِلَى عاملٍ أمْ لَا، فوافَقَ فِي بَادِئ الْأَمْرِ لِكَنَّهُ رَفَضَ فِيمَا بَعْدَ.

قالَهَا سمير لصاحبِه عابدين.

تَهَدَّ عابدين ثُمَّ قالَ: شُكْرًا لِكَ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ سمير.

سمير بعد ما ربتَ على كتفه: دعني أتحدث مع إخوتك إنْ أردت.

عابدين: تتحدث معهم بخصوصِ ماذا؟

سمير: بخصوص حقك في كل شيءٍ  
بدايةً من البيت الكبير ونهايةً بخيرات  
الأرض.

عابدين: لا، لا تفعل بالله عليك؛ فإخوتي  
وأزواج أخواتي قد اجتمعوا على أكلِ  
مالي، وأجبروني على التنازل عنوةً وهم  
يعلمون أنه لا مكان لي سوى بيت أبي.

ربت سمير على كتفه بحنانٍ وأضاف: لا  
تحزن، سيجازيهم الله بما فعلوا، ثم تركه  
وراح ليُمارس عمله.

عاد عابدين بخفقانٍ حنين إلى آمنة، لا  
يدري ماذا يقول لها؟

رأته جالساً شارد الذهن، سأله عن  
العمل الذي بحث عنه، لم يجيبها، كررت  
عليه السؤال فعاد من شروده إلى واقعهِ

المري، ليقول لها: قد بحثت ولكنني لم  
أجد أية فرصة للعمل!

ضررت بيدها على صدرها وأضافت:  
ماذا؟

وماذا عسانا أن نفعل؟

ربت عابدين على يديها بحنانٍ بالغ ثمَّ  
قال: سيدبرها الله من حيث لا ندري.

آمنة بعد تهديدة حارة: ونعم بالله العظيمِ  
العظيم، ولكن ما العمل إذا؟

كيف سنعيش بدون مال؟

من أين نطعم أبناءنا؟

و قبل أن تكمل دلفت زينب، تحمل بينَ  
يديها صينية مليئة بالخيرات؛ إذ طهت  
راجية بعض الدجاج والأوز وأرسالته

بمرقِهِ إلى آمنة، لتطعم وتطعِم زوجها،  
أَمَا عن زينب فقد طعمت حتى شُبعت  
بمعيَّةِ جدتها.

تمر الأَيَّام ويتعلّم الصَّفَرَانَ الْحَبَو؛  
تمهيداً للمشي على قدمين، بينما الفقر  
قد بلغ أقصاه، حتى كسرة الْخُبُز إن لم  
ترسلها راجية يموتون جوعاً!

قد زار الاكتئاب آمنة لأول مرّة بعمرها؛  
إذ ضيق الفقر عليها صدرها فلاتهنأ  
بنوم ولا بغيره، خاصةً بعد حملها الأخير  
البالغ عمره الشهرين.

كرهت نفسي والحياة، ماذا عسَى أنْ  
أفعل؟

قالتَها آمنة بصوتٍ حزين.

أَخْبَرْتَهُ سَارِاجِيَةً أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُضْعِفَهَا  
وَسِيَّجِرْ قَلْبَهَا عَمَّا قَرِيبٌ، لَكُنَّهَا لَمْ تَكُنْ  
لَتَفَرَّحَ بِأَمْلٍ قَدْ ماتَ بِقَلْبِهَا، بَعْدَ أَنْ دَهْسَهُ  
الْوَاقِعَ دُونَ رَحْمَةٍ.

أَصْبَحْتُ لَا تَهْتَمُ بِنَفْسِهَا، لَا تَجُوعُ أَوْ فُؤْلُ  
تَجَاهِلُ الطَّعَامَ، هِيَ لَا تُرِيدُ الْبَقَاءَ عَلَى  
قِيدِ الْحَيَاةِ؛ إِذَا مَا فَائِدَةُ الْحَيَاةِ إِنْ كَانَتْ  
بِلَا حَيَاةَ، مُجْرَدُ رُوتَينٍ يَوْمَيِّ ثَقِيلٍ عَلَى  
النَّفْسِ وَالْقَلْبِ، حَيَاةٌ مُجْرَدَةٌ مِنَ الْحَيَاةِ!

انْطَفَأَ أَضْوَءُ آمِنَةٍ وَاخْتَفَتْ بِسَمْتَهَا، تَحِيَا  
وَكَانَهَا جَسْدٌ بِلَا رُوحٍ، كَشْبَحٌ سَجْنَتُهُ  
تَعْوِيذَةٌ مَلْعُونَةٌ بِقَبْرٍ لَا يَقُولُ عَلَى  
الْخَرُوجِ مِنْهُ!

لَمْ يَبْحُثُوا عَنِ السَّبَبِ الَّذِي أَوْصَلَهَا إِلَى  
تَلَاقِ الْحَالِ الصَّعِبةِ، لَكُنَّهُمْ أَيْقَنُوا أَنَّهَا

بِحَاجَةٍ إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْخَطْوَةِ؛ كَيْ  
يُصْرِفَ عَنْهَا مَا أَصَابَهَا مِنْ سَّحْرٍ سَقِيمٍ!

فَكَرَ عَابِدِينَ كَيْفَ يُقْتَعِهَا بِالذَّهَابِ مَعَهُ  
إِلَى أَحَدِ الدِّجَاجِلَةِ، الْمُتَخْفِي بِثِيَابِ الْوَرَعِ  
وَالْتَّقْوَىِ، حَاوَلَ مَعْهَا لَكَنَّهَا رَفَضَتْ؛ إِذْ  
هُوَ فَعْلُ مُحْرَمٍ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَانْقَطَطَ لِبَنَهَا، بَكَى صَغِيرًا هَا  
لِجَفَافِ ثَدِيهَا، أَلْحَى عَلَيْهَا عَابِدِينَ وَكَذَا  
رَاجِيَةً، حَتَّى وَافَقَتْ عَلَى مَا أَرَادُوا.

فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ أَخَذَهَا عَابِدِينَ وَذَهَبَا  
قَاصِدِينَ الشَّيْخَ (عَمَادَ أَبْوَ كَفَ)، الشَّهِيرُ  
بِفَكِ الْأَعْمَالِ، وَلَا نَسْأَفَ بَيْنَ بَلَدَتَهُمْ  
وَالْمَرْكَزِ بَعِيدَةٌ نَوْعًا مَا، خَرَجَا مِنَ الْبَلَدِ  
بَاكِرًا؛ كَيْ يَصْلَأَا قَبْلَ الظَّهَرِ.

وبعد غناء وصلا إلى بيت (عماد)، لم  
يستطيع الدخول من كثرة الجالسين أمام  
وداخل البيت!

أسرع عابدين إلى سكرتير عماد  
والمسؤول عن حجز ودخول الزبائن،  
أسرر له ببعض الكلمات، دلف السكرتير  
إلى الغرفة الخاصة بالكشف، وخرج  
مناديا باسم عابدين.

أمسك عابدين بمعصم آمنة ودخل.

غرفة رحبة مزينة ببعض النقوش، مقعد  
خشبي عظيم القيمة يتواطئها، يقدمه  
موقد حطبي متوسط الحجم لكنه عميق  
إلى حد ما.

عماد، كَهُلْ سَمِينٌ، يَرْتَدِي جَلْبَابًا أَبْيَضًا،  
وَيُزِينُ جِيدَه بِبَعْضِ السُّبَحِ الْمُصَنَّوعَةِ  
مِنَ الْعَاجِ.

قَدْ هَرَبَ الْهَوَاءُ مِنْ غُرْفَتِهِ وَحَلَّ مَحَلُّهُ  
الْبَخُورُ، بَخُورٌ مُتَعَدِّدٌ الرُّوَايَحُ، يُمْسِكُ  
بِيَدِهِ الْقَبْضَةُ فِيْيِقِيهَا بِالْمَوْقِدِ الْحَطْبِيِّ؛  
لَتَشْتَعِلْ بِهِ النَّيْرَانُ.

شَعَرَتْ آمِنَةُ بِالْأَلْمِ يَعْتَصِرُ قَلْبُهَا حِينَ دَلَفَتْ  
تَلَاقِيَ الْغُرْفَةِ، تَاهَةً هِيَ وَيَكَانُهَا بَيْنَ الْحُلْمِ  
وَالْيَقْظَةِ!

أَخْبَرَهُ عَابِدِينَ بِخَبْرِهَا، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا  
أَنْ تَبْسَمْ لَهَا وَقَالَ: سُتُّصْبِحُ الْأَمْوَارُ عَلَى  
مَا يُرَامُ، لَا تَقْلَأْيِ، وَاقْتَرَبَ مِنْهَا فَبَسَّمَ  
وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهَا.

انتفضت آمنة وشعرت بثقل رأسها،  
تذكّرت آية الْكُرْسِي فأخذت تقرأها سرّاً،  
رفع عماد يده من على رأسها بسرعةٍ  
رهيبة، ورمقها بنظرةٍ تحوي بداخلها  
معاني الدهشة المُختلفة.

حاول أن يضع يده على رأسها مرتّةً  
أخرى؛ لكنَّ آية الْكُرْسِي قد أجمتهُ أنْ  
يفعل.

ماذا تفعلين أنتِ؟

قالها عماد بغضب.

ردّت آمنة بثقةٍ: لا شيء سوى ترديد  
بعض آي الذكر الحكيم، أولست سترقيني  
بعض آي القرآن الكريم؟!

تَبَسَّمَ عَمَادُ وَأَضَافَ: حَسَنًا، لَا مَكَانَ لِكِ  
هُنَّا؛ إِذْ أَنَّكِ لَا تُؤْمِنِينَ بِنَا فَلَا دَوَاءَ لِعَلَّتِكِ  
عَنْدَنَا.

ثُمَّ نَظَرَ لِعَابِدِينَ وَقَالَ: هِيَ بَخِيرٌ، لَكُنَّهَا  
تُعَانِي مِنَ الْاِكْتَشَابِ؛ النَّاجِمُ عَنْ ضِيقِ  
الْحَالِ وَالْمَعِيشَةِ.

عَابِدِينَ: هِيَ تَشَاءُّ بِي شَيْخِي مُذْ عُودَتِي  
مِنَ الْغُربَةِ.

عَمَادُ: لَا يَا ابْنَتِي، زَوْجُكِ هَذَا مِنْ  
الْأَخِيَارِ، قَدْ تَعْرَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ خَلَالِ شِيوُخِ  
الطَّرِيقَةِ، فَلَا تَشَكِّي بِهِ ثَانِيَةً.

آمِنَةُ مُتسَاعِلَةٌ بِدَهْشَةٍ: وَمَا الطَّرِيقَةُ؟

عَمَادُ: طَرِيقَتِنَا الَّتِي نَنْتَهِجُهَا.

عَابِدِينَ: هِيَ لَا تَعْلَمُ سَيِّدِي.

عماد: حسناً، اذهب بي يا ابنتي ليحفظكِ  
الله.

عادت آمنة إلى البيت وقد تسللَ شعاع  
الأمل لداخلها، أيقنت حينها أنَّ الله معها  
ولن يُضيئها، علِمت أنها لا غنى لها عن  
ربِّها، حتَّى وإنْ حاولَ عابدين إبعادها  
عن طرِيقِهِ سُبْحانَهُ وتعالى، بطريقَةٍ أو  
بأُخْرَى، لن تتصالِع لأمرِهِ ما دامَ في  
معصيةِ الخالق.

قد انكرَ عليها حجابها الفضفاض، كما  
أنكرَ عليها حفظها لكتابِ اللهِ العزيزِ،  
وكذا صومها للأيَّام القمريَّة، والتزامها  
بالتَّسْنِينِ والنِّوافلِ.

قد ضيقَ عليها عيشها حتَّى أُمِرَّضَ  
نفسها، أمرها أنْ تخلي حجابها لكونَهَا لم

لَطْعُ أَمْرِهِ، فَزَادَ مِنْ تَضِيقِهِ عَلَيْهَا حَتَّى  
فَقَدَتِ الشَّغْفُ وَالْأَمْلُ، وَحَلَّ الْإِكْتَسَابُ  
ضِيَافًا عَنْهَا.

لَكِنْ وَبَعْدَ عُودَتِهَا قَدْ قَوِيتَ عَزِيمَتِهَا،  
وَعَادَ إِلَيْهَا أَمْلُهَا مِنْ جَدِيدٍ، لَنْ يُسْتَطِعَ  
عَابِدِينَ وَلَا غَيْرِهِ أَنْ يُفْكِرَ دَهَا أَمْلُهَا  
وَشَغْفُهَا مَرَّةً أُخْرَى.

## الفصل السادس

مضت الأيام وأكمل الصغiran عامهما الأول منذ شهر، وها هي زينب قد أكملت عامها الثامناليوم، الموافق الرابع عشر من شهر يونيو لعام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسون.

زادت ملاحتهَا، فصارت غيادة، حوراء تسرّ الناظرين.

رغم أنه ألم تبلغ المحيض بعد، إلا أنَّ  
شباب البلدة قد تقدّموا لأبيها، راغبين  
في القرب منهُ والزواج منها.

قد رفضت آمنة زواج ابنتهما، معللةً  
رفضها بأنّ زينب لن تتزوج إلّا بعد  
حصولها على الشهادة الجامعية.

أنكر عابدين إصرار آمنة على إكمال زينب تعليمها، لكنه لم يسعط الوقف أمامها؛ لعدم تحمله أعباء الأسرة والإنفاق على أبناءه.

قد أتقنت زينب القراءة والكتابة، كما حفظت عشرة أجزاء من القرآن الكريم، وظهر نبوغها مذ دخولها المدرسة الابتدائية.

لاحظت زينب أن أباها يتلو أوراداً ما أنزل الله بها من سلطان، يحفظها عن ظهر قلبٍ من كتبٍ صغير، يحمل اسمًا غريباً لطريقته ما، شعرت بخطرٍ بالغ، هي لا تعي ماهيتها بالضبط، لكن هذا شعرت.

لا أريده أن تلمسني بعد اليوم.

قالتْها آمنة مُحذّرة عابدين.

عابدين: لِمَ يا صغيرتي؟

آمنة بغضب: ما دُمْتَ ترْغِبُ فِي  
المُضاجعة، فَلَا وَفْرٌ لَنَا سَكَنًا، لَكِنْ أَنْ  
تُضاجعني أَمَامَ صِفَارِي، فَهَذَا بَرْبِي لَا  
يُرضِي اللَّهَ وَلَا يُرضِينِي.

عابدين: هُمْ لَا يَفْقَهُونَ.

آمنة: وزينب، لَا تَفْقَهِ أَيْضًا؟

عابدين: وما دخل زينب؟

آمنة: قد رأتنا البارحة، وجاءتني تبكي  
خوْفًا عَلَيَّ مِنْكَ!

عابدين: كَيْفَ رأَتْنَا؟

آمنة: نومها خفيف، وقد أيقظتها  
بصوتك أثناء لقاءنا.

عابدين ببرود: س تكُر و س يُفْعَل بِهَا مَا  
رأتنا نفعلهُ.

آمنة بغضب: حسناً، لن تلمسني بعدَ  
اليوم، قرار لا رجعة فيه.

تمرّ الأيّام ويزاد قحط عابدين، ولو لا أنَّ  
الله قد سخر لآمنة وأبناءها أمّها راجية؛  
لهاكوا مُنذ زمان!

أمّا عابدين فيذهب يومياً لبيوتِ أخواتِهِ،  
فيُطعمُهُ ما شاءَ أَنْ يَطْعَمُ، ما دامَ قد  
سقى آمنة الحنظل والعلقم فهو حبي بهنّ،  
إذ يَغرنَ منها لكونها ابنةُ الشِّيخ زكرياء،  
بالإضافةِ لجمالها الأخاذ.

سألت زينب أمّها ذات مساء عن والدتها،  
فقالت: أمّي، هل يُعرفُ أبي القراءة  
والكتابة؟

أجابتها آمنة بالنفي.

صمتت للحظة ثم قالت: إن كان كذلك،  
فكيف يحفظ أوراده من كتبه الخاصة  
بالطريقة التي يتبعها؟!

آمنة: قد حفظوه إياها حين كان في  
الغربة.

زينب: من هم؟

آمنة: بعض الطيبين، قد نصحوه  
بالطريقة التي ينتهيونها، وأعطوه العهد  
والمياثق.

زينب بدهشة: أي عهد أمي؟

آمنة: عهد الطريقة!

وبعد ستة أشهر قرر عابدين العودة إلى  
حيث جاء؛ فقد ضاقت به وبأسرته

الحياة، حتى أنّهم لم يجدوا كسرة الخبز،  
كما افتقرَ بيتُ الشّيخ زكريـا رحـمةُ اللهـ،  
فصارت الحاجـة راجـية تقبل بعض  
الصدقات من الجامـع!

باعت آمنـة آخرـة قطـعة أرـضٍ من أرـضِ  
أبيـها؛ لـثـدـبر لـعـابـدـين مـصـرـوفـات السـفـرـ،  
وـعـدـها بـأـنـ مـالـ الـأـرـضـ دـيـنـ بـرـقـبـتـهـ  
بـجـانـبـ ذـهـبـهـ الـذـي بـاعـتـهـ لـأـجـلـ سـفـرـهـ  
الـسـابـقـ.

مرـرت سـتـة أـشـهـرـ عـلـى سـفـرـ عـابـدـينـ، لـمـ  
يـرـسلـ خـلـالـهـ جـنـيهـاـ وـاحـدـاـ؛ لـكـنـهـ قدـ جاءـ  
بـنـفـسـهـ.

لـمـ تـصـدـقـ آمنـةـ مـا رـأـتـهـ عـيـناـهـاـ، حـينـ  
دـلـفـ عـابـدـينـ مـمـسـكـاـ بـحـقـيـقـةـ سـفـرـ كـبـيرـةـ.

أَخْبَرُهَا بِأَنَّهُ قَدْ وَجَدَ عَمَلاً جَيِّداً، وَمَنْ  
خَلَالَهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْمِعَ الْمَالَ الْكَافِي؛  
لِشَرَاءِ بَيْتٍ يَجْمِعُهُ بِأَسْرِتِهِ.

سَلَمَ عَلَى آمِنَةَ وَأَبْنَاءِهِ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ  
الْحَاجِ مُحَمَّودَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمَالَ الَّذِي  
ادْخَرَهُ خَلَالِ سَتَةِ أَشْهُرٍ، وَكَتَبَ لَهُمْ  
الْبَاشِكَاتِبُ (جَدُّهُونَ) عَقْدًا ابْتِدَائِيًّا، أَخْذَهُ  
عَابِدِينَ وَذَهَبَ إِلَى حِيثُ قَطْعَةُ الْأَرْضِ.

أَرْضٌ عَارِيَّةٌ تُقْدَرُ مَسَاحَتُهَا بِقِيرَاطٍ إِلَّا  
رُبْعٌ، لَا سَكَنَ حَوْلَهَا وَلَا وَنَسَ، فَقَطْ  
نَخِيلٌ يَمْلأُ الْمَكَانَ هُنَا وَهُنَاكُ.

سَارَ عِدَّةُ أَمْتَارٍ فَوْجَدَ تَرْعَةً مِيَاهَ تُرُوِي  
مَا حَوْلَهَا مِنْ أَرْاضٍ زَرَاعِيَّةٍ، اسْتَبَشَرَ  
خَيْرًا، ثُمَّ عَادَ لِأَرْضِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

جاءه عز الدين وبدلاً من أن يُهْنأْ قال  
له: مبارك يا أبا سالم.

عبددين بعدهما صافحه: بُورك فيك يا أبا  
يحيى.

عز الدين: وهل ستعطينا بعضها؟ لنزوج  
بِهِ يحيى؟

عبددين مُندَهشًا: ماذا؟!  
عز الدين: قد بلغ يحيى مبلغ الرجال مُنذ  
عامين، وقد آن الأوان لنزوجَه.

عبددين: وما شأني بزواجه؟  
عز الدين: كيف وأنت تسكن غرفته؟!  
عبددين: بل غرفتي.

عز الدين: بل غرفة يحيى، قد صبرت  
عليك

كثيراً، أما وقد أصبح لك بيئتاً فلا حق لك  
في غرفة يحيى.

عابدين: لكن، هذا بعض حقي من البيت  
الكبير.

عز الدين ضاحكاً: يبدو أنك قد نسيت  
تنازلك عن حقوقك لي.

عابدين وقد تساقطت عبراته: لتصبر  
عليّ حتى أقوم ببناء بيتي بهذه الأرض.

عز الدين: لن يحدث، فيحيى لا يقوى  
على الصبر أكثر من هذا، لكن بإمكانني  
أن أجعلاه يصبر بضعة أيام بالعدد، لا  
أكثر من ذلك.

عابدين بصوتٍ مقهور: كما تُريد يا أبا  
يحيى.

انقضتْ المُدّة التي حذّرها عز الدين، وها هي آمنة تُحرِّم أمتعتها؛ استعداداً للذهاب إلى بيته الجديد.

لَم يُعْطِهِمْ عز الدين بعضاً من حبوب الذرّة؛ ليطحنوها ومن ثم يصنعون منها الخبز، بل لَم يُعْطِهِمْ حتّى غُرفة النوم والأريكة، إذ أخذها ليُزوّج بها يحيى.

وصلت آمنة وأبناءها البيت، فرحاً به رغم بساطته، بيتٌ مكوّن من غرفتين ودورة مياه، جمّ يعهم من الطوب الأحمر، أمّا باقي مساحة البيت فقد تركها عابدين، واكتفى بتدويرها بأربعة جدران من اللبن.

فتح لهم الباب، باب ضخم مصنوع من عروقِ الشجر، به الكثير من الشقوق.

بـسـمـلـتـ آـمـنـةـ ثـمـ دـاـفـتـ وـدـاـفـ معـهـاـ  
الـأـبـنـاءـ.

فـرـحـوـاـ كـثـيـرـاـ وـيـكـانـ الـذـنـيـاـ سـتـبـتـسـمـ لـهـمـ..  
لـمـ يـكـونـواـ يـعـلـمـوـنـ مـاـ يـخـبـأـ لـهـمـ بـدـاـخـلـ ذـلـكـ  
الـبـيـتـ!

## الفصل السابع

تركهم عابدين بعدهما أقامَ معهم شهرين،  
ثمَّ عادَ إلى عملِهِ بإحدى الدول العربية،  
تركهم وقد أتمَّ زينب عامها التاسع،  
بينما أتَمَّ التوأمان سالم وغامِ عامهما  
الثاني، فقامت آمنة بفطامهما.

تركهم بأرضِ موحشة، لا ساكنَ بها  
غيرهم، لا ماء، لا طعام، لا شيء يُعينهم  
ليبقوا على قيدِ الحياة!

لجأت آمنة لِأمْها؛ كي تُنقذُها من خطرِ  
الجوع، لم تُخذلها راجية، فعمَّرت لها  
بيتها من الخيرات، بعضها من معاش  
الشيخ زكريا \_ رَحْمَهُ اللَّهُ، والبعض  
الآخر من صدقات الجامع.

تأكل آمنة وأولادها من الصدقات التي  
تآتتهم بها راجية، بينما عز الدين  
وإخواته ينعمون بمال زوجها، زوجها  
الذي أخذوا منه حقه بميراث أبيه رغمًا  
عنه.

مررت الأيام واكتشفت آمنة أنها حامل، لم  
تدر ماذا تفعل؟

فبيتها خالٍ من مقومات الحياة، لا مجال  
لوجود طفل جديد، يحيا معذبًا، فقط لأنَّ  
أباه مُفتقر لا فقير!

علمت بحرمة إجهاض الأجنة، فحملاته  
بين أحشائهما، والحزن يعتصر قلبهما، لا  
حيلة لها ولا سند.

نظرت حولها فوجدت نفسها هي الأب  
والأم لأبنائهما، أبناءها الذين حرموا

عطف الأب وحناه، بل حرموا الأبوة  
من الأساس، يحيون دون أب رغم بقائه  
على قيد الحياة!

مغارة بحضن الجبل، لا صوت يعلو فوق  
سرعة نبضات القلب، تقدم منها، خطى  
بعض الخطوات، حتى وصل لبابها، وقفَ  
بضعة ثوانٍ قبل أن يدخل.

الظلم يملأ جوفها، اللاشيء يسكنها،  
رائحتها مُنتهية قد زكمت أنفه، ورغم ذلك  
لم يتاخر، بل أكمل سيره حتى توقفَ  
بمُنتصفها.

خالع رداءه الأسود، ثم خر ساجداً،  
القهقةة تملأ المكان، وصدى صوتها  
يُوحى بالفزع، لكنه لم يُفزع ويكتبهُ

اعتدَّ عليها وعلَى صاحبها، كما اعْتَدَ  
السجود للاشِيء!

عابدين.

ناداهُ بصوتٍ جَهوريٍ مُخيفٍ.  
رفع عابدين رأسهُ وقال: لبيك مولاي!

من أنا؟

عابدين: أنتَ الذي لا يُقهَر، أنتَ الذي لا  
يَفْنِي، أنتَ الذي لا يُهزم.

عادتْ القهقهة من جديد.

صَدَقْتَ وأصَبْتَ بُنْيَّ.

قالها بصوتٍ خافتٍ هذهِ المرّة، وكأنَّهُ لا  
يُصدِّقُ!

عابدين.

ناداهُ مرّةً أخرى.

عابدين: لبيك.

لَمْ اخترتنِي؟

عابدين: بل أنتَ مولاي مَنْ اخترتنِي.

أَهٌ عَلَى مرور الزَّمْنِ!

لَكُمْ انتظرتَ قدوتكَ مُنْذُ زَمْنٍ، وَهَا أنتَ  
اليوم بَيْنَ يَدَيِّ.

عابدين بصوتِ وَجْلٍ: خادُوكَ المُطِيع  
مولاي.

بَلْ أَنْتَ ولدي، ولدي الذي لم يُخلق  
منِّي، بل أنتَ أقربُ إِلَيَّ منْ بَنِيَّ.

عابدين: لأجل رضاكم أبدل المزيد.

لَكِنَّ الفِعل مُخْتَلِفٌ هَذِهِ الْمَرَّةِ.

عابدين: حتى وإنْ كانَ.

غایتنا هي أسرتك!

عابدين: ماذًا؟

ألا نستحقهم؟

عابدين: تستحقونَ الأفضلَ منهم مولاي.

بل هُم.

عَلِمَ عَابِدِينَ أَنَّ الْقَرَارَ قَدْ صَدِرَ، وَلَا  
يُمْكِنُهُ أَنْ يُوقِفَهُ مَهْمَا فَعَلَ، فَاسْتَكَانَ لِأَمْرِ  
اللَاشِيَّةِ.

تَمَرَّ الْأَيَّامُ وَيَزِدَادُ ظُلْمُ عَابِدِينَ لَا مُنْتَهَى  
وَأَبْنَائِهِ، هَا هِيَ قَدْ وَضَعَتْ طَفَلَهَا الرَّابِعُ،  
وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، بَلْ وَلِمْ يُرْسَلَ لَهَا قَرْشَانًا  
وَاحِدًا مُنْذُ سَفَرِهِ.

جَاءَتْهَا إِحْدَى جَارَّتِ بَيْتِ أَبِي الْمَكَارِمِ،  
لِتُخْبِرَهَا بِأَنَّ عَابِدِينَ قَدْ سُمِّيَ ابْنُهُ (عَبْدُ

القادر)، اعترضت آمنة لكنَّ راجية قد  
نهتها عن الاعتراض.

بَكَتْ آمِنَةً وَقَالَتْ: قَدْ تَرَكَنِي لِلْعَرَاءِ  
وَرَاهُ، لَمْ يَعْتَلْ هَمَنَا يَوْمًا، أَشْعُرُ وَكَانَهُ  
يَتَجَاهَلُنَا، قَدْ تَزَوَّجَنِي لِأَمْرِ اللَّهِ بِهِ عَلِيمٌ.

تَسَاءَلَتْ زَيْنَبْ بَعْدَ ذَهَابِ الْجَارَةِ: أُمِّي،  
كَيْفَ عَلِمَ بِوْضُعِكِ وَبِنَوْعِ الْجَنِينِ وَهُوَ لَا  
يَتَوَاصِلُ مَعَنَا؟

آمِنَةُ بِلَا مُبَالَةٍ: رُبَّمَا أَخْبَرَهُ عَزِّ الدِّينُ أَوْ  
إِحْدَى أَخْوَاتِهِ.

لَكَنَّ زَيْنَبَ لَمْ تَقْتَنِعْ بِجَوابِ أُمِّهَا.

قَدْ فَعَلْتَ مَا طَلَبَ مِنِّكَ مِنْذُ الْبَدَائِيَّةِ، مِذْ  
لُقِيَانَا بِلَوْ حَيْنَ وَقَعْتَ بِقَبْرٍ وَأَنْتَ صَغِيرٌ،  
أَتَذَكَّرُ يَا عَابِدِينَ؟

عابدين بعد تهيدة حازة: أجل، وكيف  
أنسى مولاي؟

حينها عدت إلى البيت وكأني شخصٌ  
آخر، غير الذي ذهب لزيارة قبر والديه!

صدقت، ومن الآن فصاعداً ستصبح  
شخصاً غير هذا وذاك.

عابدين بدهشة: كيف؟

أما وقد حافظت على عهودنا مذ  
عاهدناك، وبعدها قمت بتنفيذ وتلبية ما  
طلبناه منك دون اعتراض، ومؤخراً  
وضعت الأمانة بمحلها.

عابدين: أجل، قد فعلت مولاي.

حان الآن موعد التكريم، التكريم الذي  
لن يرى مثله أنسى، هو مخصوص لك

وَهُدُوكَ عَابِدِينَ، كَمَا أَنَّا لَنْ نَجِدُكَ  
شَبِيهً، فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ التَّكْرِيمُ لِائِقًا  
بِكُنْزٍ نَادِرٍ كَانَتْ.

عَابِدِينَ مَذْهُولًا: أَهِيَ الْمُكَافَأَةُ الَّتِي  
وَعَدْتَنِي بِهَا مَوْلَاي؟

أَجَلْ عَابِدِينَ، أَلَا يَهْمِكَ مَعْرِفَةُ مَا هِيَ  
الْمُكَافَأَةُ؟

عَابِدِينَ بِلْهَفَةٍ: بُلَى يَهْمِنِي مَوْلَاي.

سَأَرْحَمُكَ مِنْ ضَعْفِكَ، وَأَقْوِيكَ بِبَعْضِ  
قُوَّتِي، سَأَجْعَلُكَ سَيِّدًا، بَلْ مَلِكًا لِقَبِيلَةٍ  
عَظِيمَةٍ، سَتَتَّهِي رَحْلَةُ عَابِدِينَ  
الضَّعِيفِ، وَتَبْدأ رَحْلَةُ عَابِدِينَ الْمُخْلِصِ  
الْقَوِيِّ.

سَتَكُونُ الْأَمْرُ النَّاهِيُّ، سَأَجْعَلُ سَادَاتِ  
الْقَبَائِلَ خَدَمًا لَكَ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ (أَبَدُون)!

## الفصل الثامن

عابدين وقد اتسعت عيناه من الذهول:

أَبَدُون يَا مَوْلَاي؟

أَجَل، أَبَدُون.

عابدين بعينين لامعتين من شِدَّةِ الفرح:  
قد سمعت عنْهُ مُذ دلفت عالمكم، هو من  
الأقواء المعدودين مولاي.

أَجل، هو ذاك عابدين، ولكن حاشاك أنْ  
تُغضبه، فلا أحد يقوى على كبح غضبه  
أو الوقف أمامه، إن قوته شديدة،  
عارمة، عاتية، فاحذر غضبه.

صوت الهواء يُحِيط بالمكان، الشَّمس  
حارقة، لا طعام، البيت فارغ من الماء  
منذ يومين، مرضت الحاجة راجية فلم

تُعد تأثيرهم كما كانت تفعل يوميًّا، ضاقت  
الذُّنْيَا بهم، أُسرة كاملة يتم تدميرها  
بطريقةٍ تكتيكيةً!

قد قاطعهم عز الدين وإخوته وأخواته  
لحظة دخولهم بيـنَ تهم الجديد وإلى الآن،  
رغم مرور العام على تلك اللحظة.

ظللت آمنة مُلتزمة بعهدها لنفسها، حتى  
 وإن أظلمت الذُّنْيَا بوجهها لـن تيأس، لـن  
تفقد الأمل ما دام لها رب يُدبر لها  
الأمور.

ربّت أبناءها على الإيمان واليقين باللهـ  
الـعـلـيـ العـظـيمـ، وكـذا حـبـ المـصـطفـىـ  
الـعـدـنـانـ وـسـائـرـ الرـسـلـ الـكـرامـ.

لم تنجح مخططات عابدين في إذلالها  
بالفقر، لم تفلح الأعيبـهـ في سرقةـ أمـلـهاـ

وقوّة يقينها، بل زادها الفقر شِدّةً في  
صبرها، وقوّة في إيمانها.

أرضعت صغيرها الصبر كما أرضعت  
إخوته من قبل، زرعت في قلوبهم  
الصغريرة حُبَّ خالقهم ومولاهם، قوّت  
يقينهم بآئِه لا أحد لهم إِلَّا سُبحانهُ  
وتعالى، وما دامَ اللَّهُ معهم فلن يضيرهم  
شيء.

اللَّيَام تمضي وآمنة تزيد من كفاحها  
على صغارها، قد أتمّت زينب عامها  
الثاني عشر، وأتمّت معهُ ختم القرآن  
الكريم حِفْظاً وتلاوة على يدِشيخ  
الكتاب، بينما أتمَّ التوأمان سالم وغانم  
عامهما الخامس، وكان قد أتقنا أداء

الصلوة وكذا حفظ الثالث الأول من القرآن  
الكريم.

أَمَّا عن عبد القادر فقد أصابته نزلة  
مُعويَّة فمات على إثرها بعد أن أتمَ عامهُ  
الأَوَّل؛ إذ لم تجد آمنة المال لتهذب بهِ  
إلى الطيب، ترجمت عزَّ الدين وأخواتهِ  
لكنْ لا أحدَ يُجيب، قاموا بطردها وأغلقوا  
الباب دونها.

نادت بأعلى صوتها: أينَ أنتَ يا عابدين؟  
ابنَكَ يموت، لا أحدَ يُنقذه، أينَ أنتَ  
ومالك؟

عابدددددددددين!  
نطقتها وخارت قواها فاللتزمت الصمت.

عَلِمْتُ أَنَّ مُرَادَ اللَّهِ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ،  
فَوَضَتْ أَمْرَهَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،  
وَجَلَسَتْ تَبْكِي رَضِيعَهَا الْحَزَنَ، تَساقِطَتْ  
عَبَرَاتُهَا عَلَى جَبَنَّهِ، فَفَتَحَ عَيْنَاهُ وَنَظَرَ  
إِلَيْهَا وَتَبَسَّمَ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى وجْنَتِهَا  
وَكَانَهُ يَمْسُحُ لَهَا دَمَعَهَا!

قَبَّلَتْ يَدَهُ وَوَضَعَتْهَا عَلَى قُلُوبَهَا، وَكَانَهَا  
تُرِيدُ إِيصالَ نَبْضِهَا الْحَزَنَ لِقُلُوبِهِ  
الصَّغِيرِ.

لَحْظَاتٍ وَكَانَتْ رُوحُهُ الزَّكِيَّةُ قَدْ صَدَعَتْ  
لِبَارِئَهَا، بَكَتْهُ آمِنَةً بِصَمَتٍ عَمِيقٍ، يَقْطَعُهُ  
أَحْشَاءُهَا قَبْلَ قُلُوبَهَا.

عَجَّا لِهَذَا الْحُزْنُ!

يَدْلُفُ الْقَابَ فَيُمْرِضَهُ، وَيَعْهَدُ إِلَى  
الْأَحْشَاءِ فَيُفْتَتِهَا، وَإِلَى الْعَيْنَ فَيُسْكِنُهَا.

فِصْمَ ظَهَرُهَا وَاتْشَحَ قَابِهَا بِالسَّوَادِ لِلْمَرَّةِ  
لَا تَدِرِ كِمْ!

أَوْشَكَتْ امْتَحَانَاتُ الشَّهَادَةِ الابْتِدَائِيَّةَ  
لِزِينَبَ، الْأَمْرُ تَسِيرُ كَمَا خَطَطَتْ لَهَا  
آمْنَةَ، إِذْ لَمْ تُحْمَلْ أَبْنَاءَهَا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ،  
يَكْفِيهِمْ مَا يَتَحْمَلُونَهُ مِنْ فَقْرٍ مُّدْقَعٍ.

عَلِمَتْ سَالِمُ وَغَانِمُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ،  
وَكَذَا قِصَارُ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ثُمَّ  
دَفَعْتُهُمَا إِلَى كُتَّابِ الْبَلْدَةِ لِيُتَمَّا الْحَفْظُ.

تَقْضِي يَوْمَهَا مَعَ أَبْنَائِهَا مَا بَيْنَ صَلَاتَيِ  
وَذِكْرِ، وَصَوْمٍ وَتَسْبِيحٍ.

أَمَّا رَاجِيَةُ فَتَّةِ وَمِبْرَيْيَةِ الطَّيْوَرِ، حَتَّى  
تَحْمُلُ لَحْمًا ثُمَّ تُعْطِيهَا لِآمْنَةَ، فَتَذْبَحُهَا  
وَتُطْهُوْهَا، لِتُطِعِّمَ أَبْنَاءَهَا، وَهَذَا تَسْتَمِرُ  
الْحَيَاةُ.

قد اقتسمت راجية معاش الشيخ زكريا  
مع ابنته آمنة؛ ل تستطيع الأخرى الإنفاق  
على أبنائها.

أراضٍ عما وصلت إليه عابدين؟

قالها اللاشيه بصوتٍ جهوري.

عابدين بصوتٍ وجل: رضائم غايتها  
مولاي.

سادت القهقة المكان.

حسناً، ولكن ليس قبل أن تكون منّا  
فعلياً.

عابدين بدهشة: كيف؟

هنا صمت اللاشيه للحظاتٍ ثمَّ تابع: قد  
اخترت لك أقرب أبنائي إلى ليتمثل

بجسـدك؛ كـي يـعطيـكـ من القـوـةـ مـالـمـ  
يـعطـهاـ أحـدـ قـبـلـكـ.

عـابـدـيـنـ مـُـتـسـائـلـاـ: لـاـ أـفـهـمـ موـلاـيـ.

أـنـتـ المـخـتـارـ خـاصـ تـناـ، قـدـ اـنـتـظـرـنـاـ  
قـدـوـمـكـ إـلـىـ الـذـيـاـ مـنـذـ زـمـنـ، وـحـينـ أـتـيـتـ،  
كـنـّـاـ نـتـرـقـبـ السـاعـةـ التـيـ سـيـجـمـعـنـاـ فـيـهـاـ  
الـلـقاءـ.

فـعـلتـ مـاـ طـلـبـنـاهـ مـنـكـ دـوـنـ تـأـخـرـ، تـزـوـجـتـ  
مـنـ الصـالـحـةـ اـبـنـةـ الصـالـحـ زـكـرـيـاـ....

عـابـدـيـنـ مـُـقـاطـعـاـ: لـمـ هـيـ دـوـنـ غـيرـهـاـ  
موـلاـيـ؟

قـدـ اـخـتـرـنـاـهـاـ لـكـ عـابـدـيـنـ؛ إـذـ مـنـهـاـ تـكـونـ  
الـذـرـيـةـ الصـالـحـةـ، وـحـرـبـنـاـ نـدـنـ مـعـ  
الـصـالـحـيـنـ لـاـ مـعـ غـيرـهـمـ.

عابدين: قد فهمت مولاي.

أسعيد مع بناتي؟

عابدين: لم أشعر قبل إتيانهن بسعادة.

حسناً، بعد أن يسكنك أبني القريب  
مني، ستزداد قوتك، ولن تملّ منهم أبداً،  
بل ستأتي أضعافهن عدداً!

عابدين بالهفة: متى ستنكون جسدي  
مولاي؟

الآن إن أردت ولكن، ثم صمت.

عابدين: ولكن ماذا مولاي؟

أتقدر على المقابل؟

عابدين: أقدر إن شاء لي مولاي.

نريد قرباناً!

عابدين: إنس أم جن، أم طير أم حيوان؟

آمنة وذريتها.

عابدين مشدوهاً: ولكن....

ولكن ماذا بُنيّ؟

ستملك الأرض بعدَ هذا القرابان، ستكون  
أقوى بشرى على وجه الأرض، ستزيد  
متعتك، ستنعم بالذات والمتع، حتى وإنْ  
بلغت أرذل العمر، ستكون بشهوة شابٍ  
لم يتعدّي الثلاثون بعد.

عابدين وقد لمعت عيناه: أحقاً مولاي؟

ليس هذا فحسب؛ بل سأجعلك ترى  
عيوني، وتسمع بأذني، وتخظّو بقدمي،  
وتضاجع بقوّتي.

عابدين: خادمك المطير مولاي، ولكنْ  
ماذا إن كشف أمرِي؟!

لَا تُقْلِقْ، لَنْ يَسْ تُطِيعْ أَحَدْ أَنْ يُفْسِدْ  
عَلَيْنَا مُخْطَطْنَا.

انتصَبَ عَابِدِينَ وَاقِفًا، اقتَرَبَ مِنْهُ  
اللَّاشِيءَ وَقَدْ تَمَثَّلَ بِصُورَةِ رَجُلٍ ضَخْمٍ  
البَنِيهَةِ، يَرْتَدِي السَّوَادَ، وَيُتَوَوَّجُ بِتَاجٍ  
عَظِيمٍ.

وَضَعَ يَدُهُ عَلَى رَأْسِ عَابِدِينَ وَأَخْذَ  
يُطْسِمَ، ثُمَّ تَلَّا تَعَاوِيذُهُ فَارْتَجَفَ جَسْدُ  
عَابِدِينَ، وَاهْتَرَّ مِنْ مَكَانِهِ.

تَبَسَّمَ لِهِ الْلَّاشِيءُ وَأَضَافَ: قَدْ تَفَتَّحَتِ  
الْبَوَابَاتِ، وَأَصْبَحَ الْجَسْدُ جَاهِزًا لِلِّإِقَامَةِ!  
عَابِدِينَ قُلْ وَدَاعًا لِنَفْسِكِ، فَلَنْ تَجْتَمِعَ بِهَا  
بَعْدَ الْآنِ.

تَلَّا آخِرُ تَعَاوِيذِهِ، وَبَعْدِهَا بِلَحْظَاتٍ سَمِعَ  
عَابِدِينَ صَوْتًا مُخْيِفًا قَدْ أَفْزَعَهُ، ثُمَّ رَأَى

شَبَّاً يَقْفُ بِجَانِبِ الْلَاشِيِّ، نَظَرَ إِلَى  
عَابِدِينَ وَقَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ طَرْفَ عَابِدِينَ إِلَيْهِ  
كَانَ الشَّبَحُ قدْ أَقَامَ بِجَسْدِهِ!

## الفصل التاسع

أُمّي قد حَدَثَ ما رأيْتُ بالضبط!

قالَتْها زينب وهي تجلس على البساط.

آمنة بدهشةٍ: حسناً يا ابنتي.

زينب: ماذا أفعل إِذَا؟

آمنة مُبتسمة: لا تُخْبِرِي أحداً.

زينب: أهي لعنة؟

آمنة: بل هبة مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكِ حَبِيبَتِي،  
لذا اجعلِيهَا سرّاً بيننا.

زينب: ولكنني أخافُ في بعض الأحيان  
أُمّي.

آمنة: لمَ يا ابنتي؟

زينب: أحياناً أشعر وكأنني قد عشتُ  
الحلم من قبل، وهذا الأمر يخيفني أمي.

آمنة: لا تخافي حبيبتي.

زينب: أمي هل يحبنا الله؟

آمنة مبتسمة: أجل يا ابنتي، يحبنا ونحن  
أيضاً نحبه.

زينب: أمي طالما أن الله يحبنا، لم لا  
يغنينا فالفقر موجع ومؤلم للغاية؟

آمنة مبتسمة: سيحدث حين تكبرين  
وأخويك، سيغريك بأعمالكم، لذا تمسكوا  
بالتعليم لتأخذوا الشهادات، ومن ثم  
تعملون بها دون الحاجة إلى أحد.

زينب: أعدك أمي سأبذل قصارى جهدي  
لأحقق حلمك.

هل لأميرتي ماتود أن تفضل فضـ بـ  
معـ ؟

قالتْهَا آمنة بِدَلَالٍ.

# زینب مُبتسمة: أُمّي ما هو المَحِيط؟

## آمنة بحنان: لم تسائلين يا أميرتي؟

زينب بحبياء: قد سألتني إحدى المعلمات  
إِنْ كُنْتَ بِلُغَتِ الْمَحِيطِ أَمْ لَا.

## تساؤل آمنة: ومن هي؟

**زينب: المُعلّمة (شاديّة).**

آمنة: أهي أم همام؟

زینب: هي امّي.

# آمنة ضاحكة: حسناً، تُريدِكِ زوجة لابنها، ولكنْ بماذا ردتِ عليها؟

**زینب:** ردتٌ عليها بالزنف.

آمنة: حسناً يا ابنتي، سأخبرُكِ لاحقاً بـ<sup>كل</sup>  
شيءٍ يخصّ المَحِيض، أما الآن فلتاتمي.

زينب: حسناً، تُصْبِحِينَ على خيرٍ يا  
سيِّدي، وقبلَتْ جبينها.

آمنة: وأنتِ من أهل الخير والسعادة يا  
ابنة عمرى.

جلست آمنة تحرس صغارها؛ خشية أنْ  
يأتِيهِمْ ثعبانٌ من الثعابين، فالمكان  
يُحيطُهُ النَّحيلُ مِنْ كُلِّ جانبٍ، ممَّا جعلَ  
الثعابين تتخذُ سكناً لها.

تنظر إلى صغارها تارةً وإلى الأنجُم تارةً  
أخرى، ثم تشكو همها لربّها، فترذف  
عيناها رغمًا عنها.

تُكَفِّفُ دمعها وتحمدُ ربّها، وتسألهُ  
العون والفرج، وتُمسِّكُ بمصحفها فتقرا

ما تيسّر لها من القرآن على ضوء  
السراج (لمبة الجاز).

تجلّس بيتهما طوال اليوم، بينما يذهب  
أبناءها إلى الكتاب ثم إلى بيت جدّهم  
راجية.

تقوم بعجن الطين ثم تسد به ما قد تشقّقَ  
من الجدران، كما قامـت بـصـنـع عـدـة  
أرفـفـ من اللـبـن؛ لـتـضـعـ عـلـيـهـاـ الأـشـيـاءـ.

أمـاـ موـقـدـهاـ فـقـدـ صـنـعـتـهـ لـهـاـ رـاجـيـةـ حـينـ  
سـكـنـتـ هـذـاـ الـبـيـتـ.

لا تـشـعـرـ بـالـحـيـاةـ أـبـدـاـ دـاـخـلـ هـذـاـ الـبـيـتـ؛ـ إـذـ  
لا صـوـتـ يـعـلـوـ فـوـقـ صـوـتـهاـ هـيـ  
وـأـبـنـاءـهـاـ،ـ يـعـيـشـونـ بـالـعـرـاءـ عـدـاـ بـيـتـهـمـ  
الـصـغـيرـ،ـ يـأـتـيـ الـلـيـلـ بـسـدـولـهـ وـيـمـلـأـ

الرُّعب قَوْبِهِم، فَأصْوَاتُ الذَّئبِ تَكَادُ  
تُخْتَلِعُ الْقُلُوبَ!

تُذَكِّرُ صَغَارُهَا بِأَدْعِيَةِ النَّوْمِ، فَيُقْرَأُونَهَا  
وَيَخْلُدُونَ لِنَوْمِهِمْ، بَيْنَمَا هِيَ تُحَاوِطُهُمْ  
بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَكُلُّمَا عَوَى ذَئْبٌ زَادَ  
ذِكْرُهَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَدْ تَجَرَّأَ الذَّئبُ عَلَيْهَا وَعَلَى أَبْنَائِهَا؛ إِذْ  
يَأْتُونَ كُلَّ لَيْلَةً راغِبِينَ فِي افْتِرَاسِهِمْ،  
الذَّئبُ تَعْلَمُ جَيِّدًا هَذَا الْمَكَانُ، فَرَحْتَ  
حِينَ كَانَتْ ذَاهِبَةً لِلشَّرَابِ مِنَ التَّرْعَةِ،  
فَأَشَّتَمْتُ رائِحَةَ الْحَمْ الْبَشَرِيِّ خَلْفَ بَابِ  
خَشْبِيِّ مُتَهَالِكِ.

أَسْرَعْتُ فِي الْحَالِ تَلَاقَ المَجْمُوعَةِ مِنْ  
الذَّئبِ، مُحاوِلِينَ كَسْرَ الْبَابِ وَافْتِرَاسِ  
مَنْ خَلْفَهُ.

لَكُنْ آمِنَةً قَدْ تَصَدَّتْ لَهُمْ، إِذْ جَاءُتْ  
بِلَحافِهَا فَتَدَرَّتْ بِهِ وَوَقَفَتْ مُولِيَّةً ظَهَرَهَا  
لِلْبَابِ، مُتَسَلِّهًةً بِذِكْرِ اللَّهِ وَدُعَائِهَا.

كُلُّمَا هَجَمَ الذَّئَابُ هَجْمَةً، اخْتَلَعَ الْخُوفُ  
فِي قُلُوبِهَا عَلَى صَفَارِهَا، وَتَسَاقَطَتْ عَبَرَاتُهَا،  
فَتَبَرَّأَتْ مِنْ حَوْلِهَا إِلَى حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتْهُ،  
فَأَمِنَّهَا مِمَّا تَخَافُ وَغَادَرَتِ الذَّئَابُ.

رَأَتْ شَبَّحًا يَحْوُمُ حَوْلَهَا فَزَعَتْ لِرَؤْيَتِهِ،  
لَكِنَّهَا قَدْ تَذَكَّرَتْ آيَةً الْكُرْسِيِّ، بِسَمْلَتْ  
وَقَبْلَ أَنْ تَبْدأْ صَرْخَ الشَّبَحِ صَرْخَةً  
مُرْعِبَةً، شَعَرَتْ عَلَى إِثْرِهَا بِتَوْقِفٍ  
مُفَاجِئٍ لِضَرَبَاتِ قُلُوبِهَا.

عَاوَدَتِ الْقِرَاءَةَ فَاخْتَفَى الشَّبَحُ وَكَانَهُ لَمْ  
يَكُنْ!

نظرت حولها فرأت السماء قد عادت  
زرقاء صافية، وتساقطت عليها الأمطار.

أيقظتها آمنة لتتوضأ قبل أن يُؤذن  
لصلاة الفجر.

توضأت على ضوء السراج بدورة المياه  
البدائية، ثم جلسَت على سجادة الصلاة  
تذكر ربّها.

اقربت منها آمنة وحذّثها برفقٍ قائلةً:  
ما بكِ أميرتي؟

زينب بعد تهيدة: لا شيء أُمّي.

آمنة: لكن قلبي قد حذّثي بأنْ هنالك  
شيء ما.

زينب مُبتسمة: صدقَ قلبُ آمنة.

آمنة بصوتِ حنون: هاتِ ما عندكِ، هيّا  
أخبريني، أنا أسمعكِ.

زينب بصوتِ يشوبهُ الخوف: قد رأيتُ  
حُلْمًا مُفزعًا أمّي.

آمنة وقد احتضنتها: حماكِ الله يا ابنتي،  
لا تُحدّث بهِ.

زينب: قد أرّعني أمّي.

آمنة وهي تنظر في عينيهَا: لا تخافي،  
أنتِ قويّةٌ بِاللهِ، قرآنكِ هو حصانكِ  
الحصين فتحصني بهِ.

زينب: حسناً أمّي.

رفعَ أذان الفجر، فصلّت آمنة جماعة  
بأطفالها، ثمَّ جلسوا يذكرونَ اللهَ حتى  
مطلع الشّمس.

آهٌ عليكِ آمنة!

قالها الراوي وهو يمسح دمعه.

سألهُ أحد الصبية: ما يُبكيكَ يا مولانا؟

اليسْ آمنة صالحة؟

الراوي: بلى، صالحة.

أحد الصبية: إذا هي في معيةِ الرحمن،  
فالصالح لا خوف عليهِ وربُّ العباد  
كافيه.

الراوي مُبتسماً: صدقتَ يا ولدي، لكنَّ  
الذي أبكاني هو الظلم الذي وقع عليها  
دونِ جنایتها.

أحد الصبية: هل سأنتَ الرحمن باسمِهِ  
العدل؟

الراوي بسمةٍ رائقة: قد فعلتَ يا ولدي.

أَحَدُ الصَّبِيَّةِ بِكُلِّ ثُقَّةٍ: إِذَا سِينَصْرَهَا  
وَيُجْبِرُهَا.

الراوي: صدقَتْ بُنْيَّ.

ثُمَّ تَنَاهَ قَبْلَ أَنْ يُعَاوِدَ السُّرُدَ مَرَّةً أُخْرَى.

ضَاقَتْ بِهَا دُنْيَا هَا فَهَرَعَتْ لِرَبِّهَا وَرَبِّ  
دُنْيَا هَا، ظُلِمَتْ مُذْ تَزَوَّجَتْ مَسْخَاقَدَ بَاعَ  
دِينَهُ بِدُنْيَا هَا، لَكَنَّهَا وَلَطِيبَ قَلْبَهَا لَمْ تَكُنْ  
تَعْلَمْ.

أَعْطَاهَا اللَّهُ أَوْلَادَهَا وَاخْتَصَّهَا بِأَمْانَتِهِمْ،  
فَكَانَتْ وَلَنِعَمَ الْأَمِينَةُ هِيَ!

عَابِدِينَ.

عَابِدِينَ وَقَدْ انتَصَبَ وَاقْفَا فِي مَجْلِسِهِ:  
لِبِيكَ مَوْلَايَ.

قَدْ ظَهَرَتِ الْعَلَامَاتُ عَلَى ابْنَتِكَ.

عابدين بصوتٍ خائفٍ: ثُمَّ ماذا مولاي؟

قد آنَ الأوَانَ لِتُروي أرْضَكَ بَعْدَ أَنْ  
جَفَّتْ مِنَ الْبُعْدِ.

عابدين: أَتَأْذَنُ لِي بِزِيارتِهِمْ مولاي؟  
لَا، بَلْ بِالْعُودَةِ إِلَيْهِمْ؛ لِتُنْتَذِ ذَاهِمَ جَزءَ  
بِخَطْتَنَا.

عابدين: متى السفر مولاي؟  
بعدِ غِدٍ فَتَجهَزْ.

وبعدَ يومٍ....

أمِي هَلْ طَهُوتْ لَنَا الْبَطْةُ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا  
جَدّتِي؟

قالَهَا سالم.

آمنَةُ بعْدَمَا قَبَّلَتْهُ: أَجل، قد طَهُوتَهَا بُنْيَّ.

سالم: جيد، أمي أريد طبقاً من مرقها؛  
فطعنه لذذ للغاية.

آمنة مُبتسمة: قد وضعت لائق بعض  
المرق ومعه نصف الكبدة، بطبة لائق على  
الرف.

أسرع سالم ليحتسي مرق البط الذي  
يحبه.

جاءها غانم، يبدو عليه الحزن، مسحت  
على وجهه وقبلاته بين عينيه، ثم قالت:  
ماذا حدث لكـ هذا الحزن يا بني؟

غانم باكيـا: أمـي، أين أبيـ؟

تفاجأت آمنة من سؤالـه فلم تستطع الردـ.

تابعـ: أليـ أبـ كـسائرـ منـ فيـ الكتابـ؟

تَهَدَّتْ آمِنَةٌ قَبْلَ أَنْ تُجِيبَهُ: أَجَلُ، لَأَنَّ أَبَّ  
يَا وَلْدِي.

غَانِمٌ بِصَوْتٍ يُقْطِعُهُ البُكَاءُ: إِذَا أَينَ هُو؟  
آمِنَةٌ بِصَوْتٍ حَزِينٌ: قَدْ تَرَكَنَا لِنَوْاجِهِ  
مَصِيرَنَا.

وَقَبْلَ أَنْ يُكَمِّلَ غَانِمٌ، قَالَتْ زَيْنَبُ بِمَرْحٍ  
كَعَادَتِهَا: وَمَا الَّذِي يَنْقُصُنَا كَيْ نَحْتَاجُ  
لَأَبٍ وَآمِنَةٌ هِيَ الْأَمْ وَالْأَبُ؟!

نَحْنُ عَبَادُ اللَّهِ غَانِمٌ، خَلَقْنَا وَلَنْ يُضَيِّعَنَا،  
أَحَبَّنَا فَاخْتَارَ لَنَا آمِنَةً؛ لِتَكُونَ أُمّا لَنَا، لَا  
حَاجَةٌ لَنَا فِيمَا سُواهَا.

كَفَفَ غَانِمٌ دَمْعَهُ وَقَبْلَ جَبَّينَ آمِنَةَ، ثُمَّ  
سَأَلَهَا عَنْ طَبَقِ الْمَرْقِ الْخَاصِّ بِهِ،  
أَخْبَرَتْهُ بِمَكَانِهِ فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَبْرُدَ.

رُفِعَ أذان العصر، صَلَّت راجية فرضها  
ثُمَّ ذهبت إلى بيت ابنتها.

طرقَت الباب، فتحت لها آمنة، وما أنْ  
سمِعَ الصغار صوتها حتَّى جاءوا  
مُسْرِعين، فرِحين غير مُصدِّقين؛ إذ لمْ  
تأتِهم مُنْذُ زمان.

جلست بين نِهم بعدَ أنْ قبَّلَتْهم وقبَّلُوهَا،  
أحضرت آمنة الغداء، صحنًا من الأرز،  
صحنًا من الفاصولياء البيضاء، وصحنًا  
من الملوخية الجافة، وصحنًا من مرقِ  
البط، بالإضافة لبعض الخبز، الذي  
صنعته آمنة بيدها في الصباح.

قامت آمنة بتوزيع البطة على يهم بعدما  
قطعتها طبقاً لعددهم.

تناولوا غدائهم بسعادة؛ لوجود راجية  
بينهم.

أتى الليل بـسـدـولـه فـأـغـلـقـت آـمـنـة بـاـبـها  
جيـداـ، وأـعـدـت الفـرـش لـأـبـنـائـها وـأـمـهـا، ثـمـ  
اقـرـبـت من الـبـاب لـتـنـام بـجـوارـه كـعـادـتها،  
لـكـنـ رـاجـيـة مـنـعـتـها وـنـامـت هـي بـجـوارـه؛  
خـشـيـة أـنـ تـصـيبـهـم الذـئـاب بـمـكـروـهـ.

مرـّت عـلـيـهـم تـلـك الـلـيـلـة كـنـسـمـة هـوـاءـ  
بارـدـةـ فـي طـقـسـ حـارـ، فـرـاجـيـةـ قـدـ أـعـطـتـهـمـ  
ما يـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ، أـعـطـتـهـمـ الـأـمـانـ.

جلـسـوا فـي مـصـلـالـهـ يـذـكـرـونـ اللهـ حـتـىـ  
طـلـعـتـ الشـمـسـ، فـصـلـلـوا الضـحـىـ، وـأـخـذـواـ  
يـنـصـتونـ لـرـاجـيـةـ وـهـي تـحـذـثـهـمـ عـنـ  
صـبـاـهـا وـشـبـابـهاـ، بـيـنـمـا آـمـنـةـ تـعـدـ لـهـمـ  
الفـطـورـ.

دقائق معدوداتٍ وكان الفطور جاهزاً،  
وضفتْ آمنة أمّاهم فبسملوا وشرعوا  
في تناوله.

راجيةً بعدهما تذوقت البيض المقلبي: ما  
هذا الجمال يا ابنتي؟

قد قمت بفتح السمن كما يجب أن يكون  
 فأضافت اللذة إلى البيض!

آمنة مُبتسمة: قد تعلمت منك أمّي.

زينب:وها أنا أتعلم منك آمنة.

ربت آمنة على يدها بحنانٍ وقالت: هيا  
لنُكمِل إفطارنا؛ كي لا يسرقنا الوقت،  
فالإِيمان الجمعة ولدينا الكثير لنفعله.

عابدين.

عابدين: لبيك مولاي.

يُفْسَدُ بَعْضُ الْوَقْتِ عَنْ تَطْبِيقِ الْجَزءِ  
الثاني من الخطّة، لا تنسَ العهد، إِيَّاكَ  
أَنْ تَحْذِي وَعَلَيْهِمْ، أَنْتَ وَلَدِي الآن لَا  
عابدين الأنسيّ!

عابدين بلا مُبالاة: حسناً مولاي.

يا حضرة، يا حضرة.

قالها الراكب المجاور لمقعد عابدين  
بالقطار.

عابدين بعدما فتح عينيه بصعوبة: ماذا  
تُريد؟

أَتُحَدِّثُ نَفْسَكَ يَا رَجُلَ؟

عابدين ضاحكاً: هـذا أفعـل حينـ أنـامـ:  
رـبـما للتروـيح عنـ النـفـسـ.

ضَحْكَ الرَاكِبِ وَأَضَافَ: عَلَى رَاحْتَكَ،  
أَرَدْتُ إِخْبَارَكَ بِأَنَّ الْمَحْطَمَةَ الْقَادِمَةَ  
سَتَكُونُ وَجْهَتَكَ فَتَجَهَزْ.

عَابِدِينَ: حَسَنًا، شُكْرًا لَكَ.

الراكب: على الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ.

أَخْذَ عَابِدِينَ يُفْكِرُ، كَيْفَ سَيُقْبَلُ آمْنَةً  
بَعْدَمَا خَيَانَتِهِ لَهَا وَلَا بَنَائِهِ؟

هَلْ سَيَفْرِحُونَ بِعُودَتِهِ؟

هَلْ لَا زَالُوا يَذْكُرُونَهُ؟

هَلْ وَهَلْ وَهَلْ؟

لَكَنَّهُ تَذَكَّرَ قَوْلُ الْلَاشِيَءِ "إِنْ لَمْ تَكُنْ أَهْلًا  
لِهَذِهِ الْمَهْمَةِ، فَلَدِينَا الْكَثِيرُ لِنَفْعَلِهِ".

ظَلَمَ نَفْسُهُ حِينَ أَخْفَى مَا حَدَثَ لَهُ هُنَاكَ،  
بِأَرْضِ الْغُرْبَةِ، حِينَ أَتَاهُ أَحَدُ السُّودَانِيِّينَ

العاملين بتـأكـل الـدوـلـة؛ لـيـسـ لـبـهـ دـيـنـهـ دونـ  
عـلـمـهـ.

حاـولـ العـوـدةـ، لـكـنـ العـهـدـ قدـ أـبـطـلـ  
مـحاـولـتـهـ.

هـاـ هـوـ الـآنـ، قدـ عـادـ وـلـكـنـ، لـيـسـ كـمـاـ  
كـانـ؛ لـيـكـونـ بـدـايـةـ مـرـحـلـةـ اـبـتـلاـءـ جـديـدـةـ،  
تـضـافـ لـلـمـراـحـلـ التـيـ مـرـّـتـ بـهـ آـمـنـةـ مـنـ  
قـبـلـ!

## الفصل العاشر

رُفعَ أذان الظهر بعدَ أنْ اغتسلوا جمِيعًا،  
صلوا وراحَت آمنةٌ لِتُعَذَّلُهُم الغداءُ،  
بِينما راجيَةٌ تقصُّ عَلَيْهِم مَا كَانَ يَفْعَلُهُ  
الشِّيخ زكرياً يوم الجمعة، مِنْ اغتسالٍ  
وتطييبٍ، وصَلَاةٍ وذَكْرٍ، وقراءةٍ سورة  
الكهف، ثُمَّ يخْتَم آخر ساعةٍ من اليوم  
بالصلوة على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قامتْ آمنة بِغسلِ البازنجان والبطاطس،  
والفلفل الأخضر والطماطم، ثُمَّ قطعَتْهُمْ،  
البازنجان على هيئةِ حلقاتٍ، والبطاطس  
والفلفل على هيئةِ أصابعٍ، بينما قطعتْ  
الطماطم إلى شرائحٍ.

كانت قد وضعت الزيت بالمقلاة على النار، انتظرت حتى سخن، ثم أخذت تقليي البطاطس، وبعد دهها البازنجان، وأخيراً الفلفل.

وبعد أن انتهت، تبألت شرائح الطماطم بالملح والكمون، والقليل من مسحوق الفلفل الحار، وقامت بعصير ليمونة خضراء، ثم قدمت لهم الغداء.

وصلَ عابدين بعد أن توقف القطار بمحطة المركز، أخذ يتمشى حتى وصلَ إلى موقف إحدى القرى المجاورة لبلدته.

اتفقَ مع السائق أن يوصلهُ إلى مدخل البلدة، وأعطاهُ أجره.

وبعد ساعة وصلَ عابدين، شكرَ السائق  
وأكملَ طريقهُ سيرًا على الأقدام، حتى  
وصلَ إلى بيته.

أينَ الشاي بالنعناع يا آمنة؟  
قالَتْها راجية.

آمنة بعدها وضعت أمامها الكوب: ها هو  
أمي.

راجية: سلمتِ يُمناكِ وسلمتِ آمنة.

آمنة بعدها قبّلتْ يُمناهَا: اللهمَ وإيّاكِ  
أمي.

زينب بمرح: وأنا أينَ قُبّلتي يا آمنة؟  
اقربتَ منها آمنة، وقبّلتها بينَ عينيهَا،  
ثمَّ أضافتْ: دُمْتِ لي ملكةِ الصغيرة،  
جبرني اللهُ فيكِ يا ابنةِ عمري.

زِينَبْ بْعَدَ أَنْ رَدَّتْ لِأَمْهَا الْقُبْلَةَ: وَأَنْتِ  
كَذَلِكَ مَلِكَتِي الْكَبِيرَةُ، سَيِّدَةُ قُلُوبِي وَتاجُ  
رَأْسِي.

طَرَقَ عَابِدِينَ الْبَابَ، نَهَضَتْ رَاجِيَةً،  
قَامَتْ بِفَتْحِ الْبَابَ، وَمَا أَنْ رَأَتْهُ حَتَّى  
سَقَطَتْ عَصِيَ الْخِيرَزَانَ مِنْ يَدِهَا.

تَقدَّمَتْ آمِنَةُ لِتَرَى مَنْ الطَّارِقُ؟

عَابِدِينَ!

قَالَتِهَا آمِنَةُ بِهَمْسٍ وَالدَّمْعُ يَسَاقِطُ مِنْ  
عَيْنِيهَا.

دَلَفَ عَابِدِينَ وَالدَّمْعُ يَمْلأُ عَيْنِيهِ، نَظَرَ  
إِلَى آمِنَةَ بُعْدَقٍ ثُمَّ قَالَ: قَدْ كَبَرْتِ  
صَغِيرِتِي.

آمنة بعد أن رفعت يده من عليها: دعنى  
و شأنى.

اقربَ من راجيةٍ و قبلَ يُمناها: دُمتِ لنا  
ولا حُرمناكِ خالة.

أخذَ ينظر إلى أولادهِ وكأنهُ لا يعرفهم!  
هذه زينب، سلمي على أبيك.

قالتْها راجيةٌ لترفع عنْهُ الحرج.

اقربتْ منهُ زينب، صافحتهُ و قبلتْ يدهُ  
وجبينه.

احتضنها فذرفت عيناهُ، وتذكر ما قيل لهُ  
ب شأنها: "هي صفوة ما أخرجَهُ صلبك،  
لذا ستكون هي الجزء الثاني والأهم من  
خطتنا".

أبي، ماذا هناك؟

قالتْها زينب بعينينِ دامعتين.

كَفَ فَ عَابِدِينَ دَمْعَهُ وَقَالَ: لَا شَيْءٌ يَا  
ابنِي، فَقَطْ أَشْتَاقُ إِلَيْكُمْ.

أَهْذَا هُوَ أَبِي أُمّي؟

قالَهَا غَانِمٌ بِفَرَحٍ، ثُمَّ عَانَقَهُ وَتَابَعَ: قَدْ  
حُرِّمْتَ أَبِي، حَتَّىٰ كَلْمَةُ أَبِي أَقُولُهَا لِأَوْلَىٰ  
مَرَّةٍ بعمرِي.

عَابِدِينَ: سَتَقُولُهَا وَلَنْ تُحرِّمَهَا ثَانِيَةٌ  
بُنْيَّ.

عَابِدِينَ مَاذَا يَدْهُ لِسَالِمَ، لَكِنَّ سَالِمَ لَمْ  
يُبَادِلْهُ الْمَصَافحةُ وَلَا الشَّعُورُ.

أَنْتَ مُنْتَهَىٰ شَخْصِيَّةُ أَبِي، لَكِنَّكَ لَسْتَ  
هُوَ!

قالَهَا سَالِمٌ بِغَضْبٍ.

عابدين وقد اهتزَّ كيانه، وارتعدت  
فرائصه: ما الذي تقوله يا بُني؟

سالم بغضِّبٍ أكبر: أقول الحقيقة يا  
كذاب.

آمنة وقد احتضنته لتهداً من حدة  
غضبه: سالم لا تقل شيئاً، فقط اهداً.

راجية: صغير ولا يعي ما يقوله.

عابدين ببسملة مُصل طنعة: هداه الله  
وأدامه لي.

لم يَكذب سالم فيما قال، لكن كيف عرف  
الحقيقة؟

وهل سيتركه عابدين بعدما كشف أمره؟  
أم أنَّ الخطأ ستتغير ليكون سالم بدليلاً  
لزينب؟!

انزوت به آمنة في رُكن الغرفة، وأخذت  
تربت على كفه، ثم قالت: ما الذي تقوله  
عن أبيك بُنْيَ؟

سالم بعينين غاضبتين: ليس أبي، هذا  
مُنتحل وكذاب.

آمنة بهدوء: وكيف عرفت؟

سالم بعينين دامعتين: أين كان حين  
احتجنا إليه إليه فلم نجده؟

أين كان حين مرض ومات أخي عبد  
القادر، فقط لعدم وجود المال؟

أين كان والشّمس تذهب جلوتنا  
بحرارتها المرتفعة؟

أين كان وبرد الشتاء يؤلم عظامنا قبل  
أجسادنا؟

أينَ كَانَ حِينَ لَمْ نَجِدْ مَا نُفِقْتَاتْ بِهِ فَنَصُومُ  
اللَّيَامِ وَاللَّيَالِي؟

أينَ كَانَ حِينَ مَذَّتْ جَتَّي رَاجِيَةً يَدِهَا،  
لَتَأْتِيَنَا بِصَدَقَاتِ الْمَسْجَدِ كَيْ لَا يُهَاكِنَا  
الجَوْعَ؟

بَكَتْ آمِنَةً وَلَمْ تُسْتَطِعْ الرَّدُّ، فَكَلَامُهُ  
صَحِيحٌ لَا مَجَالٌ فِيهِ لِلتَّكْذِيبِ.

سَمِعَهُ عَابِدِينَ فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَعَيْنَاهُ  
تَذْرِفَانِ، ثُمَّ قَالَ: هَا قَدْ غُدْتُ بُنْيِّ،  
سَامَحْنِي عَلَى مَا فَاتَ، وَحَاسِبْنِي فِيمَا  
هُوَ آتٍ.

نَظَرَ إِلَيْهِ سَالِمٌ وَقَالَ: هَذَا تَكْذِبُ عَلَيَّ،  
ثُمَّ تُسَافِرُ وَتَنْسَانَا.

عَابِدِينَ بَعْدَ أَنْ أَمْسَكَ وَجْهَهُ وَنَظَرَ  
بِعَيْنِيهِ: لَنْ يَحْدُثْ يَا ابْنَ قَلْبِي.

جَالَ بِبَصْرِهِ وَكَانَهُ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ مَا!  
آمِنَةٌ بِصَوْتٍ يُقْطِعُهُ البُكَاءُ: قَدْ ماتَ عَبْدُ  
الْقَادِرِ.

عَابِدِينَ وَقَدْ ضَغَطَ عَلَى أَيْسَرِ صَدْرِهِ  
بِقُوَّةٍ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

آمِنَةٌ: ماتَ بِسَبِبِكَ، بَلْ أَنْتَ مَنْ قَتَلْتَهُ؟  
حِينَ تَرَكْتَنَا فِي الْعَرَاءِ دُونَ غَذَاءٍ وَلَا  
مَالٍ نَبْتَاعُ بِهِ الدَّوَاءَ.

تَرَكْتَنَا وَظَلَمْتَنَا، قَتَلْتَنَا عَبْدُ الْقَادِرِ وَكَدْتَ  
تَقْتَلَنَا جَمِيعًا، لَوْلَا أَنْ مَدَّتْ أُمِّي يَدَهَا  
لِتَأْتِينَا بِصَدَقَاتِ النَّاسِ مِنَ الْجَامِعِ، فِي  
حِينَ أَنَّ إِخْوَتَكَ يَتَنَعَّمُونَ فِي خَيْرٍ كُنْتَ  
أَنْتَ السَّبَبُ فِيهِ.

وَالآنَ وَبَعْدَ مَرْوُرِ الأَعْوَامِ عُدْتَ، لَيْتَكَ لَمْ  
تَعُدْ!

أراك عائداً لأجل المضاجعة.

نهرتها راجية، لـ ديثها الفـجـّ أمـامـ  
الصـغارـ، لـ كـنـهـاـ لـمـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـسـيـطـرـ  
عـلـيـهـاـ.

آمنة بغضب: مُضاجعة ماذا وانت  
مُتزوج بتلك الدولة؟

## عبدین مُند هشّا: مُتزوّج؟

أنا لم.....

قاطعته آمنة بقولها: قد كَبُرْت الصغيرة  
يا عابدين، بل زدتْ عمرًا فوقَ عمري؛  
حينَ بحثْت عنك فلم أجدك بجواري، في  
وقتٍ كنتُ أحوج ما أكون إلَيْكَ فيه.

**بَكْتُ ثُمَّ تَابَعْتُ: شَاختُ الشَّابَّةَ عَابِدِينَ،  
حَيْنَ وَجَدْتُنِي الْأَبُ وَالْأُمُّ لِهِذِهِ الْأُسْرَةِ،**

أُرَأَفَ وَأَنْهَرَ، أَحْزَنَ وَوَاقِسَى، أَضْرَبَ  
وَأَضْمَمَ.

انْقَسَمَ قَلْبِي لِنَصْفَيْنِ، نَصْفٌ يَبْكِينِي،  
وَالنَّصْفُ الْآخَرُ بِالْكَادِ يَكْفِينِي.

اقْتَرَبَ عَابِدِينَ مِنْهَا بَعْيَذَيْنِ دَامِعَتِينَ:  
سَامِحِينِي جَمِيلَتِي، لَنْ أَخْذُكِ ثَانِيَةً.

نَظَرَتِ إِلَيْهِ آمِنَةً بِلَا مُبَالَاهَ وَلَمْ تَرَدْ عَلَيْهِ.

وَبَعْدَ سَاعَةً.....

زَيْنَبُ هَلْ فَعَلْتِ مَا طَلَبْتُهُ مِنْكِ؟  
قَالَتْهَا رَاجِيَةً.

زَيْنَبُ وَهِيَ تُمْسِكُ بِالْوَسَادَةِ: أَجْلُ جَدَّةَ،  
قَدْ فَعَلْتِ.

راجية: حسناً، ثم نظرت إلى آمنة  
وقالت: خدي زوجك وادلفي الغرفة؛  
فأدليه الكثير ليخبرك به.

آمنة بصوتٍ حادٍ: لا، لن أفعل.

راجية بصوتٍ حازم: بل ستفعلي.

عابدين: دعيها وشأنها خالمة.

وبعد دقائق دلفت آمنة الغرفة، ثم لحقها  
عابدين وأغلق دونه الباب.

راجية: ستفترشون الأرض وتتمامون  
هناك، بينما السرير سيكون لأبيكم وأمّكم  
فقط.

زينب: لم لا ننام هنا كُلنا؟

راجية: لا يصح؛ فالازواج لا بُدّ وأن يكون لديهم خصوصيّة، فلا يطأطع أحد على مكان نومهم.

سالم: لكنّا سننام بغرفة أبي وأمي.

راجية: لضيق الحال يا ولدي ستتمون جميعًا بغرفةٍ واحدة، أمّا هذه الغرفة فستكون لتخزين الماء والغذاء، وكذا للجلوس وضيافة الضيوف.

و قبل أن يتحذّث غانم، علا صوت تأوه خارج من غرفة آمنة، أسرعَتْ الجدة إلى الغرفة لترى ما الذي يحدث؟

كان عابدين قد أغلقَ الباب بإحكامٍ شديد، فلم تستطع راجية فتحه، لكنّها أخذت تطرقه رغم استمرار تأوه آمنة!

## الفصل الحادي عشر

أخذت راجية تُنادي على آمنة حتى فتح لها عابدين الباب، فأسرعت بالدخول للاطمئنان على ابنتهما، بينما الصغار ي يكون بالغرفة الأخرى.

مس تأقية لا تقوى على الحركة، تئن بصوتٍ هادئ؛ كي لا تُقلق صغارها.

اقربت منها راجية والدموع يتتساقط من عينيها، فسألتها: ما الذي حدث؟

لم أنت بهذه الحالة؟

ماذا فعل بك؟

والله لأقتلنه إن أصابك بأذى.

جلست آمنة بصعوبة، ثم قالت: لم يفعل شيء أهمي.

ragia: كيف وانت بهذه الحالة؟

آمنة بعدما كففت دمعها: قد جامعني  
فأنزف جسدي.

ragia: أهذا كُلّ ما حصل؟

آمنة: أجل أمي.

ragia وقد ربت على كتفها بخنان: لا  
بأس، سيدوقف نزفك ويطيب جرحك،  
ربما يشتق إلينك بعد غياب طويل.

آمنة: ربما.

ragia تنظر في عينيها: ما لك؟

آمنة: قد شعرت بالغربة معه أمي، وكأنه  
كما قال سالم "منت حلّ وكذاب".

ضحك راجية ثم قالت: يا امرأة، ما  
تشعرين به نتيجة غيابه عنك طيلة  
الأعوام السابقة لا أكثر.

آمنة وهي تحاول النهوض: ربما.

خرجت آمنة من الغرفة فوجدت صغارها  
يبيون، أسررعت إليهم فأحتضن نتهم،  
وسألتهم عن السبب، فأجابوها بأنّهم قد  
شعروا بالقلق عليها.

مسحت على رؤوسهم وقالت: لا تخافوا،  
فأنا بخير، والآن هيّا أقعدوا مع جذّكم  
ريثما أستحم.

اغتسلت آمنة ثم قعدت مع صغارها  
يتحدّثون إلى عابدين.

عابدين: قد كبرتم أبنائي الأعزاء، دمتم  
لي ولا حرمتكم أبداً.

آمنة: هُم وديعٌ عندَ اللهِ.

تغَيّرَ لونُ عابدينَ، وكأنَّ ما قالَهُ قد  
أشعلَ النارَ بداخلِهِ!

راجية: جبر كما اللهُ بهم.

عابدين: آمين.

زينب: أبي، كيفَ عرفْتَ أنَّ أمِّي قد  
وضعتَ ذكرًا، وأنْتَ لم تَكُنْ تعلمُ  
بحملِها؟!

تلعثمَ عابدينَ ولم يُسْتَطِعُ الردُّ، بينما  
آمنةَ قالتْ بلا مُبالاةً: عن طريقِ وليم أو  
حسن.

عابدين مُبتسماً: أجل، قد أخبرني أخي  
وليم؛ حينَ اتصلَ سعد ببيت أبيه الحاج  
راجي، فأسرعَتْ الخالةُ كاملةً لتأخِير

إخوتي، وما إن فعلت حتى أسرعَ ولم يمْ  
واستاذنَ من سعد، فنادني سعد لـأهاتفه.

رفع أذان المغرب، صلوا جميعاً عدا  
عبددين؛ إذ أصر على الصلاة بالجامع،  
تحديداً بالصف الأول.

أعدت زينب العشاء هذه المرة، عادَ  
عبددين من الجامع، ألقى عليهم السلام  
وقد ليتناول معهم الطعام.

نظرت إليه زينب وقالت: ألم تسمّي الله  
يا أبي؟

تلعثم ثم قال: قد فعلت سراً يا ابنتي.

زينب: بالهباء والشفاء.

آمنة: هذا العشاء قد أعدته زينب  
بمفردها.

عابدين مُبتسماً: ما شاء الرحمن على  
جميل صُنعتِك يا ابنتي.

زينب مُبتسمة: سلمت أبي.

هيا لتوصلني إلى بيتي عابدين.

قالتها راجيةً بعدما انتهت من تناول  
الطعام.

عابدين: لتقيمي معنا يا خالة.

راجيةً وقد ارتدت الحبرة: جعله الله  
عامراً بك يا ولدي، لن أضيق عليكم.

عابدين: كما تريدين يا خالة.

آمنة: ليحفظك الله أمي.

اصطحب عابدين راجيةً إلى بيتها، بينما  
زينب تُعدّ الفرش لها ولأخويها، لتكونَ  
جاهزة وقت النوم.

رُفعَ أذان العِشاءَ بعدَمَا أوصَلَ عَابِدِينَ  
رَاجِيَةَ، فَدَلَفَ الْجَامِعَ لِيُصْلَى بِالصَّفِ  
الْأَوَّلِ.

صَلَّتْ آمِنَةُ وَأَوْلَادُهَا، ثُمَّ جَلَسَوْا عَلَى  
فُرْشِهِمْ يَتَدَّثُونَ عَنْ أَبِيهِمْ، الَّذِي عَادَ  
بَعْدَ غِيَابٍ طَوِيلٍ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: هَلْ نَحْنُ  
نَحْلَمُ أُمِّي؟

رَدَّتْ آمِنَةُ بِبِسْمِهِ: بَلْ نَعِيشُ وَاقِعًا زَيْنَبُ.

زَيْنَبُ: أُمِّي هَلْ يَمْلُكُ الرَّجُلُ قَلْبًا مُثْلَمًا  
تَمْلُكُ الْمَرْأَةَ؟

ضَحَّكتْ آمِنَةُ وَأَجَابَتْ: أَجَلُ، يَمْلُكُ الرَّجُلُ  
قَلْبًا مَا دَامَ إِنْسَانًا!

زَيْنَبُ: إِذَا كَانَ أَبِي يَمْتَلِكُ قَلْبًا، كَيْفَ لَمْ  
يَشْعُرْ بِحَاجَتِنَا إِلَيْهِ؟

بل كيف يبتعد عنّا ونحن أحوج مانكون  
إليه؟

آمنة: لا أدرى ماذا أقول يا ابنتي؟

زينب: لا عليك أمّي، وكما تقول جدّتي  
راجية: "الأيام كشاف الحقائق".

ضحك آمنة وقالت: صدقت جدّتك يا  
فلذة كبدها، ألا تتأمّل كما فعل أخويك؟

زينب بعدما قبّلتها: بلى، سأتأمّل فأنّا  
مُرهقة بعض الشيء، تُصبحين على خيرٍ  
أمّي.

آمنة: وأنتِ كذلك يا ابنتي.

استلقت آمنة على سريرها، وأخذت تقرأ  
أذكار النوم، التي تحفظها عن ظهر قلبٍ  
حتّى نامت.

هدوء مُرعب يسكن البيت، يقطعهُ صوت  
عواء الذئاب المجتمعة أمامه.

ظلام دامس يملاً الأرجاء، عدا الغرفة  
التي تناه بها آمنة وصغارها.

حركة خفية تحدث وتتوقف من حينٍ  
لآخر!

عاد عابدين بعد منتصف الليل، فتح  
الباب ودخل، وجد سراجاً وبجانبهِ  
الكريت، كانت آمنة قد أعدّتهُ له قبل أنْ  
تنام.

أشعل السراج، وأنار بهِ الطريق ما بينَ  
الغرفتين.

دلَّف الغرفة فأطْفأَهُ، وخَلَع ثيابهِ، ثمَّ  
استلقى بجانبِ آمنة وراح في سُباتٍ  
عميق.

ظلمة حالكة، لم يَرَ مثلاً من قبل، رائحة  
مُنْتَهَى مُنْتَشِرَةٌ بِالجَوَّ، الصمت يُخْيِّمُ عَلَى  
الْمَكَانِ، نَظَرٌ فَلَمْ يَعْلَمْ أينَ هُوَ؟

حاولَ جاهِدًا أَنْ يَعْرِفَ مَاهِيَّةَ الْمَكَانِ،  
لَكِنَّهُ لَمْ يُسْتَطِعْ، سَمِعَ صوتًا يُنادِيهِ، تَبِعَ  
الصوت حَتَّى وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ، مَقْبَرَة  
قَدِيمَةٌ مُتَهالِكَةٌ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا (الراحل  
عَابِدِينَ بْنَ يَحْيَى ابْنَ أَبِي الْمَكَارِمِ، تَارِيخُ  
الْوَفَاءِ الْأَوَّلِ مِنْ دِيْسِمْبِرِ، عَامُ أَلْفِ  
وَتِسْعَمِائَةِ وَسَبْعَةِ وَتِسْعَونَ، سَبَبُ الْوَفَاءِ  
غَيْرُ مَعْلُومٍ).

أَصَابَهُ الْذُهُولُ وَالْفَضْلُولُ، فَحاولَ أَنْ  
يَتَأَكَّدَ بِنَفْسِهِ مِنِ الْجُثَّةِ الْمَقْبُورَةِ، فَتَحَّ  
بَابَ الْمَقْبَرَةِ، ثُمَّ دَلَّفَ مُسْتَعِنًا بِضَوءِ  
الْقَمَرِ، الَّذِي يُنِيرُ الْمَكَانَ.

استقرَّ بداخل المقبرة، وما أنْ فعلَ حتى  
أغلقت عليهِ من الخارج!

أخذَ يُنادي وينادي، لكنْ لا أحدَ يسمع أو  
يُجيب.

ركل الباب بقدمهِ فأتاهُ صوت زينب من  
بعيد، تثديهِ أنْ يعودَ قبلَ فوات الأوان،  
لأنَّهُ لم يستجب لها، فقط يُريدُ أنْ يخرج  
من المقبرة.

جاءتهُ زينب وفتحت لهُ الباب، خرج  
مسرعاً ليُقبلَ قدمها، قالت له: احمد الله  
يا أبي، أنْ أعطاكَ فرصة البقاء على قيدِ  
الحياة، هيّا لنعود سوياً قبلَ أنْ يغلق  
الباب.

عابدين: باب ماذا؟

زينب: باب التوب.

عابدين: وهل لمثلي توبة؟

زينب: ربما، يكفي أن لا تُطيلَ أجل  
عملك السيء، اقتله بالتوقف عن مالا  
يرضاه الله.

عابدين بحسرة: أنت لا تعرفين شيء.

زينب: أما يكفيك علم الله بك؟  
رفع عابدين بصره إلى السماء فهطل  
الدموع من عينيه، ولكنّه تحول فجأة إلى  
شبح دميم!

أسرعت زينب بالهرب من أمامه، بعدما  
تسربَ في خوفها، لكنّه كان أسرع منها؛  
إذ وجدته ينتظرها بآخر الطريق!

## الفصل الثاني عشر

أبي باللهِ عَلَيْكَ لَا تُقْتَلَنِي.

صرخت بها زينب وهي نائمة.

أسرعتُ إِلَيْهَا آمنةً، احتضنتها، وأخذت  
تلّا و عليها من آي الذكر الحكيم حتّى  
هدأت.

عابدين: ما بِكِ يا ابنتي؟

صرخت زينب: أبعديه عنّي أمّي.

آمنة: عُدْ إِلَى نومك عابدين.

عادَ إِلَى نومهِ وكأنَّ شيئاً لم يَكُنْ.

زينب بصوتٍ يقطعهُ البُكاء: أرادَ قتلي  
أمّي.

آمنة: ما رأيته كابوسٌ بُنيتِي، فلا تُحدث  
بِهِ.

نامت بجوارها حتّى اطمأنّت ونامت هي  
الآخرى.

مررتُ الْلَّيْلَةَ بصعوبة شديدة على  
عابدين، أكثر ما أخافه فيها هو الكابوس  
الذى رأته زينب، فأفزعها وأفزعته هي!

وفي صباح اليوم التالي.

تناول عابدين الفطّور مع آمنة  
وصغارهما، لكنّ زينب لم تَكُنْ كَعْدَهَا،  
فقط تنظر إليه بصمتٍ تارة، وتُفكِّر فيما  
رأته بحالمها تارةً أخرى.

عابدين ببسمةٍ مُصطنعة: زينب، كيف  
حالك في الدراسة؟

زينب بعد دقيقة: الحمد لله.

عابدين: أراك مجتهدة يا أم أبيها.

زينب بدهشة: أم أبيها؟!

عابدين: هذا اللقب هو الأقرب إليك، فما وجدت أحن على منك بعد موت أمي.

زينب: سلمت أبي.

غانم: أبي، أين أشيائي؟

عابدين: أشياء ماذا؟

سالم: يقصد الأشياء التي أحضرتها لنا من خارج مصر.

عابدين مبتسمًا: بعد قليل سأفتح الحقيقة، ويأخذ كل ذي حق حقه.

آمنة: دمت لهم عابدين.

عابدين بهمس: وأنت كذلك يا امرأتي.

آمنة بذات الهمس: آمين.

فتح عابدين الحقيقة وأعطي كُلّ واحدٍ  
منهم ما اختصه به من أشياء، ثمَّ أخذ  
الحقيقة ودلف الغرفة وتبعته آمنة؛  
ليعطيها أشياءها.

تفضلي عزيزتي.

قالها عابدين وهو يعطيها قميص نومٍ  
أحمر اللون.

آمنة مُبتسمة: ما هذا الجمال؟  
عابدين: سيكون أجمل على قوامك  
المثير.

آمنة بدلal: ابتعد عنّي، فنفسي لم يتوقف  
بعد.

عابدين: سأصنع لك خلطة توقفه على الفور.

آمنة: حسناً.

أخرج عابدين من الحقيقة بعض  
الصدريات، وما أن أعطاها لآمنة حتى  
ضحكـت وقـالت: مـا لـك يا رـجل؟

عابدين: لقد قـمت بـشراء ما يـلزمكـ؛ كـي  
لا تـحرميـني مـتعـتكـ جميلـتي الصـغـيرةـ.

آمنة: صـغـيرةـ!

عابدين: أـجلـ صـغـيرةـ.

آمنة: الصـغـيرةـ قدـ كـبرـتـ واقتـربـتـ منـ  
الـكـهـولةـ يا زـوـجـهاـ.

عابدين: لا بـأـسـ، آمنـةـ قـلـبـيـ وـأـمـانـةـ، مـا  
رأـيـكـ أـنـ ثـرـينـيـ القـمـيـصـ عـلـيـكـ؟

آمنة: قُلْتُ لَكَ أَنَّ نَزْفِي لَمْ يَتَوَقَّفْ بَعْدٍ.

عابدين: سأقرأ عَلَيْكِ مَا تَسْرَّمَنَ  
القرآن.

آمنة: مُنْذُ مَتَى؟

عابدين: ماذا تقصدين؟

آمنة: أقصد مُنْذُ مَتَى وَأَنْتَ تَرْقِي؟

عابدين: قد عَلِمْنَي الْأَسْيَادُ الرُّقيَّةُ  
الشرعية.

آمنة بدهشة: من؟

عابدين: أسيادي.

آمنة: ومن يكونون؟

عابدين: عباد الله الصالحين.

آمنة: حسناً.

ارتدىت آمنة القميص كما طلب منها  
عبددين، وما أن فعلت حتى ظهر قوامها  
الرشيق، ويكتنفها فتاة لم تبلغ الخامسة  
عشر بعد!

عبددين بالهفة: هذه هي آمنتني، أعشقكِ  
يا امرأة، ولا غنى لي عنكِ مهما كانتْ  
الإناث من حولي.

آمنة بدلاب: حسناً.

همّ بها رغم نزفها، الذي أحدثه البارحة،  
لَم تستطع منعه؛ إذ غالبها الشوق  
فسألمت له نفسها، وأحييت معه ذكرى  
زواجهما.

مررت الأيام، وزادوعي زينب، حين رأت  
والدتها يتلو أوراداً لا أصل لها من الكتابِ  
والسنّة، بل ويقطع المساحات الشاسعة

سفرًا، قاصدًا الأضرحة، وما أدراك ما  
الأضرحة؟

قالها الرواي وذرفت عيناه.

ظلَّ هكذا لبرهة، والصبية حوله  
يُحاولون أن يُخففوا عنه، استجاب لهم  
وكفَ دمعه، ثمَّ قال: خلقنا اللهُ لعبادتهِ  
سُبحانهُ وتعالى، لكنَّ الإنسان عدوٌ  
نفسه؛ إذ يتبع الشَّيطان وهو عدوه  
اللَّهُ، ويبتعد عنْ خُلقَ لأجلهِ، بل  
ولربما حاربَ مَن التزموا الطريق،  
طريق المولى عزَّ وجلَّ.

أمي قد عادَ الهايفُ من جديد!

قالتها زينب بخوف.

آمنة وقد ربت على كتفها بحنان: كيف  
وأنا لم أسمعه؟

زينب بخوفٍ شديد: باللهِ لقد ناداني قبلَ  
نومي.

آمنة: وماذا قال لك؟

زينب: يقول لي: زينب، زينب، يظلّ  
يُنادياني بصوتٍ أقرب ما يكون إلى  
الهمس، حتى أنام.

آمنة ضاحكة: ربما ناديتك أنا أو....

زينب مقاطعة: باللهِ يأتيني الصوت من  
أسفل خزانة الملابس، فألتحف وأنام  
على الفور.

آمنة: زينب لا تُعطي الهوا جس مساحة  
من عقلك، لأنك إن فعلتِ فسيذهب عقلك  
كله.

زينب بحسرة: حسناً أمي.

ذهبَتِ إِلَى بَيْتِ جَدّتِهَا رَاجِيَةً، فَقَبَّلَتْ  
جَبَنَاهَا وَيُمْنَاهَا، وَقَعَدَتْ بِجُوارِهَا.

أَخْرَجَتْ مِنْ حَقِيبَتِهَا الَّتِي صَنَعَتْهَا لَهَا  
آمْنَةً مِنْ إِحْدَى الْجَلَابِيبِ، دَفَّتِرًا وَرِيشَةً  
وَمَحْبَرَةً، وَأَخْذَتْ تَسْطُرَ مَا يُؤْلِمُ قَلْبَهَا،  
وَمَا لَمْ يَسْتَوِ عَبْهُ عَقْلَهَا الْفَطِنِ.

بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، غَافِرِ الذَّنْبِ شَدِيدِ  
الْعِقَابِ، وَبَعْدَ، قَدْ زَادَ وَعِيَّ، رَغْمَ صِغْرِ  
سَنَّيِّ، فَصَارَ عَقْلَيِّ نَشِطًا وَفِكْرِيِّ  
مُسْتَعِرًا.

مَنْحَنِيَ الْمَوْلَى سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى، هَبَّةً لَمْ  
أَجِدْ مِثْلَهَا بِأَقْرَانِي، أَهِيَ نِعْمَةٌ أَمْ نِقْمَةٌ؟  
اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَدْرِى.

قد هيّأني الله لحمل الأمانة، حين جعلني  
حفيدة لعبد الصالح (زكريا أبي العمدة)،  
رحمات الله تتراء على قبره.

وابتلاني حين أخرجني من صلبِ  
(عبددين بن يحيى ابن أبي المكارم)،  
ابتلاء لا أعلم مداه إلى الآن، يكفي أنَّ  
الله قد نبهني، ورغم ذلك لا أدرى ماذا  
أفعل؟!

أشعر بالألم يعصر قلبي، فأشد ما يحدثُ  
للمرء أن يُبتلى فيما يُحبّ!

أسأعل: وهل يكون البلاء إلا فيما نُحبّ?  
إن لم يكن البلاء فيما نُحبّ فليس بلاء.

هذا علمني جدي الشيخ (زكريا) رحمة  
الله وغفر له، كما أخبرني بحديث سيدنا  
النبي صلى الله عليه وسلم، حين قال:

"إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، وَإِنَّ عِظَمَ  
الجزاء من عِظَمِ الْبَلَاء".

لَكَنَّهُ أَبِي يَا رَبِّ، أُحِبُّتُهُ بِالْفِطْرَةِ، كَانَ  
مِثَالًا لِلخُلُقِ الْحَمِيدِ، وَأَهْلًا لِلْمَرْوِعَةِ، لَقِدْ  
كَانَ خَلِيفَةً عَبْدَكَ زَكَرِيَا فِي إِمَامَةِ  
الْجَامِعِ، كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا؟

كَيْفَ يَتَحَوَّلُ الْمَرْءُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؟  
يَبْقَى السُّؤَالُ الَّذِي يُشَغِّلُ تَفْكِيرِي هُوَ، مَا  
الَّذِي حَدَثَ لَهُ فِي بَلَادِ الْغُربَةِ؟

لَنْ أَبْرَحَ حَتَّى أَبْلُغَ الإِجَابَةَ، وَإِنْ كَلَّفْتَنِي  
مَا بَقَيَ لِي مِنْ عُمْرٍ.

أَغْلَقْتُ دَفْرَهَا وَمَسَحْتُ دَمَعَهَا، ثُمَّ طَلَبْتُ  
مِنْ جَدِّهَا أَنْ تُحَدِّثَهَا عَنْ أَبِيهَا، عَنْ  
طَفُولَتِهِ وَشَبَابِهِ.

اجتمع اللاشيوء ببعض أبناءه، ليُخطط  
كيف ينتقم من زينب، ويُعرقل طريقها  
قبل أن تصل إلى الحقيقة؟

قد تحققت النبوة، وجاءت زينب  
لتفضح أمرنا.

قالها اللاشيوء بغضبٍ ارتجَّ له المكان.

أحد أبناءه: مُرنا يا مولانا.

اللاشيوء: لا دخل لكم بها.

أحد أبناءه: من لها إذا؟

اللاشيوء ساخراً: عابدين.

أحد أبناءه: أسيقتها بيده؟

اللاشيوء: لا؛ كي لا يفتشوا أمره، كما  
أنَّه لن يفعل، لأنَّها أحبُّ ذرِّيته إلى قلبها،

بل وأقربهم إليه، حتى أنه يُلقبها بأم  
أبيها.

أحد أبناءه: قد فهمت فيما يُفكِّر مولانا.

اللاشيء: فيما؟

أحد أبناءه: سنقتها نحن ولكن عن  
طريق عابدين.

اللاشيء ضاحكاً: هو ذاك.

## الفصل الثالث عشر

ذكرت لها راجية أنَّ أباها قد أقامَ ببيتِ  
خالتهِ (حنة) بالقاهرةِ عدّة سنوات،  
وحيثَ عادَ لم يعرِفْهُ أحدٌ؛ إذْ كانَ كمنْ  
وْلَدَ بالقاهرةِ وترعرعَ بها.

قيلَ أنَّ (حافظ) زوج خالتهِ قد امتهنَ  
السّحرَ \_والعياذُ باللهِ، حتى أَنَّهُ جعلَ منْ  
بيتهِ مقرًّا لِاستقبالِ الزبائنِ.

كانَ الجيران يخشونهُ؛ لِعْلمِهِ مَعْدومِ  
خوفِهِ مِنَ اللهِ، بل إِنَّهُ قد تسبَّبَ بأفعالِهِ  
في خرابِ الكثيرِ منَ البيوتِ.

كما كانَ سببًا في خرابِ بيتهِ هو.

تساءلت زينب بدهشة: كيفَ يا جدة؟

راجٰيةٌ بعْدَمَا تَنَاهٰتْ: كَانَ مَا يَفْعُلُهُ  
تَمَهِيًّا لِخَرَابِ بَيْتِهِ.

قَدْ فَكَ الأَسْرَ، وَخَرَبَ الْبَيْوَتَ، وَتَسَبَّبَ  
بَعْدَ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، فِي مَقْتَلِ  
الكثيرين بسحره.

كَانَ مَاهِرًا فِي عَمَلِهِ الْبَاطِلِ، فَذَاعَ صَيْتُهُ  
وَاشْتَهِرَ بِالْفَكِ وَالرَّبْطِ، وَالْقَتْلِ وَالْجَلْبِ.

لَمْ يَكُنْ كَزَوْجِهِ حَنَّةً؛ إِذْ كَانَتْ امْرَأَةً  
طَيِّبَةً، تَخْشَى اللَّهَ وَتَتَقَبَّلُهُ، لَا تَرْضَى عَنْ  
عَمَلِهِ، لَكِنْ لَيْسَ لَهَا مَنْ يَعْوِلُهَا  
وَصَغَارُهَا الْثَلَاثُ.

صَبَرَتْ عَلَى نَصِيبِهَا، رَبَّتْ أَبْنَاءَهَا تَرْبِيَةً  
حَسَنَةً، لَكَذَّهَا لَمْ تُسْتَطِعْ مَنْعَ وَصْولِ  
الْقَدْرِ إِلَيْهِمْ.

أقامَ عَنْهَا عَابِدِينَ عِدَّةَ سِنُواتٍ؛ إِذْ كَانَ  
يُحِبُّهَا وَيَجِدُ بِهَا أُمَّهَ، لَكِنَّ حَافِظَ لَمْ يَتَرَكِهُ  
حَتَّى عَلِمَهُ الصُّنْعَةَ!

هَذَا قَالَ إِخْوَتِهِ حِينَما بَدَأَ بِالسَّيْرِ عَلَى  
خُطُى حَافِظٍ، الْغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّهُمْ لَمْ  
يَأْخُذُوا بِيَدِهِ بَعِيدًا عَنْ طَرِيقِ الشَّيْطَانِ،  
بَلْ جَعَلُوهُ فَخْرًا لَهُمْ، حَتَّى هَدَاهُ اللَّهُ  
لِطَرِيقِ جَدِّكِ زَكْرِيَاً، فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَنَأَى بِهِ  
بَعِيدًا، وَلَمَا صَدَقَ صَلَاحَهُ زَوْجُهُ آمَنَهُ.

زَينَبُ: وَبَيْتُ حَافِظٍ مَاذَا حَدَثَ فِيهِ؟

رَاجِيَةٌ: قَدْ طَالَهُ الْأَذَى وَالْخَرَابُ، فُقْتَلَ  
الصَّفَارُ الْثَلَاثُ \_بَعْدَ قَضَاءِ اللَّهِ وَقُدْرَهِ،  
بَسْحَرٍ جَنِّيٍّ، وَأُصْبِيَتْ حَنَّةُ بِشَلَلٍ رُبْعَاعِيٍّ،  
وَمَاتَ حَافِظٌ جَاحِظُ الْعَيْنَيْنِ؛ إِثرَ توقُّفِ  
مَفَاجِئِ لَقْلَبِهِ.

سافر عابدين فجاء بخالتِه، ظلت عندهم  
حتى ماتت، وفُبرت بمدافنهم.

زينب والقلق يظهر على وجهها: إذا  
الموضوع أكبر مما خيلَ لي.

راجية: ماذا تقولين يا ابنتي؟

زينب: لا شيء جدي، ثم قبلت يمناهما  
وذهبت.

مررت الأيام والتحقت زينب بالمدرسة  
الإعدادية، بعد نجاحها في الشهادة  
الابتدائية، بينما سالم وغامق قد التحقا  
بالصف الأول الابتدائي.

طلبت آمنة من عابدين أن يكمل بناء  
البيت، ومن ثم يقوم بتجهيزه من بلاطٍ  
ونقاشٍ، ليكون مناسباً للاستخدام  
الآدمي، لكنه رفض رفضاً قاطعاً، رغم

عِلْمَهُ بِمَا فَعَلَتْهُ الشَّمْسُ بِأَجْهَزِهِمْ  
الْهَضْمِيَّهُ!

كَانَ يَقْضِي يَوْمَهُ مَا بَيْنَ بَيْتِ إِخْوَتِهِ  
وَبَيْوَتِ أَخْوَاتِهِ، فَيُطْعِمُونَهُ وَيُضَاحِكُونَهُ،  
ثُمَّ يَقْوِمُونَ بِالْوَقِيعَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آمْنَهُ؛  
فَيُرْجِعُ إِلَيْهَا غَاضِبًا، وَيُضَرِّبُهَا عَلَى أَنْفِهِ  
الْأَسْبَابِ، وَأَحْيَانًا يَكُونُ الضَّرَبُ بلا  
سَبَبٍ.

هَذَا كَانَتْ أَيَّامُهُ مَعْهُمْ بِبَيْتِهِمُ الْغَرِيبُ؛ قَدْ  
سَكَنَتْ إِحْدَى الْعَائِلَاتِ بِجَوارِهِمْ، فَفَرَحَتْ  
آمْنَهُ، لَأَنَّهَا سَتَجِدُ مَنْ يُؤْنِسُ وَحْشَتِهِمْ.

قَدْ لَاحَظَتْ زَينَبُ تَغْيِيرًا مُلْحوِظًا فِي سُلُوكِ  
عَابِدِينَ؛ إِذَا لَا يُنْطِقُ لِسَانَهُ إِلَّا بِالْبَذِيءِ  
مِنَ الْكَلَامِ، حَتَّى أَمَامِ صَفَارَهُ، لَا يَحْتَرِمُ

وجودهم، ويتحدّث إلى آمنة بما يدور  
بينهما في فراش الزوجية.

بل تطوّر الأمر لِمَا هو أقبح؛ حين اعتلى  
آمنة أمّام أعينهم مُحاولاً مُضاجعتها،  
لأنّها قاومته حتى خرجت من تحته.

هي لا تُشير غريزته أمّام الصغار، بل إنّ  
غريزته مُثارة على الدوام دون سبب.

حاولت التحدّث إليه بشأن شره الخاصة  
بالعلاقة الحميمية، لكنّه لم يُنصت لها،  
فكرت كثيراً عن سبب ما جعله هكذا،  
حتّى أوّلهمها عقلها الصغير أَنَّهُ شديد  
الخصوصية!

تعجبت زينب من سلوك والدّها معهم؛ إذ  
يتحدّث بالبذاءة مع آمنة وأمامهم، بينما  
هو مع النّاس إنسان آخر، يُصلّي

بالصف الأول، ويُزور هذا، ويُخف عن  
ذاك، ويدعو لذلك.

وتساءلت: كيف يكون الشخص الشيء  
ونقيضه في آنٍ واحد؟

كيف يصلّي وي فعل ما تنهاه عنه الصلاة؟

كيف يكون اللسان كثير الذكر لله رب  
العالمين، ومع ذلك يتلفظ بالبذاءة؟

كيف وكيف وكيف؟

وبعد أشهر عدة قضتها زينب في البحث  
والتحصي، توصلت لمعادلة قد تؤدي إلى  
الحقيقة الغائبة.

إذا كان رسول الله ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، قد قال: عن أنس بن مالك رضي  
الله عنه قال: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَمَ سَبَّابًا وَلَا فَحَاشَّا وَلَا لَعَانًا  
كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَغْتَبَةِ: مَا لَهُ تَرَبَّ  
جَبِينُهُ، رواه البخاري.

إِذَا الْبَذَاءَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ.

وَأَمَّا عَنْ مُحاوْلَةِ مُضَاجِعَتِهِ لِآمْنَةِ  
أَمَانَةِ، فَهَذَا الْفَعْلُ لَا يَصْدِرُ إِلَّا مِنْ  
شَيْطَانٍ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
قَالَ: هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ،  
فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ سِنْتَرَهُ،  
وَاسْتَتَرَ بِسِنْتَرِ اللَّهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: ثُمَّ يَجْلِسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَّا  
فَعَلْتُ كَذَّا، قَالَ: فَسَكَّوْا.

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: هَلْ مِنْكُنَّ  
مَنْ تُحَدِّثُ؟

فَسَكَنَ فَجَأَتْ فَتَاهَةً - قَالَ مُؤْمَلٌ فِي  
خَدِيثِهِ فَتَاهَةً كَعَابٍ عَلَى إِحْدَى رُكْبَتِهَا،  
وَتَطَاوَلَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ لِيَرَاهَا وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، فَقَالَتْ: يَا  
رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ مِمْ لَيَتَهُ دَثْنَ وَإِنَّهُ نَ  
لَيَتَهَدَّثَهُ، فَقَالَ: هَلْ تَذْرُونَ مَا مَثَلُ ذَلِكَ؟  
فَقَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانَةِ لَقِيَتْ  
شَيْطَانًا فِي السِّكَّةِ فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ  
وَالنَّاسُ يُنْظَرُونَ إِلَيْهِ.

إِذَا سَلَوْكَ عَابِدِينَ مَا هُوَ إِلَّا سَلَوْكَ  
شَيْطَانَ.

كَمَا أَئْهُ حَاوَلَ مَرَارًا أَنْ يُعرِقلَ مَسِيرَتِي  
الْتَّعْلِيمِيَّةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحَ.

الفحش والبذاءة من صفات الشّياطين،  
لكنَّ أبِي إنسان مُسلم، كيف يكُون بخُلقِ  
شَيْطان؟

كانت زينب كُلّما وصلت لمعلومٍة جديدة،  
ذهبَت إلى بيتِ جدّتها راجية فُكَّةٍ جِبْرًا  
على ورق!

ظلّت هكذا عدّة أشهرٍ حتّى راودتها فكرة  
غريبة؛ إذ طلبت من جدّتها أنْ تفتح لها  
مكتبة جدّها الراحل الشيخ (زكريا).

رفضت راجية في بداية الأمر، لكنَّها  
سُرِّعَانَ ما استجابت لزينب، شريطةً أنْ  
يكون الأمر سرًّا بينهما، لا يعلم به ثالث.

ظلّت تُطَالع أمهات الكتب حتّى شاخَ  
عقاها، ثمَّ تطرّقت إلى كتب الفقهِ  
والحديثِ، والتفسير؛ لما احتوت عليهِ

من التحذير من السّحر والإشغال به،  
وبيان حُرمتَه طِبْةً ا لتفسِير أي الذكر  
الحَكِيم، وما أقرَتَه السُّنَّة النَّبُوَيَّة  
المُطْهَرَة.

فَهَمَتْ مَا كَانَ يَنْقُصُهَا، لَكُنَّهَا لَمْ تُقْرَرْ بَعْد  
مَاذا تَفْعَل؟

وَمَا الَّذِي يَجْبُ عَلَيْهَا فَعْلَهُ؟  
تَسَلَّلَ الشَّكُّ إِلَى قُلُوبِهَا، بَأَنَّ أَحَدَهُمْ قَدْ  
سَحَرَ لَأْبِيهَا بِبَلَادِ الْغُرْبَةِ، لَكِنَّ شَكَّهَا كَانَ  
أَهُونَ كَثِيرًا مِنَ الْحَقِيقَةِ.

تَوَقَّفَ الرَّاوِي وَالدَّمْعُ يَتَسَاقِطُ مِنْ عَيْنِيهِ،  
اقْتَرَبَ مِنْهُ الصَّبِيَّةُ، رَبَّتْ وَاعْلَمَ كَتْفَهُ  
بِحَنَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَسَحَ دَمْعَهُ.

تَهَدَّى ثُمَّ تَابَ: مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَتَغَيَّرَتِ الْعَالَمُ  
جَسَدُ زِينَبَ، وَازْدَانَتْ مَلَامِحُهَا،  
وَوَضَحتْ مَلَاحِثُهَا لِلْقَاصِيِّ وَالْدَّانِيِّ.

زادها الله جمالاً فوق جمالها، بالإضافة  
للوضاءة والحسن.

تمهيداً لدخولها مرحلة جديدة من مراحلها العمرية، لكنها أشد المراحل وأصعبها انقضاء!

## الفصل الرابع عشر

بعد بلوغ زينب عامها الرابع عشر بعده  
أيام، زارت بها ضيفة جديدة على حياتها،  
ضيفة تزور بنات حواء شهرياً وإلى أن  
تغادر بلا عودة.

نامت زينب عندما ذاكرت دروسها، لكنها  
لم تهناً بنومها؛ فقد أيقظها العطش،  
راحَتْ لتشرب، فشعرت بشيءٍ يتسلل  
بين فخذيها، مذلت يدها فلامست بللاً،  
تبينتُهُ على ضوءِ السراج فوجده دماً.

أسرعت إلى أمها والخوف يملأ قلبها،  
همست لها فاسْتَيقظت، وخرجت معها  
إلى الغرفة الأخرى.

زينب بخوفٍ وقلق: قد حاضتْ زينب يا  
أمّها.

آمنة بدهشة: متى؟

زينب والدمع يتسرّقُ من عينيها: الان.

آمنة وقد احتضنتها: لا تخافي بضعة  
قلبي وروحي، هكذا هي طبيعة بنات  
حواء.

ثم ذهبت وعادت بعد دقائق ومعها  
حقيبة.

أعطتها لزينب وقالت: هذه حقيبة أُ  
الخاصّة بفترة حيضكِ، فما بها من ألبسةٍ  
لا ترتديه إلا لهذا الغرض، قد فصلتها لكِ  
جدّتكِ راجية عند العمة ماريا.

زينب: حسناً أمّي.

آمنة: لا تخافي ولا تقلي، فقد سبق  
ومهدت لك ما يَحْدُثُ الآن، مبارك عليكِ  
بلوغكِ المَحِيضِ آنسٰتِي العزيزة.

خجلت زينب فوضعت يدها على وجهها  
دون أن تردد.

آمنة: هيّا إلى دورة المياه، وأنا هنا  
أنتظركِ.

وبعد دقائق، كانت زينب قد فعلت ما  
أوصتها به آمنة.

آمنة بسمةٍ مطمئنةً: هل تشعرين بألم؟

زينب بصوتٍ حيي: لا أُمّي.

آمنة وقد قطبت حاجباهَا: كيف؟

زينب: لا أشعر بأيّ ألمٍ أُمّي.

آمنة مُبتسمة: حمداً لله، سيكون حيضاً  
سهلاً بُنيّتي.

زينب تنظر للأرض ولا ترد.

آمنة: قد حدثنا كثيراً عن ما أنت فيه  
قبل أن تُقبل عليه، لذالن أكثر علىكِ،  
لكن أريد شيئاً منكِ.

زينب: تفضلي أمّي.

آمنة: تذهبين في الصباح إلى جدتكِ  
راجية، وتبشريها بالخبر.

زينب: حسناً أمّي، سأفعل إن شاء الله.

آمنة: ستصح فانصت لها جيداً.

زينب: حسناً أمّي.

آمنة بعدما قبّاتها بين عينيها: والآن هيّا  
لتامي، تُصبحين على خير.

زِينَبْ بَعْدَمَا قَبَّلْتِ يُمَنَاهَا: وَأَنْتِ كَذَلِكَ  
أُمِّي.

وَفِي الصَّبَاحِ ذَهَبَتْ زِينَبْ إِلَى بَيْتِ جَدِّهَا  
رَاجِيَةً.

طَرَقَتِ الْبَابَ، فَتَحَتْ لَهَا رَاجِيَةً، رَحَبَتْ  
بَهَا وَقَبَّلَتْهَا بَيْنَ عَيْنِيهَا، ثُمَّ سَأَلَتْهَا: هَلْ  
آمِنَةٌ بَخِيرٌ؟

أَجَابَتِهَا زِينَبْ: أَجَلْ، جَئْتُ لِأَتَنَاؤَ مَعِي  
الإِفْطَارَ جَدَّةً.

رَاجِيَةً بِفَرَحٍ: حَلَّتِ أَهْلًا يَا فَلَذَةَ كَبْدِيِّ،  
سَأَصْنُعُ لَكِ إِفْطَارًا شَهِيًّا.

أَشْعَلَتِ رَاجِيَةً مَوْقِدَ الْكِيرُوسِينِ،  
وَوَضَعَتِ الْمَاءَ بِإِنَاءٍ مُتوسِطِ الْحَجْمِ،  
وَرَفَعَتِهُ عَلَى النَّارِ.

اقربت منها زينب، وهمست لها: أريد  
إبارك بأمرِ هام جدّة.

قامت الجدة وأخذتها، وقعدتا بالصالحة.

زينب على استحياء: قد أعطتني أمّي  
الحقيبة التي صنعتها لأجلِي بمعونة  
العمّة ماريا.

فكّرت راجية لحظات ثمَّ قالت: هل  
زارتكِ الضيفة؟

زينب وقد احمرت وجهها: أجل.

راجية بعينين لامعتين: اللهم بارك  
فلذتي، اللهم بارك حفيدي، اللهم بارك  
زينبي.

زينب بسمةٍ صافية: وأنتِ كذلك جدّة.

راجيةٌ بعدما زغردت: قد صرتِ شابةً  
 مليحةً زينب.

زينب تبتسم ولا تردد.

راجية: بُنِيَتِي، أَعْلَمُ أَنْتِكِ تقيّةً وذكيّةً،  
 كيف لا؟

وقد رُبِّيتِ في كنزِ زكرياءِ أبي العمدة،  
 لكنَّ هذا لا يمنعني أنْ أنصحكِ.

زينب: انصحيني ما شئتِ جدّة.

راجيةٌ بعدما ربتَ على كتفها بحنانٍ  
 بالغ: أوصيكِ بتقوى الله.

زينب: اللهمَّ اجعلني تقيّةً نقيةً واحفظني  
 بما تحفظ به عبادكَ الصالحين.

راجية: اللهم آمين، والآن سأصنع لك  
أشهى إفطار على الإطلاق، ثم صعدت  
إلى سطح البيت وبيدها سكين حادة.

عابدين، أريدك أن تُنصر لي جيّداً، فلدي  
بشاره لك.

قالتها آمنة وهي تعطيه كوب الشاي.  
عابدين بلهفة: أُنصل لك آمنة، ماذا  
هناك؟

آمنة بهمسٍ: قد حاضت الصغيرة يا  
أباها.

عابدين: أحقاً؟

آمنة: أجل.

عابدين: مُنذ متى؟

آمنة: بعد منتصف الليل.

عابدين: وأين هي؟

آمنة: ذهبت إلى بيتِ جدّتها.

عابدين بعينِ ين لامعتِ ين: إنَّهَا حَقًّا  
لِبُشَارَةٍ.

قامتْ راجية بذبح بطة كبيرة الحجم  
كثيرة اللحم، ثمَّ هبطت من أعلى السُّلم.

أسرعتْ إلى موقد الكيروسين فزادت من سرعته، ثمَّ وضعت الماء المغلي بِإيَّاهٍ أكبر، ونظفت البطة، ثمَّ قطعتها إلى أربع، ووضعتها بالماء المغلي على الموقد الحطبي؛ ليسهل نضجها.

فتحت غرفة الخزين الخاصة بالبيت، فأخرجت منها رطلًا من السمن البدني، وبعض الدقيق، وبرطمانًا من العسل الأسود الطازج.

عْجَنْتِ الدِّقِيقِ بِبَعْضِ السَّمْنِ الْبَلْدِيِّ، ثُمَّ  
انْتَظَرْتُهُ حَتَّى اخْتَمَرَ، وَأَعَادْتُ عْجَنْهُ مِنْ  
جَدِيدٍ، ثُمَّ وَضَعْتُهُ بِصَيْنِيَّةٍ كَبِيرَةٍ،  
وَأَدْخَلْتُهُ الْفَرْنَ الْبَلْدِيِّ، الَّذِي أَشْعَلْتُهُ  
مُسْبَقاً.

وَبَعْدَ نَصْفِ سَاعَةٍ كَانَتْ زَيْنَبُ تَتَنَاهُولُ  
أَشْهِي إِفْطَارٍ مِنْ يَدِ جَدِّتِهَا رَاجِيَةً.

زَيْنَبٌ: سَلَّمْتِ لِي جَدِّتِي.  
رَاجِيَةٌ بَعْدَمَا قَبَّلَتِهَا: حُفِظْتِ لِي زَيْنِبِي.

اسْتَأْذَنْتِ زَيْنَبَ جَدِّتِهَا فِي دُخُولِ مَكْتبَةِ  
جَدِّهَا؛ رِيَثَمَا تُعَذَّ لَهَا الْغَدَاءُ.

وَافَقْتِ رَاجِيَةً، وَصَنَعْتِ لَهَا كُوبَّا مِنْ  
الْقَهْوَةِ، وَقَدَّمْتُهُ بِجَانِبِ بَعْضِ الْكَعُوكِ.

أخرجت قلمها ودفترها من حقيبةها،  
التي تحفظها بالدرج الخاص بمكتب  
جدها الراحل، وأخذت تسطر ما حدث لها  
من بلوغها المحيض، ثم أعادت الدفتر  
والقلم للحقيبة، وأعادتها إلى الدرج،  
لتستطيع القراءة بتركيز بحضره فنجان  
القهوة المرة الذي تحتسيه.

خرج عابدين إلى العراء بالقرب من  
مقابر البلدة، دخل أحد الكهوف، ليُلبي  
نداء اللاشيء.

عابدين.

عابدين بصوتٍ صاغر: لبيك مولاي.

قد بلغت الصغيرة المحيض، وهذا هو  
الموعد.

عابدين: قد حدث مولاي.

إِنْ لَمْ تَقْمِ بِتَنْفِيذِ الْمُهْمَةِ فَتِرَةٌ حِيْضُهَا  
فَلَنْ تَسْتَطِعَ تَنْفِيذَهَا فِيمَا بَعْدَ.

عَابِدِينَ مَطَاطِ الرَّأْسِ: لِمَاذَا؟

لَا تَهَا أَتْقَى أَبْنَاءَ آمْنَةَ وَأَقْوَاهُمْ؛  
تُحَاوِطُهَا هَالَةٌ نُورانِيَّةٌ هَائِلةٌ، كَمَا تَمْتَلَكُ  
طَاقَةً رُوحانِيَّةً عَظِيمَةً، بِإِمْكَانِهَا أَنْ  
تُحرِقَ مَنْ يَقْتَرُبُ مِنْهَا.

عَابِدِينَ مُنْدَهَشُّاً: أَوْكُلْ هَذَا يَكْمَنُ  
بِالصَّغِيرَةِ زَيْنَبُ؟

وَأَكْثَرُ، أَنْتَ لَا تَعْلَمُ شَيْئًا.

عَابِدِينَ: مُرْنِي، خادِمُكَ الْمُطَبِّعُ مُولَّايُ.

آتَنِي بِأَثْرٍ لَهَا، وَسَنَقُومُ نَحْنُ بِسُّحْرِهَا.

عَابِدِينَ: أَيِّ أَثْرٍ مُولَّايُ؟

أريد بعضًا من دمها، ودماء الحيض

تكتفي!

## الفصل الخامس عشر

تبّهت زينب أثناء مطالعتها لأحدى الكتب، أنَّ بعض الطرق الصوفية تعتمد في جوهرها على السُّحر والعمل به.

أي أنَّهم يُحلّونَ ما حرمَ اللهُ افتراهُ عليه. عرفت وجهتها أخيراً، وهي البحث عن المتصوفة، وأفعالهم وأساليب حياتهم.

نادتها راجية لتناول الغداء قبلَ أذان العصر، أعادت الكتاب لمكانه، وخرجت وأغلقت الباب.

بِسْمِ اللَّهِ مَا شاءَ الرَّحْمَنُ!  
قالت لها زينب وهي تقدّم بجوار جدتها.

راجية مُبتسمة: لا بدّ وأن تتغذى جيداً،  
خصوصاً خلال هذه الفترة يا عروس  
البير.

زينب وقد قطبت حاجباهَا: عروس  
البير؟

راجية ضاحكة: سأحكي لك قصتها،  
ولكن ليس الآن.

زينب مُبتسمة: حسناً، بِسْمِ اللهِ،  
وشرعت في تناول الطعام، فبدأت بحساء  
البط، وبعد أن تذوقته: جذّتي، إنه لذيذ  
للغاية.

راجية: بالهباء والشفاء حبيبتي، هيّا، لا  
أريدك أن تُبقي شيئاً من هذه المائدة.

زينب بمرح: سأفعل بعون الله، ما دامت  
راجية هي الطاهية.

عادَ عابدينَ إلَى الْبَيْتِ، بحثَ عن زينبَ  
فَلَمْ يجِدْهَا، سَأَلَ آمِنَةَ، فَأَخْبَرَتْهُ بِأَنَّهَا  
ستَقْضِي الْيَوْمَ مَعَ جَدِّهَا.

حسَنًا، حِينَ تَعُودُ أَخْبَرِيهَا أَنَّنِي أُرِيدُهَا  
بِخَصْوَصٍ أَمْرٍ هَامٍ.

قالَهَا عابدينَ وَهُوَ يَسْتَلْقِي عَلَى سَرِيرِهِ.

آمِنَةَ: حَسَنًا، وَلَكِنْ أَيْنَ كُنْتَ؟

عابدينَ: جَلَسْتُ بِالْجَامِعِ بَعْضَ الْوَقْتِ،  
ثُمَّ عُدْتُ.

آمِنَةَ: حَسَنًا.

هَا أَنَا قَدْ تَناولْتُ الطَّعَامَ، هَلْ لَكِ أَنْ  
تَحْكِي لِي قَصَّةً (عَرْوَسُ الْبَئْرِ) جَدِّتِي؟

قَالَتْهَا زينبَ وَهِيَ تَجْلِسُ عَلَى الأُرِيكَةِ.

راجِيَةَ: حَسَنًا.

كان يا ما كان.. في قديم الزمان، وقبل اختراع ماكينة الحياكة، كانت هنالك عروس ريفية بسيطة، تسكن عائلتها الأرض التي يزرعونها.

بلغت الجميلة المحب، فجاءها الرجال خاطبون؛ لوضاعتها وملاحتها.

لم تُكِنْ ترَغب في الزواج؛ لشدة حياءها، وخوفها الكثيف من الرجال، إذ كانت تظنّهم مخلوقات من كوكب آخر!

وبعد إقْناعٍ أخذَ وقْتاً طويلاً، وافقت العروس على الزواج من أحد شباب البلدة، شابٌ تقي، اشتهر بالورع، أحبّها مُذْ خطبها، ووافق على شروطها وشروط أهلها.

مرّت الأيام وحان الزفاف، لكنّها خائفة،  
خجلى، لا تحبّ ما يفعلونه بالعروس،  
من كشفٍ للسوءة، بحجة التزيين  
وغيرها.

قررت أن تتمرد على نظمتهم المُخالف  
لما جاء به الشرع الحنيف، فذهبت إلى  
مكانٍ بعيد عن البلدة، استظلّت بظلّ  
شجرة كثيرة الأفرع.

خلعت عباءتها، وقامت بتنظيف جسدها  
بنفسها، ثم سمعت صوتاً يناديها، خشيت  
أن يراها أحد فقفزت في البئر المجاورة  
للشجرة!

لحسن حظّها أنّ البئر كانت عامرة  
بالماء، لكنّها لام تُفرق العروس، بل

صنعت لها ثوبًا فضفاضًا ساترًا من  
ماءها، وأخرجتها.

عادت للشجرة مرة أخرى، فغرلت لها  
الشجرة تاجًا أخضرًا محفور عليهَا  
(عروس البئر)، صريعة الحياة.

تعجبت العروس، كيف تكون صريعة  
وهي لا زالت على قيد الحياة؟!

عادت إلى البلدة، وما أن رأوها بهذا  
الشكل الملكي؛ حتى ظنّوها إحدى ملكات  
الجان، فحملوها وأسرعوا بها إلى البئر  
فرموها.

لكنَّ البئر لم تُخرجها هذه المرة؛ بل  
احتضنتها فتاهت في أحضانها، وفاضت  
روحها.

زينب بعدها مسحت دمعها: قصّتِي حزينة  
راجية.

راجية ضاحكة: يا ملكة الإحساس، هذه  
القصة من وحي الخيال، لكنْ ما عجبني  
بها، هو وجه الشبه بينك وبين عروس  
البلر.

زينب: كيف؟

راجية: من حيث الجمال والحياء، وكذا  
التفكير.

زينب مُبتسمة: حسناً، والآن سأذهب إلى  
البيت، أتريدين شيئاً جديداً؟

راجية: سلامتك أريد وقبلتها.

عادت زينب قبل الغروب، فوجدهم  
يتناولون العشاء، ألقى عليهم السلام،  
ودخلت بذلت ثوبها بثوب البيت.

ثمَّ أخذت السراج الموضوع جانبًا،  
وذهبت لدوره المياه ومعها الحقيبة التي  
أعطتها لها آمنة.

وبعد دقائق خرجت، ونادت آمنة،  
فسألتها أين تضع ما خلعته من لباس،  
أخذته منها آمنة ووضعته بطرست، ثمَّ  
وضعته جانبًا.

عابدين: زينب، تعالى يا أمّ أبيها.

زينب: قد جئتُكِ أمّي.

عابدين: قد أخبرتني أمّكِ بأمرِ بلوغكِ.

احمّرت وجنتها ولم تردد.

عابدين: ما وددت قوله لك هو أن  
ثحافظي على نفسك من أي سوء.

زينب بنبرةٍ حادة: مَن يحفظ الله يحفظه  
الله أبي، أَمْ أَنَّكَ قد نسيت هذا الحديث هو  
الآخر؟

عابدين مُتعلّثما: بل أحفظه يا ابنتي،  
وهذا ما وددت قوله لك، ليحفظ لك الإله  
وانصرف.

أخذت زينب تفكّر في أمر أبيها،  
وخصوصاً عندما تطرقت للبحث عن  
هوية المتصوفة الأحداث.

انتصف الليل، نامت آمنةً بعدما قامت  
الليل بمعية سالم وغانم، بينما زينب  
كانت تذكر الله بعيداً عن مصلاهم.

أخذ يبحث عن أثر لزينب فلم يجد  
بالغرفة، بحث في الداخل فوجد طسّتاً بهِ  
ما بدلتهُ من ملابس، لمعت عيناهُ ببريقِ  
النار، أخذ الأثر المراد وخبأه بملابسِهِ  
وانطلقَ بهِ نحو الكهف.

## الفصل السادس عشر

وضعَ ما جاءَ بهِ من أثر زينب أمّا  
اللاشىء بوسطِ الكهف.

اقربَ اللاشىء منهُ، أمسكَ بهِ واشتمَهُ  
ثمَّ قالَ: دماءُ طاهرةٌ لم تَل منها نجاستَ  
الحيض.

أخذَ الأثر ووضعَهُ بُطْسَتٍ، ونظرَ لعابدين  
فائلًا: سترى بأمِّ عينَكَ كَيْفَ يَكُون  
السّحر؟

تلا تعاويذهُ فحضرَ السّحرة، وقد تمثّلوا  
على هيئةِ شَيُوخٍ اشتغلت رؤوسهم  
شَيْباً!

خَرَّوْا لِهُ سُجْدًا، أَمْرَهُمْ أَنْ يَقُومُوا بِعَمَلِ  
السَّحْرِ لِصَاحِبِهِ الْأَثْرِ، مُشَيْرًا إِلَى  
الْطَّسْتِ.

تَسَاءَلَ أَحَدُهُمْ: أَيُّ سَحْرٍ يُرِيدُ مَوْلَاهِي؟  
اللَاشِيَءُ بِزَهْوٍ: سَنْبَدُأُ بِالسُّفْلِيِّ، فَمِثْلُ  
زِينَبِ لَنْ نَسْتَطِيعُ الْوَلُوْجَ إِلَى جَسْدِهَا  
بِالسَّحْرِ الْعَادِيِّ.

اقْتَرَبُوا مِنَ الطَّسْتِ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْدُأُوا،  
أَمْرَهُمْ بِالْتَّوْقُفِ، ثُمَّ قَالُوا: سَأَبْدُأُ أَنَا  
وَسُتُّكْمِلُونَ بَعْدِيِّ، طَبَّقُوا عَلَيْهَا كُلَّ مَا  
تَعْلَمْتُوهُ مِنْ سَحْرٍ.

جَلَسَ وَأَمَامَهُ الْأَثْرُ، وَرِيشَةُهُ، وَأَورَاقُهُ.

أَمْسَكَ الرِّيشَةَ فَوَضَّعَهَا فِي الْأَثْرِ،  
وَأَخْرَجَهَا مُلْطَخَةً بِالدَّمَاءِ، فَأَخَذَ ذَكْرَهُ وَكَتَبَ

على الورقة كلمات مُعِينَةٌ برموزٍ  
مخصوصة.

أنهى سّحره، وعقدَ الخيوط، فنفتَ فيها  
بتعاويذه، ثمَّ قالَ بفخرٍ: بهذا السّحر  
سأكسرك الْهالَةُ الإيمانيةُ الخاصةُ بزينب،  
وسأضعف طاقتها الروحانية؛ لأنَّه من  
السيطرة عليها؛ كي أضمنَ ولاءَ أبيها.

نظرَ إلَيْهِ عابدينَ بعينَينِ دامعتَينِ،  
والحسرة تأكل قلبه، ولسان حاله يقولُ:  
يا ليتني مِثْ قَبَلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا!

توقفَ الراوي لِيكفَ دمعَه، سائلُه أحدُ  
الصَّبيةِ: هل كانَ عابدينَ صالحًا يا  
مولانا؟

نظرَ إِلَيْهِ الرَّاوِي بَعْنَى دَامَ عَذَّبَتْ يَنِ وَقَالَ:  
وَهُلْ يُحَارِبُ الشَّيْطَانَ غَيْرَ الصَّالِحِينَ يَا  
وَلْدِي؟

قَدْ سَقَطَ عَابِدِينَ فِي بَئْرِ الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يَجِدْ  
مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ، خَشِيَ عَلَى ذُوِّيِّهِ مَنْ وَقَعَ  
مَا أَصَابَهُ، فَفَضَّلَ الصَّمْتَ حَتَّى أَخْرَجَ اللَّهُ  
مِنْ صُلْبِهِ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ.

فَرَحَ عَابِدِينَ كَثِيرًا جَدًّا بِمَوْلَدِ زَيْنَبِ،  
وَاخْتَارَ لَهَا هَذَا الاسمَ؛ لِحُبِّهِ الشَّدِيدِ  
لِلْسَّيِّدَةِ زَيْنَبِ وَسَائِرِ آلِ الْبَيْتِ.

لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُونُ بِلَاءَهُ، وَسِيَكُونُ  
هُوَ اخْتِبَارًا لَهَا فِي قُوَّةِ إِيمَانِهَا.

عَابِدِينَ مَا هُوَ إِلَّا ضَحَّيَّةُ الْجَهَلِ وَالظُّلْمِ،  
قَدْ اسْتَغْلَلَ أَحَدُ الْمُنْتَسِّبِينَ إِلَى الطُّرُقِ  
الصَّوْفِيَّةِ قَاتِلُهُ الطَّيِّبُ، وَحُبِّهِ الشَّدِيدُ لِلَّهِ

رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَكَذَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَمَا اسْتَغَلَ بِيَاضِ قَلْبِهِ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّ  
عِبَادَتُهُ بَاطِلَةٌ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ الصَّحِيحةَ  
تَكْمِنُ فِي إِتْبَاعِ طَرِيقَتِهِمْ، بَلْ وَأَقْنَعَهُ  
زُورًا وَبُهْتَانًا أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ  
لَيْسُوا بِشَرًّا عَادِيِّينَ؛ بَلْ هُمْ مَلَائِكَةٌ  
بِدَرْجَةِ بَشَرٍ!

دَخْلُوا لَهُ مِنْ بَابِ حُبِّ اللَّهِ، وَلَوْلَا أَمْيَتَهُ  
مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

خَدْعَوْهُ فَقَالُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْضُرُ فِيمَا يُسْمُونُهُ  
بِالْحُضْرَةِ، لَيْسَ هَذَا فَحْسَبٌ؛ بَلْ وَكَذَلِكَ  
الْأَمْرُ بِالنَّسْبَةِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

أقْنَعُوهُ أَنَّ الْأَقْطَابَ الْأَرْبَعَةَ (أَحْمَدُ  
الرَّفَاعِي، عَبْدُ الْقَادِرِ الجِيلَانِيُّ، أَحْمَدُ  
الْبَدْوِي، وَآخِيرًا إِبْرَاهِيمُ الدَّسْوَقِيُّ)، هُمُ  
الْغَوْثُ بَلْ وَالْهِدَايَةُ لِمُرِيدِيهِمْ، وَلَوْلَا هُمْ  
لَدُكْتُ الْأَرْضُ دَگَ!

عَلِمُوهُ أَنَّ الْحَضْرَةَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ،  
وَتَلَوَّهُ الْأُورَادُ الْخَاصَّةُ بِهِمْ، لِإِسْتَحْضَارِ  
أَرْوَاحِ الْأَقْطَابِ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنْ ثَمَّ طَلَبَ  
الْمَدْدُ مِنْهُمْ.

زَرَعُوا بِمُعْتَدِلٍ دِهْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَمُوتْ، وَكَذَا آلُ الْبَيْتِ،  
وَالْأَقْطَابُ الْأَرْبَعَةُ !!

بَلْ هُمْ أَحْيَاءُ فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ، لَذَا  
يَحْضُرُونَ لَهُمْ إِذَا مَا طَلَبُوا مَدْدُهُمْ، وَمَنْ  
ثَمَّ يَدْفَعُونَ عَنْهُمُ الضرر.

استحوذ عليه مُبتدعة الصوفية، مَن يُكِرّسون حيَاتهم لخدمة الأضرحة، لَكُنَّهم في حقيقة الأمر مَا هُم إلَّا مافيَا لِلأَضْرَحةِ، مَثَّلُ كَهْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الجَشْعِ وَالْطَّمَعِ، وَاستغلالِ النَّاسِ وَالْمُتَاجِرَةِ بِالدِّينِ.

حَوَّلُوهُ مِنْ شَخْصٍ طَبِيعِيٍّ إِلَى مَرِيضٍ بَارَانُويَا، يَرَى نَفْسَهُ عَلَى حَقٍّ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ طَرِيقَهُ عَلَى بَاطِلٍ، بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ كَمَا أَوْهَمُوهُ.

يَتَعَالَى فِي مُعَالَاتِهِ؛ إِذْ هُوَ الْمُخْتَارُ مِنْ بَيْنِ الْخَلَائِقِ، وَالْمُفْضِلُ عَلَى غَيْرِهِ، وَالْعَالَمُ بِمَا لَمْ يَعْلَمْهُ غَيْرُهُ، كَمَا يَزْعُمُونَ.

يَبْتَدِعُونَ فِي السُّنْنَةِ مَا لَيْسَ فِيهَا،  
وَيُؤْلِفُونَ الْأَحَادِيثِ الْبَاطِلَةَ ثُمَّ يَنْسَبُونَهَا  
زُورًا إِلَى أَشْرَفِ الْخُلُقِ وَحَبِيبِ الْحَقِّ،  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يَسِّرْ تَقْطِيبُونَ فَهُنَّ الْأُمِّيُّونَ؛ لِبَسَاطَةِ  
مَعْلُومَاتِهِمُ الدِّينِيَّةِ، وَلِرُبُّمَا لِعَدْمِ مَعْرِفَتِهِم  
بِهَا مِنَ الْأَسَاسِ.

سَلَبُوا لُبَّ عَابِدِينَ، وَمَنْ ثُمَّ قَامُوا بِسُرْقَةِ  
دِينِهِ، وَفِيمَا بَعْدٍ جَعَلُوهُ مَسْخًا خَادِمًا  
لِلشَّيْطَانِ.

عَلَمُوهُ السَّحْرُ؛ مُعَلَّمٌ أَنَّهُ أَحَدُ أَنْوَاعِ  
الْعِلُومِ، وَالْمُسْلِمُ مُطَالِبٌ بِطَلْبِ الْعِلْمِ!

مَهْدِوَاتُهُ الْطَّرِيقُ، أَنْ جَعَلُوهُ يَسِّرَ خَدْمَهُ  
السَّحْرُ فِي مُعَالِجَةِ الْأَمْرَاضِ  
الْمُسْتَعْصِيَّةِ، ثُمَّ فَكَ سَحْرِ الْرَّبْطِ بِسَحْرٍ

آخر، وهذا حتى جعلوه زانياً؛ إذ تأتيه  
امرأة العقيم فيُضاجعها بدعوى طرد  
الجني من رحمها المسكون.

تمر الأيام وتُصبح امرأة العقيم حبلى،  
فتعود إليه لتحمده وتشكره، وهي تعلم  
وهو يعلم أنه ما فعل شيئاً خارقاً، لكنه  
زنى بها وقوفاً على رغبتها.

أخبروه أنه لا يوجد فرج محرم؛ إذ كُلّ  
الفروج مسموح بوظها مالم تكن  
صاحبـة الفرج قد خرجت من صلبـه، طبقـاً  
لأقوـيل سادـاتهم وبـعض مشـايخ طـرقـهم،  
بل ذهبـ بهم الجـحود لإباحـة الزـنا بـحلـية  
الـجار، ما دامـ الشـيخ أرادـها فـهي مـلكـ لهـ  
حتـى يـقضـي وـطـرهـ.

قد سلّبوا أُبّ عابدين وأسّكناها م حلّة  
قاذوراتهم الفكريّة والسلوكيّة على حدٍ  
سواء.

خرجت زينب من صلبه لتأخذ بيده، لكنْ  
هل يأثرى سينصاع لأمرها، أم أنه  
سيُضحي بها كي لا يفتح أمره؟!

## الفصل السابع عشر

قام سحرة الجن بتنفيذ ما أمرهم به  
اللاشىء، بينما عابدين يقف حزيناً  
مُتحسراً، لا يقوى حتى على الاعتراض.

نظر إليه اللاشىء وقال: ما نفعه الآن  
هو نتاج فعلك السابق، أتذكرة حين  
عصيت أوامرنا في بادئ الأمر، بل  
وتسببت في مقتل عشرة من أشرس  
قبائل بنى جنسى.

لم تكن بهذه الشجاعة التي أنت بها  
الآن؛ إذ كنت تخشى غضبه عليه، بل  
وتطلب منه المغفرة، إن كان الأمر  
كذلك، فلما تركك دون أن يأخذ بيده؟

## لماذا لم يُعاقبَ إلى الآن إنْ كانَ هو شديد العقاب؟

سقطت دمعة رغماً عن عابدين، تنهَّدَ  
وقال: لكنني قد فعلت ما طابتْهُ مُنِي  
مولاي، ولم أتأخر على تنفيذ أوامر  
مولانا المُعظم، أمّا تلك الفتاة فلا دخلَ  
لها بما بيننا، هي صغيرة وهي ابنتي.

اقرب اللاشيء منه، وإنْ كان قد وارى  
سوءته ب الهيئة بشرى، لكنه لم يستطع أنْ  
يُواري رائحته المُنتحة، ويكتبه حيفة!

اللاشيء: ابنته تلك، هي أحبّ بناءك  
إليك، وأقربهم إلى قلبك، لذا ستكون هي  
 محلّ عقابك، أنتَ تُخطئ وهي تحملُ  
وزرك.

عابدين مُتوسلاً: خادمك المطير مولي،  
هي لا تفقه شيئاً.

اللاشيء بغضب: بل أنت هو من لا يفقه  
شيء، لقد أحرقت بقرآن ربها عشرات  
الخدم، وما كان ذلك ليحدث لو لم تكون  
فقيهة ورعة.

زينب تمثل لنا خطراً كبيراً، وإن نحن  
تركناها لتكبر ستقضى على معظمنا إن  
لم تقض علينا جميعاً.

تلك الفتاة الصغيرة قد أودعها الله قلباً  
شفافاً، هو بصيرتها التي ترى بها ما لا  
يراه غيرها، لذا سيكون جعل تركيزنا  
على قلبها.

عابدين بصوتٍ صاغر: كما تُريد مولي.

اللاشيء: خذ هذه الأسحار، ستضع  
بعضها في الطعام، والبعض الآخر في  
الشراب، وتحت عقب الباب.

وسكت ثم قال: أما هذا (السُّفلي) فستقوم  
بدهنه بفناء البيت؛ ليكون سجنها الأبدي،  
الذي لن يستطيع كائناً من كان إخراجها  
منه.

أخذ عابدين الأسحار وعاد إلى البيت قبل  
الفجر، خبأهن بخزانة الملابس، ثم خل  
إلى النوم.

وفي صباح اليوم التالي، طلب من آمنة  
أن تذهب إلى بيته؛ للترويح عن  
النفس، سأله إن كان سيذهب معهم أم  
لا، فأجابها بأنه سيغتسل ثم يلحق بهم.

ذهبت آمنة وأولادها، وما أن غادروا  
حتى قام بتنفيذ ما أمره به اللاشيع.

تسألت زينب إلى المكتبة، فأخذت تُكمل  
قراءة ما انتهت إليه في المرة السابقة،  
حتى سمعت صوت أبيها فوضعت الكتاب  
مكانه، وخرجت بسرعة قبل أن يلحظ  
غيابها.

أعدت لهم راجية إفطاراً شهياً، يتكون  
من الجبن الصعيدي، البيض المقلبي  
بالسمن البليدي، الفول المدمس بالزبدة،  
وصحناً من المورتة (بقايا السمن  
البليدي، الناتجة عن عملية تسريح  
الزبدة)، بالإضافة للخبز الشمسي، الذي  
تتميز به المائدة الصعيدية.

تناولوا إفطارهم، ثم جلسوا بس طح  
البيت، ليتنسموا عبير الزهور، التي  
زرعتها راجية.

زينب، ساعديني يا ابنتي.  
قالتها راجية، وهي تحمل صينية كبيرة  
فوق رأسها.

زينب بعدما حملتها عنها: سلمت يدكِ  
جدّتي، ثم وضعتها أمامهم، وقدّمت لهم  
الشاي والفايش.

أخذوا يتذكّرون ما ماضى من أيامٍ  
ويترحّمون على الشيخ زكريا.

راجية: تزوجني وأنا ابنة التسع سنوات،  
فكبرت في داره، ربّانى وعلّمنى  
وهذبني.

لَمْ تَكُنْ عَلَاقَتِي بِهِ مُجَرَّدُ عَلَاقَةِ زَوْجٍ  
بِزَوْجِهِ، بَلْ كَانَتْ أَعْقَمُ مِنْ ذَلِكَ بَكْثِيرٍ.  
كَانَ لِي نِعَمُ الزَّوْجِ، وَالصَّاحِبِ، وَالسَّندِ.

عَقِبَتْ آمِنَةُ بِقُولِهَا: صَدَقْتِ أُمِّي، كَانَ  
رَحِمَهُ اللَّهُ، نِعَمُ الْأَبِّ وَالصَّدِيقِ، لَمْ  
يُجْرِحْنِي بِحَرْفٍ، وَلَمْ يُضْرِبْنِي بِعَصَاوِلاً  
كَفَّ، أَكْرَمْنِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالْفَرْدَوْسِ  
الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

زَينَبٌ: اللَّهُمَّ آمِينَ، ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى أَبِيهَا  
وَقَالَتْ: وَأَنْتَ أَبِي؟

نَظَرَ إِلَيْهَا عَابِدِينَ بِعَيْنَيْنِ دَامَعَتِينِ، وَقَالَ:  
أَنَا، أَنَا لَا شَيْءَ بِدُونِهِ، أَعِيشُ كَالْمَسْخِ  
فِي غِيَابِهِ، قُصْمٌ  
ظَهُورٌ لِفِرَاقِهِ، لَكَذَّبَهَا الْحَيَاةُ.

زينب بعينين دامعةين: ألم يأخذ عليك  
عهداً بآلا تعود إلى ذلك الطريق مرةً  
أخرى؟

تعلثم عابدين قبل أن يجيب: بلـ.

زينب: إذاً ماذا؟

عابدين بغضب: دعك من ذلك يا ابنتي.

زينب: لم؟

عابدين وقد تساقط دمعه: لخوفي عليك  
لا أكثر.

زينب: وفيما الخوف يا أبتي؟

عابدين: سافتقدك وحديثك زينب.

آمنة بدهشة: أو مسافر أنت؟

عابدين بحسرة: أجل.

آمنة: لم السفر؟

عابدين: يكفي ما أضفته من سنواتٍ بلا  
عمل.

راجية: دعيه وشأنه آمنة، يسر الله لك  
الأمور، ومتى ستسافر بمشيئة الله؟

عابدين: بعد عشرة أيام.

زينب مذهولة من وقع المفاجأة، هي  
تعلم أنَّ أباها في خطرٍ لكنَّها لا تعرف  
ماهيتها، ورغم ذلك تُكثِّف جهودها في  
البحث والمطالعة؛ كي تجد خيطاً يُوصلها  
بالحقيقة الغائبة.

مررت المددة المحددة، وها هو عابدين  
يُودع أسرته، ربما يكون الوداع الأخير!

## الفصل الثامن عشر

عاد عابِدِين إلى حيث يُعمل، مالِكًا  
لمزرعةٍ كبيرةٍ بإحدى الدول العربية  
الشَّقيقة، ورغم ما يمتلكهُ هناك من  
أرصدةٍ ضخمةٍ بإحدى البنوك الأجنبية،  
إلا أنَّهُ لم يرَف بحال آمنةٍ وأولاده؛ إذ  
تركهم ببيتٍ لا يصلح للحياةِ الْأَدْمِيَّةِ.

هُنا تسأَلَ أحدَ الصَّبيةِ: كيفَ لا يصلح  
للحياةِ الْأَدْمِيَّةِ يا مولانا؟

تبسمَ لِهِ الرَّاوي وقال: لو أنَّكَ صبرتِ،  
كُنْتَ سأَرسِدُ لكم لولا مقاطعتكِ.

الصَّبيةُ بصوتٍ واحدٍ: أَكْمَلْ يا مولانا.

احتسى الرَّاوي بعضَ حسواتٍ من ماءِ،  
ثُمَّ تَنَاهَ قَبْلَ مُعَاوِدَتِهِ السَّردِ.

كثيّة ت زين ب مُطالعتها الْكُتب، وبحثها  
للوصول إلى الحقيقة الغائبة، حتى ذلك  
اليوم، اليوم الذي ضعفت فيه قوتها،  
فتغيّر تفكيرها، بل وحياتها كُلّها.

إنه يوم السادس عشر من أبريل لعام  
ألف وتسعمائة وأربعة وستون؛ اليوم  
الذي كشف لها الحقيقة الغائبة، أو قُلْ  
هو بداية كشف الحقائق، كما أنه بداية  
ابتلاء لم يكن يوماً بحسبان الصغيرة ولا  
أي أحد.

بعد أن أنهت زينب مراجعتها؛ استعداداً  
لامتحانات الشهادة الإعدادية، فاجأها  
القدر ببلاء لا تقوى الجبال على حمله.

زِينَبْ خُذِي هَذِهِ الْخَلْوَى؛ كَيْ تَرِيدَ مَنْ  
تَرْكِي زِكْرِ فَالْمِتْهَانَاتِ عَلَى الْأَبْوَابِ  
عَزِيزِي.

قَالَتْهَا آمِنَةً.

زِينَبْ بَعْدَمَا أَخْذَتْهَا مِنْهَا: شُكْرًا لِكِ أُمِّي.

آمِنَةُ مُبْتَسَمَةٌ: قَدْ اجْتَهَدْتِ كَثِيرًا طِيلَةَ  
الْعَامِ، وَفَقْكِ اللَّهُ بُنْيَتِي.

زِينَبْ بَعْدَمَا قَبَّلَتْ يُمْنَاهَا: لَوْلَاكِ مَا  
اجْتَهَدْتِ وَلَا تَعْلَمْتِ أُمِّي، قَدْ تَحْمَلْتِ  
الكَثِيرَ لِأَجْلِي، يَكْفِي أَنَّكِ قدْ وَقَفْتِ أَمَامَ  
أَعْمَامِي وَعُمَّاتِي، حِينَ رَفَضُوا ذَهَابِي  
لِلْمَدْرَسَةِ الإِعْدَادِيَّةِ بِالْقَرْيَةِ الْمُجاوِرَةِ،  
بَعْدَمَا هُدِمَ بَيْتُ الْحَاجِ عَبْدِ الْقَادِرِ، مَحْلُّ  
الْمَدْرَسَةِ الإِعْدَادِيَّةِ بِبَلدَتِنَا.

لأنس أبداً ذهابِي إلى تلك المدرسة  
سيراً على الأقدام كُلّ صباح، لم تكُنْ أو  
تملِّ، زرعتِ بِداخلي الأمل، وأشعلتِ  
الحماس بقلبي.

آمنة مُبتسمة: جبرني الله فيكِ بُنيتي.  
زينب: وأنتِ كذلك أمّي، والآن اسمحي  
لِي بالذهابِ إلى بيتِ جدّتي.

آمنة: قد سمحتِ لِي، اذهبِي على بركة  
الله، ولا تنسي دُعاء الطريق.

ذهبت زينب إلى بيتِ جدّتها؛ لتقرأ الجزء  
الأخير من الكتاب، الذي تطالعهُ منذ  
فتره.

أقْتَ السلام على جدّتها، وقبلت يُمناها  
وجبينها، ثم دلفت غُرفة المكتبة.

بَسْمَلَتْ وَأَخْذَتْ تَقْرَأُ حَتَّى انْتَهَتْ،  
فَأَخْرَجَتْ دَفْتِرَهَا وَسَطَرَتْ بِهِ بَعْضَ  
الاَسْتِبَاطَاتِ، النَّاتِجَةُ عَنْ مُطَالِعَتِهِ  
الْمُكْثَفَةِ.

عَلِمَتْ زِينَبُ أَنَّ أَبَاهَا قَدْ وَقَعَ فِرِيسَةً  
لِشَيَاطِينِ الْإِنْسَانِ مِنْ مُبْدِعَةِ الصَّوْفِيَّةِ،  
الَّذِينَ ضَلُّوا وَيُضْلَلُونَ غَيْرَهُمْ عَنْ سَبِيلِ  
اللهِ.

بَكَتْ وَبَكَتْ حَتَّى كَادَ الْحُزْنُ أَنْ يُذِيبَ  
كَبْدَهَا!

حَمَلَتْ عَلَى عَاتِقِهَا أَمْرَ هِدَايَةِ أَبِيهَا؛ إِذْ  
هِيَ الْحَافِظَةُ لِكِتَابِ اللهِ، الْمُتَفَقَّهَةُ فِي  
دِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حَرِيُّ بِهَا أَنْ تَأْخُذَ  
بِيَدِهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

سألت ربها العَون، وعاهدت نفسها ألا  
ترُك ولدَها لشَّياطين الإنْسِ ليس لبُوهُ  
دينه.

في إحدى صباَحات شهر أَبريل، تحديداً  
في صباَح يوم السادس عشر منهُ،  
استيقظت زينب قبل الفجر، فتوضأت  
وصلت ما شاء لها أن تُصلي، وجلست  
تذُكُر ربها في مُصلالها، حتَّى صَلَّتْ  
فجرها بمعيَّة أمها وأخويها، ثُمَّ تَلَّتْ  
وردها من القرآن الكريم بعد ما قرأتْ  
أذكار الصباَح، وبعد ها تناولت كوبًا من  
الحليب، وذهبت بصحبة أمها إلى  
المدرسة الإعدادية؛ حيث الامتحانات.

دلفت زينب الفصل محل لجنتها، أخرجت  
أقلامها ثمَّ وضعَت الحقيبة خارج الفصل.

دَقَائِقَ مَعْدُودَاتٍ وَكَانَتْ قَدْ اسْتَلَمْتُ وَرْقَةَ  
الْامْتِحَانَ، بِسَمْلَاتٍ وَسَأْلَاتٍ رَبِّهَا التَّيْسِيرُ،  
ثُمَّ شَرَعْتُ فِي الْحَلِّ.

وَقَبْلَ اِنْتِهَاِ الْوَقْتُ الْمُدْدُ لِلِامْتِهَانِ،  
كَانَتْ زَيْنَبُ قَدْ اِنْتَهَتْ مِنْ حَلِّ جَمِيعِ  
الْأَسْئَلَةِ حَلًّا نَمْوذِجِيًّا، لَكِنَّهَا وَلِلأَسْفِ  
الشَّدِيدِ قَدْ شَعِرَتْ بِرَغْبَةٍ قَوِيَّةٍ فِي التَّقْيِيقِ،  
حَاوَلَتْ أَنْ تَتَحَمَّلْ لَكِنَّهَا لَمْ تُفْلِحَ.

أمسكت معدتها، واستأذنت من المُراقبين، ولم تنتظر إذنها فأسرعت بالخروج إلى دورة المياه، لثُغْرِي محتوى معدتها وأمعائها.

تبعها المعلمة التي تراقب على لجتها،  
فرأتها تقيء دون توقف.

ساندتها إذ كادت أن تهوي أرضاً،  
وخرجت بها لتعودا إلى لجنة الامتحان،  
لأنها وقبل أن تصل عادت إلى دورهِ  
المياه مرّة أخرى؛ لتقىء.

أسرعت المعلمة إلى رئيس اللجنة،  
فأخبرتهُ بأمرها، فما كان منهُ إلا أن  
تعاطف معها، فأذن لها بالذهاب إلى  
البيت.

عادت إليها المعلمة تحمل حقيبتها،  
 أعطتها لها وقالت: قد أذن لكِ رئيس  
اللجنة بالعودة إلى البيت، وسأراقبكِ أنا  
خشية أن تصابي بمكروه.

شكرتها زينب بإشارةٍ تحمل معنى  
الامتحان، ثمَّ أخبرتها أنَّ أمها تنتظرها  
بحوش المدرسة.

ساندتها المُعلّمة وأوصّلتها لأمّها، ثم  
عادت إلى الفصل.

لطمَت آمنة خديها حين رأت ابنتهما  
تهوي أرضاً.

أسرع إليها أبو وجيه (عامل النظافة)،  
وحملها ووضعها على الأريكة، وأبلغ  
رئيس الجنة، فجمع لها أجراً سِيّارة،  
لتوصلاها إلى بلدتها، كما أمر أبا وجيه  
أن يرافقهما حتى تصلا إلى البيت.

قد بدأ مفعول السّحر يسري بجسدها  
مولاي.

قالها أحد سحرة الجنّ.

اللاشيء: أخيراً سنُخرس لسانها عن  
التلاوة والذكر.

أَحَدُ السَّحْرَةِ: رُبَّمَا لَا يَتَحَمَّلُ جَسْدَهَا مَا  
عَقَدَنَاهُ لَهَا مِنْ سَحْرٍ فَتَهَاكَ.

اللَّاشِيَّءُ: مِثْلُ تَلْكَ الْفَتَاهَ لَنْ تَهَاكَ حَتَّى  
تَقْتَصَ مَنًا لَحَقَّهَا.

أَحَدُ السَّحْرَةِ: وَمَا الْعَمَلُ إِذَا يَا مَوْلَايِ؟

اللَّاشِيَّءُ مُدَاعِبًا لَحِيَتِهِ: الْأَسْوَدُ، السِّحْرُ  
الْأَسْوَدُ سِيكُونُ هُوَ الْقَشَّةُ الَّتِي قَصَتْ  
ظَهَرَ الْبَعِيرِ.

أَحَدُ السَّحْرَةِ: أَوْ نَسْحِرُهَا بِهِ الْآنِ؟

اللَّاشِيَّءُ: لَيْسَ الْآنُ، لَنْ تَرِيكَ ثُقلَيْلًا  
وَنُعْطِيَ لِلْأَسْـ حَارَ وَقْتَهَا؛ كَيْ تَفِي  
بِالغَرْضِ، فَإِنْ لَمْ يَحْدُثْ نَجْأَ لِلسِّحْرِ  
الْأَسْوَدُ وَمَا هُوَ بِخَازِلَنَا.

أَمْرُ مَوْلَايِ.

قالَهَا وَانْصَرَفَ، تارِكًا الْلَاشِيَّةَ غَارِقًا  
فِي التَّفَكِيرِ بِأَمْرِ زَيْنَبِ.

بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَا عَمَّ أَبَا وَجِيهٍ، أَوْصَلَنَا إِلَى  
الْوَحْدَةِ الصَّحِيَّةِ، فَحَالَةُ زَيْنَبَ تَزَدَّادُ  
خَطْوَرَةً.

قَالَتْهَا آمِنَةٌ وَهِيَ تَحْتَضُنُ ابْنَتَهَا.

أَبَا وَجِيهٍ: حَسَنًا يَا ابْنَتِي، وَأَرْشِدْ السَّائِقَ  
إِلَى طَرِيقِ الْوَحْدَةِ الصَّحِيَّةِ.

وَصَلَوَا إِلَى هُنَاكَ، وَلَحْسَنَ الْحَظْقَدَ  
وَجَدُوا الطَّبِيبَةَ (مَادَلِينَ) تُتَهِي النُّوبَتِجِيَّةَ  
الخَاصَّةَ بِهَا، وَمَا أَنْ رَأَتْهُمْ حَتَّى فَتَحَتَّ  
لَهُمْ بَابَ غُرْفَةِ الْفَحْصِ، وَانْتَظَرْتُ حَتَّى  
وَضَعَ أَبَا وَجِيهٍ زَيْنَبَ عَلَى السَّرِيرِ  
وَغَادَرَ.

أخذت الطبيبة تتحصّل على جيّداً، ففوجئت  
بتغيير لون أظفارها من اللون الوردي  
إلى الرصاصي القاتم، بالإضافة لبرودةٍ  
شديدة بأطرافها.

دقائق معدوداتٍ وكانت نتائج الفحص  
هي، إصابة زينب بنزالة مُعويّة، وهبوط  
حادٍ بالدورة الدمويّة، بالإضافة لهبوط  
البُطين الأيمن من القلب، وكذا إنخفاض  
حادٍ بضغط الدم.

ماذا حلّ بها حضرة الطبيبة؟

قالتها آمنة بلهفة.

تساقطت عَبرات الطبيبة قبل أن تُضيف:  
هي شِبه ميّة يا أمّها.

صرخت آمنة: ماذا؟!

الطبيبة: سأفعلُ ما يُوسِعُ والشفاء بيدِ  
الله.

أسرعت الطبيبة إلى صيدلية الوحيدة،  
فأخذت ما يلزمها لعلاج زينب، وعادت  
على الفور.

أسرعت بتركيب قنبلة الترويّة (الكانيلولا)؛  
لتستطيع إدخال المضادات الحيويّة بشكلٍ  
أسرع إلى الجسم.

أعطتها الكثير من المضادات الحيويّة  
المُتنوّعة، بما يتناسب مع حالتها  
الخطيرة.

كانت الطبيبة تُناديها بصوتٍ مُرتفع أثناء  
إعطاءها المضادات الحيويّة؛ لطمأنّ  
بأنّها لا زالت على قيد الحياة.

مرّت ساعة ونصف، وبعدها شرعت الطبيبة في عملية التغذية الوريديّة لزينب؛ عن طريق المحاليل المقوية، التي تحتوي على الفيتامينات والمعادن.

لحظاتٍ وفتحت زينب عيناها، وما أن رأتها الطبيبة حتى استبشرت خيراً، ونادت آمنة الجالسة بركن الغرفة تبكي حتى تلوّنت عيناها بلون الدّم.

الطبيبة: الحمد لله أنها لم تمت.

نظرت آمنة إلى ابنته المُسْتَأْقِيَّة على سرير الفحص لا تقوى على الحركة، وذرفت عيناها رأفةً بحالها، ثم سالت الطبيبة: ما السبب فيما أصابها؟

أجبتها الطبيبة: ربما تناولت طعاماً أو شراباً فاسداً.

آمنة: لكنّها لم تأكل مُنذ البارحة، فقط  
تناولت كوبًا من الحليب المغلي مُسبقاً،  
وقد تناولت منه أنا وأخيها ولم يَحْدُث  
لنا شيء.

الطيبية وقد قطبت حاجباهما: ما حَدَثَ لها  
يبدو في ظاهره أنّه نزلة معيّنة، لكنّ  
باطنه أخطر بكثير؛ إذ كادت أن تموت  
على حين غفلة، دون شكایتها من قبل  
بأي عرض من أعراض المرض.

آمنة بصوتٍ مُنْهَاكٍ: أذهبت الخطورة  
بعيداً عنها حضرة الطبيبة؟

الطيبية بصوتٍ حزين: لا للأسف  
الشديد، بل ستكون ساعاتها القادمة أشدّ  
خطورة، فإن جاءَ الصباح وهي على قيد

الحياة فـ د نجـ ات، وـ إـ لـا فـ الـ بـ اء للـ هـ ربـ  
الـ عـ الـ مـ يـنـ.

أخذت آمنة تبكي حتى ربت الطبيبة على  
قلبهـ اـ بـ قـ الـ هـ اـ: استبشرـ رـ يـ خـ يـ رـ، سـ تـ مرـ  
الـ سـاعـ اـتـ الـ قـادـ مـةـ عـلـىـ خـيـرـ بـعـونـ اللهـ،  
فـةـ طـ اـنـتـ بـهـ يـ وـلـاـ تـطـعـمـيـهـ اـأـيـ شـيـعـ  
يـحـتـوـيـ عـلـىـ زـيـتـ اوـ سـمـنـ، إـنـ جـاءـتـ  
وـطـلـبـتـ مـنـكـ الطـعـامـ، وـأـظـنـهـ لـنـ يـحـدـثـ إـلـىـ  
الـغـدـ، لـأـنـ التـغـذـيـةـ الـورـيدـيـةـ الـتـيـ قـمـتـ  
بـعـلـهـاـ لـهـاـ، سـتـقـيـهاـ عـنـ طـلـبـ الطـعـامـ،  
وـلـكـنـ إـنـ حـدـثـ وـطـلـبـتـ قـدـمـيـ لـهـاـ بـعـضـ  
الـفـايـشـ الـمـبـتـلـ بالـقـلـيلـ مـنـ المـاءـ، وـلـاـ  
تـعـطـيـهـاـ المـاءـ لـمـدـدـةـ أـرـبـعـ سـاعـاتـ مـنـ  
الـآنـ، حـتـىـ وـإـنـ جـفـ حـلـقـهـاـ، أـبـعـدـيـ عـنـهاـ  
المـاءـ لـسـلاـمـتـهاـ.

آمنة: سأفعل بإذن الله حضرة الطبيبة،  
شُكراً لك، لإنقاذك حياة ابنتي، أنا آمنة  
ابنة الشيخ زكريا أبي العمدة، سأرسل  
ثمن الفحص حين أعود إلى البيت.

الطبيبة مُبتسمة: لا تشكريني بل اشكري  
الرحمن، فهو من أخذ بيدها ونجاها،  
رحم الله عمنا الشيخ زكريا، وبارك في  
الخالة راجية، لا ترسلي شيئاً، فما فعلته  
غرض من فيض معروف أبيك على  
وعلى البلدة بأكملها.

ثم أعطتها بضعة غلوب تحتوي على  
مضادات حيوية، تؤخذ عن طريق الحقن  
العضلي، وأخبرتها بأنها سترسل لها  
الممرضة (سيافيانا)؛ كي تعطيها الدواء

في مواعيده التي حددتها لها، بواقع  
أمبولين كل إثني عشر ساعة.

## الفصل التاسع عشر

عادت آمنة إلى البيت بمساعدة إحدى السيدات؛ حين رأينها تُساند زينب، أسرّ عن إلّيها وأقسّ من إلّا يتركنها إلّا بالبيت.

وصلنَ البيت فبقيت معها إحداهنَ، بينما ذهبت الأخرى إلى بيتِ راجية لخبرها بما حَدث.

ولولت راجية حين أخبرتها المرأة، فارتدىت الحُبرة وأسرّعت إلى آمنة بصحبتها هي وسالم وغانم.

زينبي، فلذة كبدِي، ليتني أنا التي أصيّبت مكانكِ!

قالت هاراجية حين رأيت زينب مُسْتَأقِيَةً لا  
تقوى على الحركة.

ارتمت آمنة في حضنها وأخذت تبكي،  
حتى همست زينب: قولي يا رب أمّي.

وَهُنَا كَفَفَتِ راجية دمعها وقالت: جعلت  
الشَّدائد لِلْأَبطَالِ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ الْأَبْطَالِ  
زينب، كوني قويّةً كما عاهدتِكِ، لا  
تستسلمي أبداً للمرض ولا لغيره، ما  
حدَثَ لِكِ الْيَوْمُ مَا هُوَ إِلَّا مِنْحَةٌ لِزِيادةِ  
صبرِكِ، وَتَقْوِيَّةٌ لِصِلَاتِكِ بِاللهِ.

تبسمت لها زينب دون أن تردد.

عَلِمَتْ العَمَّةُ ماريَا بِالْخَبَرِ فَجَهَزَتْ وَاجْبَرَتِ  
الْزِيَارَةَ، وَهَرَعَتِ إِلَى آمْنَةَ، طرقتِ  
الْبَابَ، فَتَحَّلَّهَا سَالِمٌ، أَلْقَتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ

وَقَبَّلَتْ جَبِينَهُ، ثُمَّ وَضَعَتْ وَاجْبَ الزِّيَارَةِ  
بِجَانِبِ الْأَوَانِيِّ، وَنَظَرَتْ إِلَى زَيْنَبَ فَبَكَتْ.

اَحْتَضَنَتْهَا آمِنَةٌ وَهِيَ تَرْبَتْ عَلَى كَتْفَهَا،  
بَيْنَمَا رَاجِيَةٌ تَقُولُ لَهَا: تَعَالَى يَا اُمَّ مَاجِدٍ،  
اَقْعُدِي بِجَوَارِي يَا ابْنَةَ الْغَالِيَةِ.

قَبَّلَتْهَا رَاجِيَةٌ بَيْنَ عَيْنِيهَا، كَمَا قَبَّلَتْهَا هِيَ  
يُمْنَاهَا وَقَعَدَتْ بِجَوَارِهَا.

نَظَرَتْ إِلَى زَيْنَبَ وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُخْفِي  
دَمَعَهَا؛ فَزَيْنَبَ غَالِيَةٌ عَلَى قَلْبِهَا غَلَوَةٌ  
الْأُمَّ لَابْنَتِهَا.

اقْتَرَبَتْ مِنْهَا وَقَبَّلَتْ يَمِينَهَا بِحُزْنٍ  
وَقَالَتْ: أَنْتِ بَطْلَةٌ وَلَنْ يَهْزِمَكِ الْمَرْضُ  
وَلَا غَيْرُهُ، شَفَاكِ اللَّهُ وَعَافَاكِ (أُمَّ هَاشِمٍ).

أَخْذَنَ يَتَهُ دَّثْنَ بِجَوَارِهَا عَنْ مَيْزَاتِهَا  
وَجَمَالِهَا، حَتَّى اطْمَانَتْ وَنَامَتْ، وَلَيْتَهَا لَمْ  
تَفْعَلْ!

## الفصل العشرون

رأت نفسها في وسط الصحراء، لا طير ولا شجر، ولا وجود لأي إنسان، أخذت ثنادي على أمها لكن لا أحد يجيب، سارت بضعة أمتار وفجأة سمعت صوتاً يُشبه الهمس يُناديها: زينب، زينب.

نظرت حولها فلم تجد أحداً ولا زال الصوت يتrepid، شعرت بالخوف فأسرعت تدعو؛ هرباً من الصوت.

رأت كوخا على بعد سبعة أمتار من مكانها، تهافت أساريرها وأسرعت إليه، علّها تجد ضالتها.

وصلت إليه فوجدت شيخا قد تلونت لحيته العظيمة بالبياض، وكذا شعره

الكثير ف، اقتربت منه فألقت عليه السلام،  
و قبل أن تجلس قال لها: مرحبا بابنة  
المختار، مرحبا ببركة من الله كما  
يلقبها، لكم انتظرت قدومك إلى هنا  
زينب،وها أنت قد جئت.

لم تفهم زينب مقصدہ، فسألته التوضيح.

قام من مكانه وخلع رداءه، ثم قال  
بصوتٍ مُخيف: أنا الذي لا يُقهَر، أنا  
الذي لا يُهزم، أنا الذي لا يُفني!

تبينت حقيقته لزينب، فأخذت تستعيد  
بالله العلي العظيم من الشيطان الرجيم،  
حتى اختفى من أمامها، واختفى معه  
الهاتف الذي يُناديهَا.

فتحت عيناه فجأة، واعتدلت في  
فراشها، وأخذت تجول ببصرها حتى  
عرفت أنَّ ما رأته كان كابوساً لا أكثر.

تهالك أسرير آمنة حين رأت ابنته  
جالسة، إذ قد تخطت بفضل الله مرحلة  
الخطر.

صباح الجمال والهباء على زينب.  
قالتها آمنة وهي تُقبلها بين عينيها.

زينب بصوتٍ مُنخفض: صباح الخير  
أمِي.

كانت راجية تتوضأ لصلاة الضحى، وما  
أن دلفت الغرفة ورأت زينب، حتى  
زغردت بصوتها الرنان.

راجيةٌ بعْدَمَا قَبَّلَتْهُ: حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى  
سَلَامَتِكِ أَمِيرِتِي.

زينبٌ: سَلَّمْتِ لِي جَدَّةً.

سَاعَدَتْهَا آمِنَةٌ عَلَى تَبْدِيلِ مَلَابِسِهَا، ثُمَّ  
سَانَدَتْهَا وَاسْتَعْدَتْ لِلْذَّاهَبِ بِهَا إِلَى  
الْوَحْدَةِ الصَّحِيَّةِ، وَقَبْلَ أَنْ تَرْتَدِي  
حُبْرَتِهَا، سَمِعَتْ طَرْقًا عَلَى الْبَابِ، فَتَحَتَّ  
رَاجِيَّةٌ فَإِذْ بِهَا الْعَمَّةُ مَارِيَا، قَدْ أَتَتْ  
لِتَذَهَّبَ مَعَهُمَا.

قَبَّلَتْ رَاجِيَّةٌ وَقَبَّلَتْهَا رَاجِيَّةٌ، وَهَذَا فَعَلَتْ  
مَعَ زِينَبِ وَآمِنَةٍ.

رَاجِيَّةٌ: هَلْ أَذِنَ لِكِ أَبَا مَاجِدَ؟

مَارِيَا: أَجَلْ خَالَةُ، قَدْ أَخْبَرْتَهُ بِمَا حَدَثَ  
فَأَذِنْ لِي بِالْمَجِيءِ وَقَتْمَا أُرِيدُ؛ لِعِلْمِهِ  
بِمَا حُبِّيَ لِكُنْ وَقُرْبِي مِنْكُنْ.

راجية: هداه الله، وأصلحه لك.

ماريا: آمين يا رب.

آمنة: دمت لنا ولا حرمناك أبداً أختي.

ماريا وقد ربت على كتفها بحنان:  
وأنثن كذلك أختي.

ذهبنا إلى الوحدة الصحيحة، كانت الطبيبة  
مادلين في إنتظارهن، وما أن دخلن حتى  
هشّت لهن وبشت، وأسرعت إليهنَّ  
تحيّهنَّ بتحيّة الصباح.

أخذت الطبيبة مادلين تفحص زينب،  
بينما آمنة تقعد هي وماريا على الأريكة  
بركن الغرفة.

أنهت الطبيبة فحصها، وطمأنتهما بأنّها قد تخطّت مرحلة الخطر، وبإمكانها أن تعود لامتحانها في الأسبوع القادم.

زغردت ماريا فرحاً بالخبر، ثم أخذتا زينب وعدنَ إلى البيت.

كانت راجية قد ذهبت إلى بيتها، وأمرت سالم وغانم بالبقاء في البيت، وطلبت منها أن لا يفتحا الباب لغريب.

صعدت سطح البيت، فاختارت بطة كبيرة الحجم وفرختين، وثلاث إوزات، ذبحتْهم ووضعتْهم في طستٍ متوسط الحجم، وابتاعت بعض الكيلو جرامات من الطماطم والبطاطس، والبصل والأرز.

حملت الطست فوق رأسها وعادت إلى  
بيت آمنة، فوجدت هنَّ قد عُدِنَ من الوحدة  
الصحيحة.

أخبرتها ماريا بنتيجة الفحص، فهَلَلتْ  
وكبَّرتْ، وحمدت الرحمن على سلامة  
حفيتها، وأمرت آمنة أن تطهو و ما  
حضرته لها من طيورٍ وخُضر.

أسرعتْ ماريا إلى الموقد الحطبِي  
فأشعلت به النيران، ووضعت آنية طهو  
بها ماء ليغلي؛ كي يسهل عليها نتف  
ريش الطيور، ومن ثم تنظيفها وطهوها.

بينما آمنة قد غسلت الطماطم، وبشرتها  
بواسطة مبشرة الومنيوم، قد استعارتها  
من بيت الحاج عبد القادر جارهم.

وغضّ ات البطاطس بعد تقشيرها،  
وقطعته مكعبات متوسطة الحجم،  
وقطعت البصل مكعبات صغيرة جداً.

جلسَت راجية بـ جوار زينب، ثُدّثها  
باللّيّن من الكلام، لتهون عليها مرضها،  
كما جلس سالم ليروي لها حكاية من  
حكايات الخيالية، أمّا غانم فكان يُضاحكها  
بفُكاهته اللطيفة.

انتهت آمنة من طهي الطعام، بينما ماريا  
تقوم بعمل خبز الرقاق (نوع من الخبز  
الرقيق المنبسط، المصنوع من الدقيق  
والماء مع إضافة الملح) المرشوش  
بألسمن البلدي.

وبعد ربع ساعة كان الغداء جاهزاً.

سمّي الله يا ماريا.

قالتْهَا راجِيَةٌ وَهِيَ تُعْطِيهَا بَعْضًا مِنْ خُبْزِ  
الرُّقَاقِ.

بِسْمِ اللَّهِ

قالتْهَا مَارِيَا بَعْدَمَا أَخْذَتِ الرُّقَاقِ.

زَيْنَبُ لَنْ أَقْبِلْ بِأَقْلٍ مِنْ تَنَاوِلِ هَذِهِ الْبَطْرَةِ.

قالتْهَا آمِنَةً، وَهِيَ تَضَعُ أَمَامَهَا آنِيَةً  
طَهُو، بِهَا بَطْرَةٌ عَائِمَةٌ فِي الْمَرْقِ الْلَّذِيدِ.

زَيْنَبُ مُبْتَسِمَةً: لَكُنَّنِي لَسْتُ جَائِعَةً أُمِّيَ.

رَدَّتْ راجِيَةً: لَا تَخَافِي، تَنَاوِلِيهَا وَأَنَا  
مَعَكِ إِنْ حَدَثَ لَكِ شَيْءٌ، سَأَذْهَبُ بِكِ إِلَى  
الْوَحْدَةِ الصَّحِيَّةِ.

تَبَسَّمَتْ لَهَا زَيْنَبُ وَشَرَعَتْ فِي تَنَاوِلِهَا،  
وَمَا أَنْ فَعَلَتْ حَتَّى سَرَى الْخُوفُ بِقُلُوبِهَا؛  
إِذْ شَعَرَتْ بِأَنَّ الطَّعَامَ مُسْمَمًّا!

لَكُنَّهَا لَمْ تَتَحَدَّثُ، فَقَطْ انسَحَبَتْ بِهِ دَوْءٌ  
وَعَادَتْ لِرِقَادِهَا عَلَى الْفَرَاشِ، وَحِينَ  
سَأَلَتْهَا رَاجِيَةً، أَجَابَتْهَا بِأَنَّهَا قَدْ شَبَعَتْ.

أَخَذَتْ تَنْظَرُ إِلَى الطَّعَامِ بِعَيْنَيْنِ دَامِعَتَيْنِ؛  
إِذْ كَانَتْ تُحِبُّ هَذَا الطَّعَامَ كَثِيرًا، لَكِنَّ  
شَيْئًا مَا قَدْ حَالَ بَيْنَهَا وَبَيْنِهِ.

مَضَتِ الْأَيَّامُ وَحَانَ مَوْعِدُ امْتَحَانِهَا  
الثَّانِي، تَوَكَّلَتْ عَلَى رَبِّهَا، وَحَضَرَتْ رَغْمُ  
مَا بِهَا مِنْ أَوْجَاعٍ اللَّهُ بِهَا عَلِيمٌ.

دَلَفَتِ الْفَصْلُ، لَكُنَّهَا لَمْ تُسْتَطِعِ الْجَلوْسُ؛  
فَجَهَازَهَا الْهَضْمِيُّ غَيْرُ مُسْتَقْرٍ، وَكَانَ بِهِ  
مَا يَوْدُ الذُّرُوجُ، بِالْإِضْافَةِ لِرَغْبَتِهَا  
الْقَوِيَّةِ فِي التَّقِيُّوْنِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَمِّلتْ وَسَأَلَتْ رَبِّهَا الْعَوْنَ، وَهُنَا حَدَّثَ  
مَا لَمْ تَتَوَقَّعْهُ؛ إِذْ رَأَتْ الْقَلْمَ وَهُوَ يَسْطُرُ

الإجابات النموذجية، حتى إذا ما انتهى  
سكن وكان قد مات!

تُنهي الامتحان قبل أن تمر ربع ساعة  
على تسليم الأوراق، ثم تخرج لتعود  
بصحبة أمها إلى البيت، ظلت هكذا حتى  
انتهت الامتحانات.

قد مر شهراً على مصاب زينب، سكن  
فيهما الحزن قلوب من يحبونها،  
بالإضافة لقلبي آمنة وراجية.

قد خسرت زينب ثلاثة أرباع وزنها، ذابَ  
جسمها عندما اكتسى بالصفار، اصفرت  
بشرتها بل وجدها كله، حتى أن سالم  
وغانم قد تركا البيت خوفاً من لونها،  
وأقاما ببيت راجية.

كانت كالخارج من القبر للنّوّ، تساقط  
شعرها الطويل الفاحم، ذهب بريق  
عينيها الساحر، فقدت صحتها بالتدريج.

قد حال السّحر بينها وبين تناول الطعام،  
فكانَتْ ترى الطعام ولا تقترب منه، لما  
تراهُ فيهِ من سُمٌ قاتل.

تمرّ الأيّام وحالتها تزداد سوءاً عن اليوم  
الذي قبله، صارَ الالم مُلازمًا لها، لا  
تمضِ ليلة دون بُكائها، تبكي من شدّةِ  
الوجع، ويكونها طفلاً يتيمة!

ظهرت نتيجة الامتحانات، قد احتلت المركز الأول على مستوى المركز، تحاملت على نفسها، وذهبت بصحبة أمها؛ لتقديم أوراقها بالمدرسة الثانوية العامة، وما أن رأها المعلم الذي يعرفها

مُنْذُ الإِعْدَادِيَّةِ، حَتَّى أَصَابَهُ الْذُهُولُ  
فَأَسْقَطَ دَفْرَهُ، وَقَالَ: زَيْنَبُ، أَينَ جَسْدِكِ؟

ما الَّذِي أَصَابَكِ يَا ابْنَتِي؟

خَجَلَتْ وَقَالَتْ: قَدْ خَسِرْتُ وزْنِي مِنْ  
الْمُذَاكِرَةِ حَضْرَةُ مُعَلِّمِي!

لَكَنَّهُ لَمْ يَقْتَنِعْ وَتَابَعَ: لَا، لَيْسَ صَحِيحًا،  
قَدْ ذَابَ لَحْمَكِ يَا ابْنَتِي، أَينَ ذَهَبَ  
جَسْدِكِ؟

لَمْ تَدِرِّ مَاذَا تَقُولُ، فَتَرَكَتْهُ وَغَادَتْ.

قَدْ بَاعَتْ رَاجِيَةً بَعْضًا مِنْ الطَّيُورِ التِّي  
تُرْبِيَهَا؛ وَذَهَبَتْ بِزَيْنَبِ إِلَى الْمَرْكَزِ،  
لِتُفْحَصَ هَا عَنْ دَالْطَبِيرِ بِالْمَاهِرِ،  
وَالْمَعْرُوفُ بِخَبْرَتِهِ فِي التَّعَامِلِ مَعِ  
مُخْتَلِفِ حَالَاتِ الْجَهازِ الْهُضْمِيِّ.

فحصّها الطبيـب، وقام بعمل بعض  
الأشـعة والتحاليل لها، وطلب منها أن  
تُعاود الزيارة بعد أسبوع.

لم تهـنـأ زـينـب بـنـوـمـهـا طـيـلة الأـسـبـوـع؛ إذ  
تـلـاحـقـهـا الـكـوـابـيس كـلـمـا أـغـمـضـتـ عـيـنـيهـا،  
وـكـائـنـهـا تـنـتـظـرـهـا؟

ذـبـلت الـورـدة قـبـلـ أنـ تـتـفـتح لـلـأـنـيـا، بلـ  
قـطـفت بـيـدـ غـادـرـة لمـ يـُـظـنـ بـهـا السـوـءـ.

هـاـقـدـ مـضـىـ الأـسـبـوـعـ، ماـذـاـ هـنـاكـ حـضـرـةـ  
الـطـبـيـبـ؟

قالـتـهـا رـاجـيـةـ.

الـطـبـيـبـ بـعـدـمـاـ قـرـأـتـ نـتـائـجـ الـفـحـوصـاتـ؛ لـمـ  
أـرـىـ طـيـلةـ سـنـوـاتـ عـمـلـيـ كـحـالـتـكـ زـينـبـ!  
رـاجـيـةـ: وـلـمـ حـضـرـةـ الـطـبـيـبـ؟

الطيب: النتائج كُلُّها سُلِيمٌ  
سليمة، لا تشكو من عَلَة.

اتسعت حدقاتها وقالت: كيف وأنا أشوى  
بنار لا تُرى؟

نظر إليها الطيب وقال: وأيْمُ اللَّهِ يَا  
زينب، إنَّ نتائج الفحوصات كُلُّها سليمة  
ومُطمئنة.

جذّتي أخبريهِ كيف كُنْتُ وكيفَ أصبحت؟  
قالتها زينب وهي تربت على كتفِ  
راجية.

راجية بصوتٍ حزين: يكفيكِ عِلم العَلِيم  
يَا ابنتي.

عادتا إلى البيت بوجهٍ عَبُوسٍ، فما تمرّ  
بهِ زينب لا يُمكن تصديقه.

## الفصل الحادي والعشرون

مرّت الأيّام وأصـبحت زينب مُقيمة  
بـالبيـت، خارت قـواها فـلم تـسـتطـع الـذهـاب  
إـلـى المـدرـسـة، ضـعـفت بـنـيـتها، بهـتـتـ  
جمـالـهـا، سـلـبـت زـهـرة شـبـابـها، لـتـحـيـاـ  
بـجـسـدـ فـرـضـ عـلـيـها بـفـعـلـ الـظـلـمـ.

بـاعـت رـاجـيـة قـيرـاطـا من بـيـتها وـبـقـيـتـ فيـ  
الـقـيرـاطـ الآـخـرـ، لم تـبـخـلـ عـلـى زـينـبـ  
بـشـيـءـ، بل حـارـبـتـ الـذـنـيـا لأـجـلـهـاـ، وـبـاعـتـ  
ما تـمـلـكـهـ فيـ سـبـيلـ عـلاـجـهـاـ؛ كـيـ تـعـودـ كـمـاـ  
كـانـتـ، وـتـلـأـ أـمـنـيـةـ مـسـتـحـيـلـةـ الـحـدـوـثـ!

أـقـامـ الـحـزـنـ بـبـيـتـ آـمـنـةـ، فـابـنـةـ عمرـهـاـ  
تـخـسـرـ حـيـاتـهـاـ بـالـتـدـريـجـ، وـلـاـ تـجـدـ لـهـاـ حـلـاـ  
بعـدـمـاـ قـالـ الـطـبـ كـلـمـتـهـ، بـأـئـمـهـ لاـ يـوـجـدـ

لديها أية أمراض تمنعها من الأكل  
والشراب، وممارسة حياتها الطبيعية.

أقسمت بأنّ جسدها يُشوى كما يُشوى  
العجل الحنيذ! لكنْ لا أحد يُصدق.

صارت وحيدة كثيارة قاصية، استفرد بها  
الذئب فأكلها!

ذاب جسدها أمام عينيهَا، ولا تدرِّ ما  
السبب؟

رافقتها الوحيدة بعدَ أنْ كانت اجتماعية،  
وإنْ حاولت العودة إلى حيثْ كانت،  
تذوقت ألوانًا جديدة من العذاب، الذي لا  
يعلمهُ إلا الله.

سألت أمّها لم الصبر على ما نحنُ فيه؟  
فأجابتها بأنَّ الله مع الصابرين.

تَفَكَّرَتْ زِينَبْ فِي وَضْعِهِمُ الْمَادِيِّ  
الصَّعِيبِ، فَلَمْ تَجِدْ لِوَالِدَاهَا مُبَرِّرٌ؛ إِذَا يَعْمَلُ  
خَارِجَ مَصْرُ مُنْذُ زَمْنٍ، وَرَغْمَ ذَلِكَ لَمْ  
يَبْتَاعْ لَهُمْ بَيْتًا يَلْيِقُ بِالْحَيَاةِ الْأَدْمِيَّةِ.

يَعِيشُونَ بَيْتَ مَعْزُولٍ عَنِ الدُّنْيَا، خَالٍ  
مِنْ مَقْوَمَاتِ الْحَيَاةِ، غُرْفَتَيْنِ، وَثُقْبَ  
بِالْأَرْضِ عَلَى هِيَئَةِ دُورَةِ مِيَاهِ، وَبَاقِيِّ  
الْقِيرَاطِ قَدْ تَبَرَّعُوا بِهِ لِلشَّمْسِ؛ لِتُنْضَجِ  
جَلُودَهُمْ وَتُسْكِنَ الْحُمَّى بِطُونَهُمْ.

بَيْتُ خَرْبٍ، رُغْمَ إِقْامَتِهِمْ بِهِ، لَا يَعِيشُونَ  
فِيهِ وَحْدَهُمْ؛ إِذَا الْحَشَرَاتُ وَالْزَوَاحِفُ  
تُشَارِكُهُمُ الْإِقْامَةَ!

لَا يَمْضِيَ يَوْمٌ إِلَّا وَكَانَ أَحَدُ الثَّعَابِينَ ضَيْفًا  
عَنْهُمْ، وَآمْنَةً كَعَادَتِهَا تُحَارِبُهُمْ بِقُوَّةِ  
إِيمَانِهَا.

فِي إِحْدَى الْلَّيَالِي وَأَثْنَاءِ قِيَامِهَا لِصَلَاةِ  
الْتَّهْجِدِ، مَذَّتْ يَدُهَا لِتَأْخُذُ خِمَارَهَا مِنْ  
أَعْلَى الرُّفِّ، فَلَامَسَتْ مَلْمَسًا نَاعِمًا، لَمْ  
تَتَبَيَّنْهُ حَتَّى جَاءَتْ بِالسَّرَّاجِ، اقْتَرَبَتْ مِنْهُ  
فَوُضِّحَتْ لَهَا الرُّؤْيَا؛ أَفْعَى سُودَاءُ  
عَظِيمَةِ الْحَجْمِ، قَدْ نَامَتْ عَلَى الرُّفِّ!  
خَافَتْ آمِنَةٌ عَلَى أَوْلَادِهَا، أَيْنَ تَذَهَّبُ بِهِذِهِ  
السَّاعَةِ؟

لَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنَ الْمُوَاجِهَةِ، سَأَلَتْ رَبِّهَا  
الْعُونَ، وَاقْتَرَبَتْ مِنَ الْأَفْعَى، وَأَقْسَمَتْ  
عَلَيْهَا بِقَوْلِهَا: بِسْمِ اللَّهِ وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ  
إِلَّا بِاللَّهِ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ  
مُؤْمِنٌ، أَنْ تَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ.

قَالَتْهَا بِقَابِهَا، بِقُوَّةِ يَقِينِهَا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ  
الْعَظِيمِ، لَمْ تَكُنْ الْأَفْعَى بِحَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ

آخر، بعدما ذكرتها بـالله رب العالمين،  
فخرجت ولم تُعد.

تمضي السنون، ولا زالت زينب تموت  
بشـكلٍ بـطـيء، بعدما سـُلـبت صـحتـها  
وـشـبابـها، وبـهـت جـمالـها، لـتـصـبحـ هيـكـلاـ  
عـظـمـيـاً رـغـمـ بـقـائـها عـلـى قـيدـ الـحـيـاةـ!

تبدأ يومها بـذـكـرـ اللهـ، بـعـدـ صـلـاةـ الفـجرـ، ثـمـ  
تـتـلـوـ ماـ شـاءـ اللهـ لـهـاـ أـنـ تـتـلـوـ مـنـ الـقـرـآنـ  
الـكـرـيمـ، وـبـعـدـهاـ تـتـنـاـوـلـ تـقـتـاتـ بـبـعـضـ  
الـطـعـامـ، لـاـ لـشـعـورـهاـ بـالـجـوعـ، فـقـدـ سـُلـبـ  
مـنـهاـ هـذـاـ الشـعـورـ، وـلـكـنـ لـئـلاـ تـحـزـنـ آـمـنةـ.

تـظـلـ تـتـلـوـ الـقـرـآنـ حـتـىـ تـصـلـيـ العـشـاءـ  
وـتـنـامـ.

قـدـ فـوـضـتـ أـمـرـهـاـ للـهـ ربـ الـعـالـمـينـ، بـعـدـماـ  
فـشـلـ الـأـطـبـاءـ فـيـ إـيـجادـ دـوـاءـ لـهـاـ، بـعـدـ

إعطائهما الكثيـر والكثيـر من الأقـراص،  
والكبـسـولات، والحةـنـسوـاء عـضـلـ أو  
وريـدـ، قد تـجـرـعـتـ أـدوـيـةـ تـكـفـيـ لـتـجـهـيزـ  
صـيـدـلـيـةـ كـبـيرـةـ، وـلـكـنـ دـوـنـ جـدـوـيـ.

وبـعـدـ غـيـابـ اـسـتـمـرـ لـعـامـيـنـ، قد اـتـصـلـ  
عـابـدـيـنـ عـلـىـ التـلـيفـونـ الـأـرـضـيـ، الـخـاصـ  
بـأـحـدـ الـجـيـرانـ، اـتـصـلـ بـهـاـ وـأـمـرـهـاـ أـنـ تـقـدـمـ  
عـلـىـ خـدـمـةـ الـخـطـ الـأـرـضـيـ، أـخـبـرـتـهـ أـنـهـاـ  
سـتـرـفـضـ، لـكـنـهـ طـمـانـهـاـ بـوـجـودـ عـلـاقـةـ  
صـدـاقـةـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ مـديـرـ المـكـتبـ الـذـيـ  
سـتـذـهـبـ إـلـيـهـ.

تحـاملـتـ زـينـبـ عـلـىـ نـفـسـهاـ، وـذـهـبـتـ إـلـىـ  
بـيـتـ جـدـتهاـ رـاجـيـةـ؛ أـعـدـتـ لـهـاـ جـدـتهاـ  
غـدـاءـ شـهـيـاـ كـمـاـ كـانـتـ تـفـعـلـ قـبـلـ مـرـضـهاـ،  
الـغـرـيبـ فـيـ الـأـمـرـ أـنـ زـينـبـ قدـ تـناـولـتـهـ

دونَ أَنْ تُصَابِ بِأَذىٍ كَمَا يَحْدُثُ لَهَا  
بِالْبَيْتِ.

دخلَتْ غرفة المكتبة، فقرأتْ بعض التفاسير الخاصة ببعض آي الذكر الحكيم، ثُمَّ بحثَتْ عن الرؤية الشرعية التي كانَ يرقِيهَا بِهَا جَدُّهَا، لَكِنَّهَا لَمْ تجدها.

أمسكت دفترها وأخذت تسظر ماتراها من مُفزعات الأحلام، أهواه لا يُصدقها عقل، بل لم تَكُنْ لتصدقها هي لولا أنْ عايشتها لحظة بلحظة.

ثُمَّ أمسكت بمصحفِ جَدُّها الشِّيخ زكريا رَحِمَهُ اللَّهُ، وتلا سورة البقرة، وعادت بعدها إلى البيت.

سوق مُزدحم بالبشر، أحد الرجال يُمسك  
بساطور قَصَاب، يُنادي بأعلى صوته،  
تجتمع الناس حوله، يتكلم بكلماتٍ غير  
مفهومة، يُصْفِق لِهُ الجموع، يضحك  
ويضحك، ثم تقترب زينب بعدما تسمع  
صوتاً يُناديهَا: زينب أدركتني، زينب  
أنقذني!

تقرب فتفزع من هول ما تراه؛ إذ أنَّ  
حامل الساطور القصاب قد بدأ للتو  
التقطيع في جسد أحد الرجال بعدما كَبَلهُ  
بالأغلال.

شاهدتهُ وهو يتقطع أمام عينيهَا والدماء  
تسيل منه، الأكثر رُعباً حين ناداهَا  
بقوله: زينب أعيدي رأسي إلى جسدي،

وللملي قطعي كي أكتمل، فما كان منها  
إلا أن صرخت بكل قواها.

احتضنها آمنة وهي تتصلب عرقاً،  
وت بكى ويرتعد جسدها من شدة الخوف.

أ هي الكوابيس؟

قالت لها آمنة.

أومأت لها زينب أن نعم.

أخذت آمنة تقرأ عليها من القرآن الكريم  
حتى نامت.

## الفصل الثاني والعشرون

مرّت الأيام وقد تم ترکيب التأیفون  
الأرضي ببیت آمنة، حدثها عابدين بأنَّ  
أحد السحرة قد قام بعمل مختلف  
الأسحار لزینب!

أنكرت عليه قوله، لكنه أكد لها أنه قد  
قام بفكها، خشية أن تفتاك بابنته.

وبعدها بأيام أخبرها بأن ليلي امرأة عز الدين، هي من قامت بتلقي الفعلة  
النكراء؛ لتنتقم من آمنة بابنته.

حدثه زینب بما عرفته من أمور مُبتدعة  
الصوفية، وما يرتكبونه من محرمات،  
وما يُحلونه من حرام، وقبل أن تُكمل له  
نهرها بشدة وأغلق الهاتف.

جلس بِإِحْدَى زُوَايَا الْغُرْفَةِ يَتَذَكَّرُ مَا حَدَثَ  
لَهُ.. عَابِدِينَ هَذَا هُوَ سَبِّيْدِي الْعَارِفُ بِاللهِ  
(تاج السرّ)، سُلْطَنُهُ مَا شَئْتَ يُعْطِيْكَ، وَرَغْمَ  
ذَلِكَ هُوَ الْفَقِيرُ إِلَى اللهِ!

لَمْ يَسْتَوْعِبْ عَابِدِينَ مَا قَالَهُ لَهُ (زِيدُونُ)،  
فَوُضِحَ لَهُ (تاج السرّ) قَائِلًا: أَهَلَّا بِأَيْ يَا  
وَلْدِي، حَسَنًا فَعَلْتَ يَا زِيدُونَ حِينَ أَقْنَعْتَهُ  
بِالْمُجِيءِ، فَلَا يَجْلِسُ هَذِهِ الْجَلْسَةَ إِلَّا مَنْ  
كَانَ مُحِبًّا لِللهِ عَاشِقًا لِرَسُولِهِ، اللهُ، اللهُ.

وَتَابَعَ بَعْدَ تَمْتَمَتِهِ: لَذَا فَسْتَحْلِّ عَلَيْكَ  
بِرَكَتِي، وَسَأَجْعَلُ لَكَ حَظًّا مِنْ دُخُولِ  
الْجَنَّةِ، أَقُولُهَا لَكَ وَأَنَا سَيِّدُكَ تاج السرّ،  
اللهُ، اللهُ.

اتسعت حدقتا عابدين ممّا سمعه، وقال:  
وهل يملك هذا غير الذي بيده ملکوت کلّ  
شيء وإليه ترجعون؟

هنا ضحى تاج السرّ وتتابع: هكذا قد  
علمك زكريا أبا العمدة!

بدت علامات الدهشة واضحة على وجهه  
عابدين، لكنَّ زيدون لم يتركه لسؤال،  
وقال له بثقةٍ بالغةٍ: سيدِي العارف باللهِ  
(تاج السرّ)، يعلمُ ما لا يعلمه أحد، بل  
إنَّه يعلم ما في الأرحام قبلَ أنْ يتخلق.

زادت دهشة عابدين، وهذا ضحى تاج  
السرّ وتتابع: ليس شرگا والعياذ بالله،  
بل هي محبة واصطفاء من الله لي؛ وما  
أدراك ما حب الله؟

إِنْ أَحَبَّنِي صَارَ عَيْنَكَ الَّتِي تَرَى بِهَا،  
وَيَدَكَ الَّتِي تَبْطِشُ بِهَا، هُوَ الْمَحْبُوبُ،  
اللَّهُ، اللَّهُ.

صَدَقْ يَا وَلَدِي مَا تَسْمَعُهُ مُنْتَيٌ، وَدَعَكَ  
مِنْ عِلْمِ زَكْرِيَا الزَّائِفَ، وَلَا تُنْصَتْ لِقَلْبِكَ  
فَتَهَاكَ، آمِنَةٌ مَا هِيَ إِلَّا وَعَاءٌ، خَلْقُهَا اللَّهُ  
لَكَ لِتَتَمَتعَ بِهَا وَتُفْرَغَ بِهَا شَهْوَتَكَ.

عَابِدِينَ: وَلَكُنْ، كَيْفَ عَرَفْتَ كُلَّ هَذِهِ  
التفاصيل؟

زَيْدُونَ: أَلَمْ يَقُلْ لَكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَفَاهُ؟!

تاج السر: الله، الله، الله.

عَابِدِينَ بِوْجِلَ: وَلِمَاذَا أَنَا؟

زَيْدُونَ: بَلْ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى اخْتِيَارِ  
سَيِّدِنَا لَكَ.

تاج السرّ بنبرةٍ مُطمئنةٌ: نَحْنُ لَا نختار  
يَا ولدي، لَكُنَّ اللَّهُ هُوَ مَنْ يُرسِلُ لَنَا  
الأخيار، وَأَنْتَ مِنَ الْأَخْيَارِ عَابِدِينَ.

عَابِدِينَ: لَكُنَّنِي أُمّيٌّ، لَا أَعْرِفُ الْفَرْقَ  
بَيْنَ الْكَوْعِ وَالْكَرْسَوْعِ كَمَا يُقَالُ، و....

تاج السرّ مُقاطِعًا: وَمَنْ قَالَ إِنَّا نَقْبَلُ  
الْمُتَعَلِّمِينَ؟

نَحْنُ لَا نَقْبَلُ إِلَّا مَنْ كَانُوا مِثْلَ يَا ولدي،  
الْأَنْقِيَاءِ الْأَصْفَيَاءِ الْأَتْقَيَاءِ؛ لِيَكُونُوا وَرَثَةً  
لَنَا مِنْ بَعْدِنَا.

أَلمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أُمِّيٌّ مِثْلَكَ، السَّلَامُ  
عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، اللَّهُ،  
اللَّهُ.

عَابِدِينَ: بَلَى، أَعْلَمُ وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

تاج السرّ: هل تُحِبُّ أنْ تكونَ مثلي يَا  
ولدي؟

عابدين بدْهشةٍ: مَنْ؟ أَنَا؟!

تاج السرّ: أَجل، لَا تُحقر مِنْ شائِكَ، فَقَدْ  
كَشَفْتُ عَلَيْكَ ووْجَاتَكَ مَعْرُوفًا عَنْهُمْ، بَلْ  
وَصَاحِبُ كَلْمَةِ إِنْ قُلْتَ سَمِعْوا، وَإِنْ  
حَدَّثْتَ صَدَّقاً.

عابدين بعدهما قطب حاجباه: وَمَنْ أُولئِكَ؟

تاج السرّ: ساداتِي، بَلْ أَسْيادِي، ثُمَّ  
تَشْنَجَ لِلحظَاتِ.

همسَ زيدون: لَقَدْ حضُرُوا؟

عابدين بهمسٍ: مَنْ هُمْ؟

تاج السرّ بصوتٍ مُرتفعٍ: حضرت دُولَةُ  
الأشباح!!

## الفصل الثالث والعشرون

قطب عابدين حاجباً وتساءل: ومن هم  
الأشباح؟

و قبل أن يجيبه زيدون شاهدَ تاج السرّ  
يتحدثُ وهو مغمض العينين.

السلامُ علىكَ سيدِي أَحمدُ الدَّرَدِيرِ، قُمْ  
واركبِ الْحِمَارَةِ وتبينِ لَنَا الْعِبَارَةِ!

ثُمَّ تَمَّ تَمَّتْ تَمَّاتٍ لَمْ يَتَبَيَّنْهَا عَابِدِينَ، وَأَخْذَ  
يُحَرِّكَ رَقْبَتِهِ يَمِنًا وَيَسَارًا (الرقص  
الصوفي)، ويقول: الله، الله، الله.

لَمْ يَقْتَنِعْ عَابِدِينَ بِمَا يَفْعَلُهُ الْعَارِفُ بِاللهِ  
كَمَا يَزْعُمُ، فَطَلَبَ الإِذْنَ لِلْمُغَادِرَةِ، لَكِنَّ  
زيدون قد أَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ: إِنْ خَرَجْتَ

خسرت، ألا تُحِبُّ أنْ يغفرَ اللَّهُ لَكَ ذنْبَكَ  
مُذْوَلَتِكَ إِلَى الْآنِ؟

عابدين بدهشة: بالطبع أُحِبُّ، ولكنْ ما  
دخل هذا بسِيَّدِكِ؟

زيدون: هو الوسيلة التي سيفر اللَّهُ لَكَ  
ذنْبَكَ من خلالها.

عابدين: لو كان الأمر كذلك، لكن رسول  
اللهِ أولى.

هُنَا فتحَ تاجَ السَّرِّ عَيْنِيهِ وَقَالَ: عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هُوَ وَسِيلَتُنَا الْكُبُرَى  
لِلشَّفَاعَةِ.

عابدين متسائلاً: أو هُنَاكَ وسيلةٌ صُغرى؟  
تاجَ السَّرِّ مُبتسماً: أَجلٌ يا ولدي.

عابدين: كَيْفَ؟

زیدون: لا تُؤاخذه سیدی.

تاج السرّ مُبتسماً: لا حرج عليه يا زیدون.

زیدون: هنئاً لك رضا سیدنا.

عابدين: لكنَّ رضا الله هو غايتي.

اقترب منه تاج السرّ وقال: ألم أقل لك  
أنَّ الله هو من يُرسِّل لنا الأخيار؟

قد جاءني سیدي أحمد الدردير، وأرسل  
إليك السلام!

عابدين مُندهشًا: ولكنني لم أراه!

زیدون بغضب: ومن أنت حتى تراه؟

تاج السرّ بنبرةٍ هادئة: هو لا يظهر  
للعامّة ولدي.

عابدين: أهو ميت؟

تاج السرّ مُبتسماً: بل يحيى بالحياةِ  
البرزخية، لذا يحضر لنا عن طريقِ  
الروح، نتلاقى بالروح في الحضرات.

عابدين: أنا لا أفهم شيئاً.

زیدون: أنصت لتفهمِ

عابدين: أهو عفريت؟

تاج السرّ بغضب: بل هو الخارقُ بقوّتهِ،  
الخارقُ بنورانٍ يَنْتَهِ، هو النور مرسلٌ  
الأنوار.

عابدين: ومن الأنوار؟

زیدون: الأقطاب الأربع.

عابدين: أنا لا أعرفهم.

تاج السرّ بنبرةٍ مُطمئنةً: لكنَّهم يعرفونكَ  
ولدي.

عابدين: مَن هُم؟ وكيفَ يعرفونني؟

تاج السرّ: الأقطاب الأربعـة وهم، سيدـي  
العارف باللهـ أـحمد الرفاعـي، سـيدـي  
العارف باللهـ عبد القـادر الجـيلانـي، سـيدـي  
العارف باللهـ أـحمد الـبدـوي، سـيدـي  
العارف باللهـ إـبرـاهـيم الدـسوـقـي.

أـما عن كـيفـية مـعرفـتهم بـكـ، فـهـم الأـقطـاب  
لا تـخـفـى عـنـهـم خـافـيـةـ.

زـيدـونـ: اللهـ، اللهـ.

عـابـدـينـ: أوـأـحـيـاءـ هـمـ؟

زـيدـونـ بـغـضـبـ: الأـقطـابـ لا تـمـوتـ.

تاج السـرـ: أـجلـ، اـنـتـقـلـوا مـنـ الـحـيـاةـ  
الـدـنـيـوـيـةـ إـلـىـ الـحـيـاةـ الـبـرـزـخـيـةـ.

عـابـدـينـ: أـهـمـ أـشـبـاحـ؟

تاج السرّ: أَجْل، هُمْ دُولَةُ الْأَشْبَاحِ.

عابدين: أَوْشَبْحُ أَنْتَ؟

زِيدُونَ غَاضِبًا: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنْقَهُ  
سَيِّدِي.

تاج السرّ: بَلْ دَعْهُ أَنْتَ لَيْتَعْلَمُ زِيدُونَ.

عابدين: لَا تُؤَاخِذْنِي، أَنَا جَاهِلُ بِمَا  
تَعْلَمُونَ.

تاج السرّ مُبْتَسِمًا: لَا تُثْرِيبَ عَلَيْكَ، أَغْفِرُ  
لَكَ مَا كَانَ مِنْكَ!

عابدين: مَاذَا تَقُولُ يَا هَذَا؟

زِيدُونَ زَاجِرًا: أَخْرُسْ، قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ.

عابدين: اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ صَاحِبُ الْعَفْوِ  
وَالْمَغْفِرَةِ.

تاج السرّ: صدقت ولدي، لكنَّ الله  
سُبْحانهُ وتعالى، قد اخْتَصَ أُولِياءُ  
بعدَّةِ مَيْزَاتٍ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهَا أَنْ يغفِرُوا  
لِعَبادِهِ، وَيُشْفِعُوا لَهُمْ شَفاعةً صُغْرَى.

عبدِين: شفاعةً صُغْرَى كَسِيدُكَ أَحْمَد  
الدرير؟

تاج السرّ مُبْتَسِمًا: أَجل، سَيِّدِي أَحْمَد  
الدرير يشفع لنا الشفاعة الصُّغْرَى، أمَّا  
الأقطاب الْأَرْبَعَةِ فَيُشْفِعُونَ لنا الشفاعة  
الْكُبْرَى، وَالْتِي هِي قَبْلَ شفاعة النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عبدِين: كَيْفَ عَرَفْتَ شِيخِي زَكْرِيَاً؟

زيدون: هُوَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ يَا أَحْمَقَ.

تاج السرّ مُبْتَسِمًا: عن طَرِيقِ الكِشْفِ.

عابدين: كشفُ ماذا؟

تاج السرّ: كشف الحجاب!

## الفصل الرابع والعشرون

عابدين مُندَهشًا: أومكشوف عنك  
الحجاب؟

تاج السرّ: أجل ولدي، ثمَّ تابع: أُريد أنْ  
ترى ولا ترى؟

عابدين: ماذا تقصد؟

تاج السرّ: أقصد أنْ ترى من تُريد وقتما  
تشاء، مُتخطيًا حاجز الزمان والمكان!

عابدين بدهشة: وهل ما تقوله حقيقة؟

زيدون: هو لا يكذب أبدًا يا ابن حزينة.

تاج السرّ مُبتسماً: أجل ولدي، حقيقة.

عابدين بعد فترة: وما المطلوب مني؟

تاج السرّ بعدما نظرَ لزیدون: أهلاً بـأ  
عابدين في عالمِ الذاود، عالمنا  
الروحاني، أهلاً بـأ مُريداً وطالباً لعلم  
الباطن، والعلم اللدني!

ظلّ عابدين ملزماً لتاج السرّ حتى نسي  
ما علمه إياهُ الشیخ زکریا، وصار رجلاً  
من أصحابِ الخطوة.

تعلّمَ من تاج السرّ ما لم يَكُن يعلم عنهُ  
شيئاً، بل رأى معهُ ما لا يُمْكِن لأحدٍ أنْ  
يتوَقَّعَهُ من عارفٍ باللهِ وولي من  
أوليائه!

أتقنَ معهُ الحضرة، وعرفَ كيفَ تكون  
الخلوة؟

قد شاهدهُ في إحدى المرّات يصطحبُ  
معهُ امرأة ذات بعل، إلى الخلوة، سائلهُ

فَكَانَ جَوَابُهُ غَايَةً فِي الْغَرَابَةِ؛ إِذْ قَالَ  
بَأْنَهُ يُعَالِجُهَا كَيْ لَا تَقْعُدُ فِي الزَّنَاءِ، وَالزَّنَاءِ  
مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، لَذَا فَهُوَ يُزَنِّي بِهَا  
لِيُطْرَدَ الْجَنِّيُّ الْعَاشِقُ مِنْ رَحْمَهَا.

لَمْ يَقْتَنِعْ عَابِدِينَ فِي الْبَدَائِيَّةِ، وَتَسَاءَلَ:  
كَيْفَ تُعَالِجُهَا مِنْ شَيْءٍ وَتَقْعُدُ أَنْتَ فِيهِ  
مَعَهَا؟!

أَجَابَهُ تَاجُ السَّرِّ بِأَنَّ بُضُوعَهُ مُبَارَكٌ، مَا أَنْ  
يَلْجَأَ رَحْمَهَا حَتَّى يُطْرَدَ الْجَنِّيُّ، وَيُظْهَرَ  
قُلُوبُهَا مِنَ الْأَفْكَارِ الشَّيْطَانِيَّةِ！

مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَرَأَى عَابِدِينَ زِيدُونَ يَأْتِي  
لِتَاجِ السَّرِّ بِأَطْفَالٍ، لِيَحْضُرُوا مَعَهُ  
الْخَلْوَةَ، انْتَفَضَ غَاضِبًا وَاعْتَرَضَ بِقَوْلِهِ:  
وَمَا دَخَلَ الْأَطْفَالَ بِالْخَلْوَةِ؟

زِيدُونُ: لَيْسَ لَكَ الْحَقُّ فِي الاعتراض.

عابدين: اخرس وإنما أنزلت بك غضبي.

زیدون بصوتٍ خائف: المعذرة سيدى،  
لم أكن أقصد.

عابدين: اذهب إلى عملك، هيا.

زیدون: أمر سيدى.

فَكَرَ عَابِدِينَ بِمَا يَحْدُثُ بِالْخُلُوَّةِ مَعِ  
الْأَطْفَالِ، لَكَذَّهُ لَمْ يَتَحَمَّلْ وَأَسْرَعَ إِلَى  
السَّاحَةِ الْمُرَادُ بِهَا الْخُلُوَّةَ، فَرَأَى مَا لَمْ  
يَخْطُرْ لَهُ بِبَالِ!

رأى تاج السرّ وقد أعطى الأطفال مادة  
منومة، وما أن سرى مفعولها بأجسادهم  
الظاهرة، حتى انقضّ عليهم مفترساً  
طهّ رهم، وسارقاً شرفهم، ومُلْوِثاً  
فطرتهم.

ثارت الفِطْرَةُ السُّوِيَّةُ بِنَفْسِ عَابِدِينَ، لَمْ  
يَقْبَلْ بِالدُّنْيَا يَوْمًا، هَاجَ وَمَاجَ، وَضَحَّ لَهُ  
تَاجُ السَّرِّ بِأَنَّ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ تَنْفِيذُ أَوْامِرِ  
الْأَسِيَادِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُشَارِكَهُ الْفِعْلِ،  
لَكِنَّهُ أَبَى.

خَيْرَهُ تَاجُ السَّرِّ بَيْنَ اغْتِصَابِ الْأَطْفَالِ  
جَنْسِيًّا، وَبَيْنَ قَبُولِهِ بِمُضْجَاعَةِ أَحَدِ  
الرِّجَالِ لَهُ!

رَفَضَ هَذَا وَذَاكَ وَخَرَجَ مِنَ الدَّارِ كُلَّهَا،  
قَاصِدًا الصَّحْرَاءِ.

ابْتَعَدَ عَنْ سَاحَةِ تَاجِ السَّرِّ، بَعْدَمَا شَاهَدَ  
وَرَأَى بِأَمْ عَيْنِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَخْطُرْ لَهُ بِبَالِ.

سَارَ حَتَّى وَصَلَ لِكَوْخٍ مُتوسِطٍ، اقْتَرَبَ  
مِنْهُ، أَلْقَى السَّلَامَ فِرَدًا عَلَيْهِ شِيخٌ عِجُوزٌ،

قَدْمَ لِهُ قَدْحًا مِنَ الْمَاءِ، وَهُوَ مُلْثُمُ الْوِجْهِ  
عَدَا الْعَيْنَانِ.

فَصَّ عَلَيْهِ عَابِدِينَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ تَاجِ  
السَّرِّ، فَتَفَاجَأَ بِهِ يَقُولُ لَهُ: الْعَارِفُ بِاللهِ  
تَاجُ السَّرِّ لَا يَفْعُلُ الْقَبَائِحَ، وَلَا يَقْعُدُ فِي  
الْكَبَائِرِ وَلَا الصَّغَائِرَ، فَهُوَ الْمَوْكِلُ بِإِنْقَادِ  
الْأَرْضِ مِنَ الْمَخَاطِرِ.

لَا يَفْعُلُ شَيْئًا إِلَّا وَكَانَ خَيْرًا لِمَنْ فَعَلَ بِهِ،  
أَوْ أَمْرٌ تَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ، لَا يَأْتِمُرُ  
بِأَوْامِرِ بَشَرٍ، بَلْ بِأَوْامِرِ الْأَسِيَادِ.

عَابِدِينَ: وَمَا الْفَائِدَةُ مِنَ الزِّنَا بِالنِّسَاءِ؟  
بَلْ مَا الْفَائِدَةُ مِنْ اِغْتِصَابِ الْأَطْفَالِ  
وَمُضَاجِعَةِ الذُّكُورِ؟

نَظَرَ إِلَيْهِ العَجُوزُ، وَقَالَ: تَجْرِعْ مَا بِيْدُكَ  
مِنْ مَاءٍ وَسَأْجِيبُ عَلَى أَسْئَلَتِكَ.

تجرعَ عابدين وما أَنْ فَعَلَ حَتَّى غَابَ عن  
الوعي، كَشَفَ الْمُلْثُمَ عن وجهِهِ فَإِذْ بِهِ  
(فضل الله)، أَحَدُ خُدَّامِ تاجِ السرّ، أَرْسَلَهُ  
إِلَى الْكَوْخِ حِينَ عَلِمَ بِوجْهَةِ عابدين لِيأْتِهِ  
بِهِ.

عَادَ فَضْلُ الله حَامِلًا عابدين بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ،  
وَضَعُهُ أَمَامَ تاجِ السرّ، وَغَادَرَ بَعْدَ أَنْ  
أَخْذَ الإِذْنَ.

أَمْسَكَ تاجَ السرّ بِذِمَّةِ الغَرَزَالِ (المسك)  
الْأَسْوَدِ)، وَقَرْبَهُ مِنْ أَنْفِ عابدين، فَعَادَ  
لَهُ وَعِيهُ عَلَى الفور.

فَتَحَ عَيْنِيهِ وَمَا أَنْ رَأَى تاجَ السرّ، حَتَّى  
انْكَبَّ عَلَيْهِ مُقْبَلًا قَدْمِيهِ، باكِيًّا راجِيًّا  
الغَفْرَانَ.

ساعده تاج السر على النهوض، ثم قال  
بنبره مطمئنة: قد غرفت لك بنيّ.

كان تاج السر قد استعان بساحر ماهرٍ  
من سحرة الجن، ليصنع لعابدين سحراً  
بالطاعةوها قد كان!

فما تجرعه عابدين لم يكن ماءً، بل كان  
سحراً أفقد إنسانيته وسلبه دينه فيما  
بعد.

## الفصل الخامس والعشرون

تدهورت حال زينب، وضعف قوتها،  
بعدما أُمِرَّ بها السحر.

كانت تخشى الأيام التي تحياها؛ لما  
ترأه في منامها من مفزعاتِ الأحلام  
والكوابيس.

لم يُسْتطع أبناء إبليس السيطرة عليها  
في أيامها العاديّة، فكانوا يتربصون بها  
أثناء حيضها، فيُفزعونها حتى تصابوها  
بضعفِ القلب!

كانت كُلّما اقترب موعد حيضها انقضت  
قلبيها؛ لا تُحدّث بما تراهُ كي لا تُفرز  
أحداً، يكفي ما يحدُث لها من فزعٍ لا  
يُمكن لها أن تنساه.

ثلاثة أيام هي مدة حيضها، لكنَّ ما  
يحدث فيها من أحوال جعلتها كثلاثمائةِ  
يوم!

كانت ترى أحد العجائز يطاردها، محاولاً  
تقبّلها، وآخر يريد أن يحتضنها، فتبكي  
وتصرخ وتهرع في الطرقات.

رأَتْ أَيْضًا أَحَدَ الرِّجَالِ يَقْتَرُبُ مِنْهَا، وَقَبْلَ أَنْ يَقْعُ عَلَيْهَا اسْتَيْقَظَتْ وَهِيَ تَصْرُخُ بِكُلِّ قَوَاهَا: لَا لَا لَا لَا لَا

**بالإضافةِ لِكَ وابيس تقطيع اللّهِ وَمِنْ  
البشرية عيًاناً بياناً، والقتل والكثير  
الكثير من الدّماء.**

صار حِيْضُهَا شَوْئِمًا عَلَيْهَا، تَمَنَّتْ لَوْلَمْ  
تَحْضِنْ!

خافت زينب التي لم تخف شيئاً يوماً ما،  
خافت الصغيرة الطاهرة، خافت وما  
الخوف إلا سلاح من لا سلاح له!

سلاح يرفض به ما ينافي مبادئه وقيمته،  
وما أُسس عليه.

ورغم ما يحدث لها إلا أنها لم ترك  
قرآنها يوماً، حتى اتصل والدها وقال لها  
ذات يوم: زينب ألم تصومي الاثنين  
والخميس من كل أسبوع؟

قالت: بلى.

قال: ألم تصومي الأيام القمرية؟

قالت: بلى.

قال: ألم تلتزمي بتلاوة وردي من القرآنِ  
الكريم يومياً؟

قالت: بلـ.

قال لها: إذاً أين ربـي مـا أنت فيه؟

لم لا يدفع عنـك ما تلاقيـه؟

لماذا لم ينفعـك قرآنـك الذي تحـبـيه؟

أغلـقـ الهاتف وتركـها والحزـن يتـخلـقـ  
قلـبـها، وكـأنـه قد حـالـ بينـها وبينـها!

ترـكـتـ ورـدـها مـا منـ القرآنـ الـكـرـيمـ، كـمـا  
ترـكـتـ الصـلـاةـ، وـسـلـبـتـ الـأـمـلـ، فـقـطـ

تسـاءـلـ: أبي مـعـهـ حقـ، لماذا يا ربـ؟؟؟

لم لا تـدفعـ عنـيـ ما أـلاـقيـهـ؟

لـماـذاـ لاـ تـرحمـنيـ مـاـ أـنـاـ فـيـهـ؟

أـناـ حـزـينـةـ يـاـ ربـ، حـزـينـةـ لـأـنـيـ أـحـبـكـ  
وـأـنـتـ لـاـ تـحـبـنـيـ!

ظَّلَّتْ هَذَا الْشَّهْرِ كَامِلٌ حَتَّى حَاضَتْ،  
وَبَعْدَهَا عَادَتْ إِلَى صَلَاتِهَا وَقُرْآنِهَا،  
عَادَتْ مِنْ طَرِيقِ نِهايَتِهِ مُظْلَمَةً، فُرِضَ  
عَلَيْهَا بَسْرَحِ الْهَاتِفِ.

تَأْكِيدَ لَهَا أَنَّ مَا أَصَابَهَا كَانَ سَحْرًا،  
أَصَابَهَا بِعِلْمِ اللَّهِ، وَلَوْلَمْ يَأْذِنْ لَهُ الرَّحْمَنُ  
لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا؛ إِذَا السَّاحِرُ يَنْفَثُ فِي  
الْعُقْدِ ثُمَّ يَأْمُرُ الْخَادِمَ الْمُوكَلَ بِحَفْظِ  
السَّحْرِ، فَإِنْ لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ مَا اسْتَطَاعَ  
الْوَصُولُ إِلَى الْمَسْحُورِ.

قَالَ تَعَالَى بَعْدَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:  
"وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ  
اللَّهِ".

عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ أَحَبَّهَا فَمِيزَهَا بِالْبَلَاءِ،  
فَوَضَتْ أَمْرَهَا إِلَيْهِ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ،  
وَاسْتَعَادَتْ جُزِئًا مِنْ طَاقَتِهَا.

تَسْلَحْتُ بِالْدُّعَاءِ وَلَنَعْمَ السَّلَاحُ هُوَ!

كَانَتْ تَدْعُ اللَّهَ دَوْمًا أَنْ يُظْهِرَ لَهَا حَقِيقَةَ  
مَنْ أَذَاهَا، وَمَنْ مَكَرَ بِهَا، دَعَتْ رَبَّهَا  
وَهِيَ مُوقْنَةٌ بِأَنَّهُ لَنْ يَخْذُلَهَا.

فِي إِحْدَى الْلَّيَالِي شَاهَدَتْ فِي مَنَامِهَا، أَنَّ  
شَارِعَهُمْ مُظْلَمٌ ظَلَامٌ دَامِسٌ، لَكِنَّ بَيْتَهُمْ  
يَخْرُجُ مِنْهُ نُورٌ؛ نَتْيَاجَةً تَلاوِتَهَا لِلْقُرْآنِ  
الْكَرِيمِ.

خَرَجَتْ لِتُتَبَرَّ الشَّارِعَ الْمُظْلَمِ، فَوَصَّلتْ  
لِأَوْلَاهِ فَأَضَاءَتْ بِهِ السُّرُجَ، وَعَادَتْ لِآخِرِهِ  
فَأَضَاءَتْهُ هُوَ أَيْضًا، وَمَا أَنْ فَعَلَتْ حَتَّى  
انْطَفَأْ نُورُ أَوْلَاهِ!

أسرعت إلَيْهِ فأضاءتُهُ فانطفأ نور آخره،  
وهكذا كُلّما أضاءتُ أُولَهُ انطفأ آخره  
والعكس بالعكس.

علِمْتُ أنَّ أبناء إبليس يتربصون بها في  
غير موعد الحِيْض، بسملت وشرعت في  
قراءة آيَة الكرسي، وفجأة ظهر لها  
ذئبان لم تر مثلهما قط، عظيمًا الحجم  
والبنيَّة، أنيا بهما عاجيَّة هائلة، يقفان  
على رجلين، طولهما قد تخطى المترین.

هبطا أمامها فخلع قلبهَا من صدرها،  
وتوقف لسانها عن قراءة آيَة الكرسي،  
ثم غادرا.

في تلك الأثناء سمعت هاتفًا يبلغها بأنَّ  
أباها هو من أرسَلَ لها الذئبان، وهما  
ماردين من مردَّة الجن!

## الفصل السادس والعشرون

استيقظت فزعة، مذعورة تتسبّب عرقاً،  
استعاذه بالله ونهضت لتتوضاً قبل أذان  
الفجر، ولا زالت تشعر بآلام قد ألمَ  
بنياطها.

شعرت بالذعر مما شاهدته، لكنَّ الذي  
أوجعها أكثر هو ذكر اسم أباها، لم  
 تستوعب، بل لم ولن تصدق ما قيلَ فيه.

دعت ربها أن يُظهر لها الحق ويرزقها  
إتباعه، وكثفت من تلاوتها للقرآنِ  
الكريم، فكانت تختمه كُلَّ خمسة أيام،  
بالإضافة لتعمقها في فهم تفسير الإمام  
الطبرى، والسيرة النبوية وعلم الحديث.

أرَادَ اللَّهُ بِهَا خَيْرًا فَفَقَهَهَا فِي الدِّينِ؛ إِذْ  
أَعَانَهَا عَلَى تَحْوِيلِ سَجْنِهَا لِرَوْضَةٍ مِّنْ  
رِّيَاضِ الْعِلْمِ، فَلَمْ تُضْيِعْ وَقْتَهَا فِي الْحُزْنِ  
عَلَى مَا كَانَ، وَلَا إِلَاتِفَاتَ لِلْوَرَاءِ، فَهِيَ  
الْوَاثِقَةُ بِأَنَّ مُرَادَ اللَّهِ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّ  
وَضْعَهَا هُوَ بِالضَّبْطِ الْمَكَانُ الَّذِي أَرَادَهُ  
اللَّهُ لَهَا.

ظَلَّتْ تَجْتَهَدُ وَتَجْتَهَدُ، رَغْمَ ثَقْلِ الْبَلَاءِ  
وَمَرَارَةِ الصَّبْرِ؛ حَاوَلَ أَبْنَاءَ إِبْلِيسَ قَتْلَهَا  
أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ لَكِنَّ اللَّهَ قَدْ نَجَّاهَا، نَجَّاهَا  
وَكَذَلِكَ يُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ.

تَحُوَّلَ مِنَاهَا إِلَى حَرْبٍ ضَرُورِسٍ لَا يَعْلَمُ  
بِهَا إِلَّا عَلَامُ الْغَيْوَبِ؛ إِذْ كَانَتْ تَرَى  
إِبْلِيسَ رَأْيَ الْعَيْنِ، غَيْرَ أَنَّهُ يَأْتِيهَا

بصورةِ رجٍلٍ وسَيِّمٍ، يُحارِبُهَا تارةٌ  
ويسْمِتُ بها تارةً أُخْرَى.

شَاهِدَتْهُ فِي إِحْدَى أَحْلَامِهَا الْمُفْزَعَةُ، كَانَ  
مُجْتَمِعًا بِزَمِيلَاتِهَا وَصَاحِبَاتِهَا بِدُورَةِ مِيَاهٍ  
هَائِلَةٍ، جَمِيلَةٍ وَبِرَّاقَةٍ.

اقْتَرَبَتْ فِرَأْتُهُ يُخْطِبُ فِيهِنَّ بِقُولِهِ: لَقَدْ  
كَفَرَ سُلَيْمَانُ!

غَضِبَتْ غَضَبًا شَدِيدًا وَعَلِمَتْ أَنَّهُ إِبْلِيسُ  
اللَّعِينِ، نَظَرَتْ إِلَيْهِنَّ فِرَأَتْهُنَّ يُنْصَتِنَ لَهُ  
وَكَانَ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الطَّيْرُ!

اقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ بِقُوَّةِ يَقِينٍ: كَذَبْتَ يَا  
لَعِينِ، وَأَخَذْتَ تَتَّلُو بِصَوْتٍ خَاشِعٍ  
وَمُزْلِزلٍ، قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ  
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ "وَاتَّبِعُوا مَا تَتَّلُو أَ الشَّيْءَ اطِّينُ عَلَى

مُلْكٌ لِّي سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ  
 الشَّيْءَ طِينٌ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسَ السِّخْرَ  
 وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَ يُنْ بِبَابِلَ هَرُوتَ  
 وَمَرُوتَ وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا  
 إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا  
 مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا  
 هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ  
 عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
 خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ  
 كَانُوا يَعْلَمُونَ ١٠٢ (سورة البقرة).

أنهت الآية فتزحل المكان من حولها،  
 واختفى إبليس بعد ما رأث ناراً عظيمة،  
 تلتهم المكان عدا موضع قدمها، وفي  
 لمح البصر تبدلت الأرض فكانت تقف

وَسْطَ حَدِيقَةٍ غَنِيَّاءَ خَضْرَاءَ، نَظَرَتْ فَلَمْ  
يَصُلْ نَظَرُهَا إِلَى آخِرِهَا، شَعُرَتْ وَكَانَ  
الْأَنْيَا كُلُّهَا صَارَتْ حَدِيقَةً!

سُرِّتْ بِمَا رَأَتْ؛ إِذْ نَصَرَهَا اللَّهُ عَلَى  
عَدُوِّهَا، وَقَرَرَتْ أَلَا تَهْسَلْنَ فِي طَاعَةِ  
رَبِّهَا مَهْمَا حَدَثَ لَهَا.

تَفَاءَلَتْ الصَّغِيرَةُ، وَنَالَتْ أَجْرَ الْفَلَّ،  
لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا يُخْفِيهِ لَهَا الْقَدْرُ!

## الفصل السابع والعشرون

قد مات بعض خدام السحر نتيجة التزام زينب الطاعنة، لم يس تطيعوا التكيف فمنهم من فر هارباً ومنهم من احترق.

تضَّجَّر اللاشيء مما حَدَثَ، وقام باستدعاء أمهِر السَّحْرَة لدِيهِ، ثُمَّ أمرَهُ بعقد السَّحْر الأسود لزينب، ليكون بمثابة ضربة قاضية بالنسبة لها.

بعدما انتهى الساحر، أمرَهُ اللاشيء بـ دفن السَّحْر بقاع المُحيط؛ كي لا يتمكن أحد من فكه فيما بعد، وشدَّ عليهِ ألا يُحدَّث بالخبر أمام أحد وخاصة عابدين، حتى لا يُحاول إخراجه.

دقائق معدوداتٍ وكانت زينب قد دخلت مرحلة جديدة من مراحل البلاء، مرحلة السحر الأسود ومحاولة تصفيتها.

خارت قواها من جديد، ضعفت طاقتها، شعرت بشيءٍ غريبٍ يسكن معدتها، بل ويدمر جهازها الهضمي تدريًّا، لكنَّ الطب قد قال كلمتهُ بأنَّها صحيحة لا علة بها.

جاءها إيليس في منامها ليشمت بها، وهي في أشدّ مراحل حياتها ضعفًا، فقال لها: أنتِ ضعيفة الآن يا زينب، ولن تستطعي المقاومة، سأخسفُ بكِ الأرض، وضحك.

نظرت إليهِ والدموع يتتساقط من عينيها، لا تقوى على الحركة أو المقاومة،

جسدها يتوجع وقلبه أيتام، لكنَّ روحها  
تابى للإسلام.

انطفأت الأنوار من حولها، ساد الظلم،  
حتى أنها إذا أخرجت يدها لم تَكُنْ تراها!  
أغمضت عينيها كي لا تتأثر بمحيطها،  
ثمَّ بسملت بعد الاستعاذه وأخذت تتلو آية  
الكرسي، فعاد النور واختفى المذعور.

عانت كثيراً جداً، لكنَّ الذي خفَّ عليها  
المعاناة، رؤيتها لرسول الله \_صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت تراه حينما يشتَدُّ  
عليها البلاء، يدعو لها تارة ويُبشرها  
تارة أخرى.

كانت رؤياه \_صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
بمثابة تجديد لطاقتها، ودعمًا لقوتها،

حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ، الَّذِي تَبَحَّث  
عَنْهُ.

شَاهِدَتْ سَاحَةً كَبِيرَةً مُلْيَّةً بِرِجَالٍ  
يَرْتَدُونَ زِيَّاً بَعِيزِيهِ، وَيَتَحَدَّثُونَ فِي  
مُكَبِّرَاتٍ لِلصَّوْتِ عَنِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ  
عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَعَنْ آلِ بَيْتِ رَسُولِنَا  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اقْتَرَبَتْ فَإِذْ بِهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ مُبْتَدِعَةِ  
الصَّوْفِيَّةِ، يَتَزَعَّمُهُمْ أَحَدُ الْمُتَفَيِّهِقُونَ،  
وَفِجَاءَتْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، وَمَعْهُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

تَرَكَهَا فِي مَحَلِّهَا وَرَاحَ لِيُحَارِبُهُمْ بَعْدَمَا  
قَالَ: آلُ الْبَيْتِ بِرِيَّوْنَ مِنْكُمْ وَمِنْ  
زَعْمَكُمْ.

استيقظت زينب وهي تبكي بعدما كشف  
الله لها الحقيقة الغائبة، ورغم سعيها في  
معرفتها، إلا أنها تمنت لو لم تعرفها!

واجهت أباها بالحقيقة فلم يسعها  
الإنكار، لكنه قال لها: سامحني يا  
ابنتي، يعلم الله أنّي أحبّ أبنائي إلى  
قلبي، لذا هم يؤذونني فيكِ، يعلمون أنَّ  
ما يُصيّبكِ يفطر قلبي.

قد عقدوا سحر الكراهيّة لكرهيني،  
لكنني ويشهد الله قد ظلمت.

لم تقنع زينب بما قاله، بل وفاجأته  
بقولها: لا تتهم أعمامي ثانيةً، فحتّى  
وإن كانوا يكرهونني إلا أنَّهم مسلمون،  
لا يفعلون ما يُغضّب الرحمن، إنْ كان قد

سحرني ساحر، فأنـتـ هـذـا السـاحـر أـبـي لا  
أـحـد غـيرـكـ.

أـبـي، لـازـالـ الـبـابـ مـفـتوـحـ مـاـلـمـ تـمـتـ،  
ارـجـعـ إـلـىـ رـبـكـ.

عـابـدـيـنـ: وـهـلـ لـمـثـلـيـ تـوـبـةـ؟  
زـينـبـ: أـجـلـ، فـأـنـتـ مـعـذـورـ وـعـذـرـكـ.  
الـجـهـلـ.

عـابـدـيـنـ: لـكـنـنـيـ عـلـىـ هـذـهـ الطـرـيقـةـ قـبـلـ أـنـ  
أـتـزـوـجـ بـأـمـكـ، لـيـسـ سـهـلـاـ عـلـيـ أـنـ أـعـودـ  
مـنـ طـرـيقـ سـلـكـتـهـ فـيـ مـطـلـعـ شـبـابـيـ.

زـينـبـ: قـاـوـمـ أـبـيـ، لـاـ تـسـتـسـلـمـ.

عـابـدـيـنـ: صـدـقـيـنـيـ، قـدـ فـاتـ الـأـوـانـ.

زـينـبـ: لـمـ يـفـتـ، أـنـتـ أـبـيـ وـلـنـ أـتـرـكـ لـهـمـ.

عـابـدـيـنـ وـقـدـ تـغـيـرـ صـوـتـهـ: لـنـ تـسـتـطـيـعـيـ.

زينب: بل أستطيع، أبي عُد إلينا فنحن  
بحاجةٍ إلَيْكَ.

عابدين: أنا لستُ أباًكِ.

زينب: بل أنتَ هو مَن خلقتِي اللهُ من  
صُلْبِهِ.

عابدين صارخًا: إنَّ أباًكِ قد مات، وأنتِ  
لستِ ابنتِي ولم تُخلقِ من صُلْبِي!!!

زينب بصوتٍ قويٍّ رغم الألم الذي  
ينهش داخلها: إنْ كُنْتَ صادقًا قُلْ لي أينَ  
أبي؟ وماذا فعلتم بهِ؟

صرخَ الصوت بـكُلِّ قُواهُ: قد مات، مات!

حزنت زينب حزناً شديداً، لكنَّها لم ترك  
وردها من القرآن الكريم، بل زادت منهُ  
أكثر من ذي قبل، واستعانت بالله على

خَتَمَ الْقُرْآنَ مَرَّةً أُخْرَىٰ عَلَى الْمَاءِ وَمَن  
ثَمَّ الشَّرَابَ مِنْهُ.

عَلِمَتْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ مَيَّزَهَا بِالْبَلَاءِ، وَاخْتَارَهَا  
دُونًا عَنْ غَيْرِهَا لِخُوضِ حَرْبٍ لَا يَقْوِي  
عَلَى خُوضِهَا إِلَّا هَا، حَمَدَتْ رَبَّهَا عَلَى مَا  
أَرَادَ وَقَدْرَ، وَقَرَرَتْ أَلَا تَرَاجِعُ لِلْوَرَاءِ  
مَهْمَا حَصَلَ، بَلْ وَتَسْتَمِرْ مَهْمَا كَلَّفَهَا  
الْأَمْرُ، فَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهَا اللَّهُ أَوْ يَنْصُرُهَا  
اللَّهُ.

## الفصل الثامن والعشرون

مرّت الأيّام وقد زادت يقين زينب بربّها،  
وصارت أقوى من ذي قبل.

جلست لتنلّو وردها من القرآن الكريم في  
إحدى الصباحات، وما أن فعّلت حتّى  
شعرت بشيءٍ ينزل من أنفها، توقفت  
على الفور، وتحسّسته بيدها فإذا بها  
خيوط سوداء سواد حائل، تنزل من  
دماغها على أنفها، صرخت وبكت  
فجأة لها آمنة، لتفاجأ بما يحدُث لابنتها.

اقربت منها وأخذت تُزيل عنها الخيوط  
بمنديل مصنوعة من القماش، لكنّها لم  
 تستطع إنتهاء تلك المأساة.

أشاء ذلك رنَّ الهاتف، أسرعتُ إليه  
آمنة، رفعت السماعة فكان عابدين \_ أو  
قلْ مُنتحل شخصه، هو المُتصل.

آمنة: قد سحروا زينب بالسحر الأسود،  
والخيوط التي تنزل من دماغها على  
أنفها، هي من تأثير السحر.

آمنة بدهشة: وكيف عرفت؟

عابدين: عن طريق الكشف.

آمنة: كشف ماذا؟

عابدين: كشف الحجاب!

آمنة: إذا صدقَ مَن قالَ أنَّ العرق  
دساس.

عابدين: ماذا تقصدين؟

آمنة: زوج خالتك.

عابدين: لم يكن يعلم ما أعلمه أنا الآن،  
قد كان طيباً ولم يرق لالمكانة التي  
وصلت إليها أنا.

آمنة: من هم الذين سحروا ابنتي؟

عابدين: إخوتي وأخواتي هم من سحروا  
لها عند أحد القساوسة.

آمنة: وكيف عرفت؟

عابدين: قد كشف عنها سيدِي العارف  
بالله (تاج السر)، وقد أخبره الأسياد  
بالحقيقة.

آمنة: لله الأمر من قبل ومن بعد.

عابدين: أعطني زينب، أريد أن أتحدث  
إليها.

آمنة: لكنها لا تريد التحدث إليك.

عابدين: حاولي معها.

آمنة بصوتِ حازم: دعها وشأنها ثم  
أغلقت الهاتف.

تأكد لزينب ما كانت تخشاه؛ قد استحوذ  
الشّيطان على أبيها، فتبَسَّـ بـهـ وصارـ  
مُـتـحـكـمـاـ فـيـ جـسـدـهـ، هـيـ لاـ تـعـرـفـ أـيـنـ  
وـمـتـىـ حـدـثـ لـهـ ذـلـكـ، لـكـنـهـ هوـ يـعـلـمـ تـمـامـ  
الـعـرـفـةـ.

حاولت معه كثيراً لكنه لم يستجب لها،  
أرادت لهُ الخير، وأراد لها الفسق،  
والفجور، والعصيان؛ إذ أمرها في غير  
مرة بتركِ الحجاب، والخروج بلباسٍ  
قصير، وبشعر عاري، بالإضافة للاكتحال  
والتزين، لكنها أبت ودافعت عن مبادئها.

شاهدتُهُ في منامها، وقد عقد لها ستونَ  
سحراً بالتهيج والوقوع في الفاحشة،  
لأنَّ الله قد سألاها بسلسلٍ من حديثِ  
نزلت عليها من السماء، فأخذت تصرخ  
وتخور من فعل السحر، حتى نزفت  
أنفها، اسد تيقظت فشعرت ببابِ لِـ بينَ  
فذ ذيها، تبكيتُهُ فإذا به دم كدم رعاف،  
أوجعها قابُها، أخذت تنزف في صمتٍ  
لثلاثة أيام بل ياليهن الأربع، تضعُ من  
القماش ما يحولُ بين نزفها وبين ما  
ترتديه من لباسِ داخلي، وتصلي فرضها  
وتذكر ربها.

مررت عليها تلك الفترة كأصعب ما يكون،  
ضعف قلبها نتيجة ما فقدته من دماء،  
لأنَّها لم تنقض عهدها مع ربها.

تبرأت من أبيها أمام الله كما تبرأ أبا الأنبياء (إبراهيم) عليه السلام، من أبيه، وأخبرت أمها بالحقيقة التي كشفها الله على يديها، لم تصدقها آمنة في بداية الأمر، لكنها قد صدقتها حين رأتها تموت ببطء بفعل السحر.

سألتها عن ما إذا كان أعمامها وعماتها يذهبون إلى السحرة، فأجبتهما آمنة بأنهم وإن كانوا لا يتقون الله، إلا أنهم لم يذهبوا إلى السحرة قط؛ إذ كانوا يسعون بعابدين ليفاك لهم بعض الأسرار !!

كان أهل البلدة يتبركون بعابدين، الذي يصوم معظم الدهر، ويصلّي مئات الركعات في قيام الليل، ولا يقرب

الحرام، ويُرِّزِّينَ جِيدَه بسْبَحَةٍ قد تَعْدَتْ  
الْخَمْسَةِ آلَافَ حَبَّةً.

أولئك الأهل، هُم بعيْنِهِم مَن يُرِّجِبونَ  
بِالسَّحْرِ وَالْمُشْعُوذِينَ، بَلْ وَيَفْتَدُونَ لَهُمْ  
بِيُوتِهِمْ، وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِمِ الْإِقْامَةَ!

قد أتاهُمْ أَحَدُ الدِّجَاجِلَةِ، فَقَرَأُهُمْ  
الْكَفُوفَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا تَحْمِلُ بُطُونُ  
نِسَاءِهِمْ مِنْ أَجْنَّةٍ، فَفَرَحُوا بِهِ، وَظَنَّوْا  
أَنَّهُمْ قَدْ فُضِّلُوا عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنْ الْقُرَىِ  
بِوُجُودِهِ بَيْنِهِمْ.

أَقَامَ بِبَيْتِ أَحَدٍ كِبَارِ الْبَلْدَةِ، فَكَانَ يَتَنَوَّلُ  
أَشْهَىِ الْأَطْعَمَةِ، وَيَنَامُ عَلَىِ فِرَاشِ  
نَاعِمَةِ، وَيَجْلِسُ بَيْنَ عِلْيَةِ الْقَوْمِ، يَحْتَسِي  
الْقَهْوَةَ تَارَةً وَالْعَصَائِرَ تَارَةً أُخْرَى، وَلَا  
تَخْلُو لَهُ جَلْسَةٌ مِنْ فُسَاءٍ أَوْ ضُرَاطٍ!

يُحکی أَنَّهُ قَدْ ضرطَ أَمَامَ الْجَمْعِ كِعَادَتِهِ،  
لَكِنَّ أَحَدَ الْحَضُورِ قَدْ لَامَ عَلَيْهِ فِعْلَتِهِ،  
فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرِّجَالِ يُضْرِبُونَهُ؛ لِسُوءِ  
أَدْبَهِ مَعَ وَلِيٍّ مِّنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ،  
بَلْ وَأَمْرُوهُ بِالْإِغْتِسَالِ وَنُطْقِ الشَّهَادَتَيْنِ،  
لَأَنَّ إِنْكَارَهُ لِضُرُّاطِ الْوَلِيِّ أَمَامَ النَّاسِ قَدْ  
أَخْرَجَهُ مِنَ الدِّينِ !!!

كَانَتْ تِلْكَ الْبَلَدةُ خَصْبَةً بِجَهَنَّمِ أَهْلِهَا،  
لِزَرْعِ أَيِّ مُعْتَقَدٍ بِهَا، وَجَعَلَهَا وَجْهَةً  
لِلْمُسْتَغْلِينَ، وَالْمُتَاجِرِينَ بِدِينِ اللَّهِ.

كَانَتْ إِحْدَى الْغَجْرِيَّاتِ تَطْوِفُ عَلَيْهِمْ كُلَّ  
أَسْبَوعٍ؛ لِتُظْهِرُهُمْ مِنَ الْدِيَدانِ، الَّتِي  
تَسْكُنُ أَعْيُنَهُمْ، فَتَقَرَّأُ عَلَيْهِمْ بَعْضُ  
الْطَّلاسِمِ ثُمَّ تَأْمِرُهُمْ بِإِغْمَاضِ الْعَيْنَ،  
وَمَنْ ثُمَّ تَضَعُ يَدُهَا فِي الدُّلُو الَّذِي

تَحْمِلُهُ، لَتُخْرِجَ حَفْنَةً مِنَ الدِّيَدَانِ،  
وَتُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهَا قَدْ طَهَرْتُهُمْ وَأَعْيَنْتُهُمْ مِنَ  
الشَّيَاطِينَ الْمُتَجَسِّدةَ عَلَى هَيْئَةٍ دِيدَانٍ!

لَمْ يَكُنْ مَا حَدَثَ لِعَابِدِينَ غَرِيبًا بِالنَّسْبَةِ  
لَهُمْ، بَلْ إِنَّهُمْ قَدْ تَصَدَّوْا لِزَيْنَبِ وَأُمِّهَا  
حِينَ أَخْبَرْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بِمَا حَدَثَ  
لَأُبَيْهَا، وَطَلَبْتُ مِنْهُمْ أَنْ يُعِيْدُوهُ إِلَى  
طَرِيقِ الْحَقِّ، فَرَفَضُوا وَأَلْقَوْا عَلَيْهَا  
اللَّوْمَ.

أَنَا الْقَوِيُّ الْمُقْتَدِرُ، أَنَا الْعَظِيمُ الْمُعَظَّمُ، أَنَا  
النَّاصِرُ لِأَتَبَاعِي وَالْمَنْصُورُ عَلَى مَنْ  
عَادَنِي.

آمِرُكَ بِالْحُضُورِ، ابْنِي وَوَلَدِي الْمَغْرُورِ،  
تَعَالَى إِلَيَّ فِي الْحَالِ، فَالْأَمْرُ تَسْوِءُهُ، هُلْمُ  
إِلَيَّ يَا مَزِيونَ، الْآنِ يَا أَبْدُونَ!

## الفصل التاسع والعشرون

حضرَ عبْدُكَ الْمُطِيعُ، وابنُكَ الفَرِيدُ، هَا  
أَنَا قَدْ جَئْتُكَ مَوْلَايُ، مُرْنَي فَأَنَا رَهْنٌ  
الإِشارةِ.

رَبَّ الْلَّا شِيءٍ عَلَى كَتْفِهِ وَتَابِعٌ: هَذَا هُوَ  
الْعَشْمُ بْنُيِّ.

قَدْ قَاتَلتُ الْفَتَاهَ بَعْضًا مِنْ بَنِي عَمْوَتِكَ،  
وَأَزْعَجْتُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، فَفَرَوْا هَارِبِينَ.

قَامَ السَّاحِرُ الْمَاهِرُ بِعَقْدِ السَّحْرِ الْأَسْوَدِ  
لَهَا، أَتَعْبَهَا وَأَضْعَفَ قُوَّتَهَا فِي بَادِئِ  
الْأَمْرِ، لَكِنْ سُرْعَانٌ مَا اسْتَرْدَدَ قُوَّتَهَا،  
وَاسْتَعْادَتْ طَاقَتَهَا، وَعَادَتْ لَهَا جَمِنَا مِنْ  
جَدِيدٍ، خَصْوَصًا بَعْدَمَا كُشِفَ لَهَا السَّرُّ.

أَبَدُون بِصُوْتٍ غَاضِبٍ: وَمَنْ تَكُونْ تَلَاقِ  
الْأَدْمِيَّةَ حَتَّى تَفْعَلْ بَنَا مَا فَعَلْتَ؟

نَحْنُ أَسِيادُ الْأَرْضِ وَمُلَّاکَهَا، وَهِيَ وَبْنَى  
جَنْسُهَا قَدْ جَارَوْا عَلَيْنَا، فَلَيَتَحْمِلُوا نَتْيَاجَةَ  
فِعَالِهِمْ.

ثُمَّ تَسَاءَلَ بَعْدَ لَحْظَاتٍ: وَمَنْ الَّذِي فَضَحَ  
أَمْرَنَا لَهَا؟

كَيْفَ عَرَفْتَ السَّرَّ؟

الْلَاشِيءُ: قَدْ أَغْضَبْتُ أَخَاکَ الَّذِي تَلَّبَسَ  
بِجَسَدِ عَابِدِينَ، فَهَذَدَهَا بَعْدَمَا أَخْبَرَهَا  
بِالْحَقْيَقَةِ.

أَبَدُون: مُرْنِي يَا مُولَاي لَأَحرقَهَا حرقًا.

اللاشيء: الإذن والأمر لـ أبي ولدي، على أي  
بها فوجودها يُمثل خطراً علينا وعلى  
مُخططنا.

أبدون: أمر مولاي، سأجعلها تندم على  
ما فعلته ببني عمومتي، سأقتلها بالبطئ،  
حتى أنها ستتمنى الموت ألف مرّة  
باليوم.

أمّي ألم تسألي نفسك سؤال؟  
قالتها زينب.

آمنة: أي سؤال زينبي؟

زينب: لماذا أسكننا أبي هذا البيت، الذي  
لا يصلح للمعيشة الآدميّة ولا حتى  
الحيوانية؟

آمنة بعد بُرْهَة: لم زينبي؟

زينب: لأنّه قد عاهدَ بنو إيليس بأنْ  
يكونَ بيتهَا كالخرابة؛ كي يسهلُ عليهم  
تنفيذَ مَهمَتهم في القضاءِ علينا، وإنَّه لا  
عُذرَ له، إذ يَعْمَلُ مُنْذُ زَمِنٍ ولا يُعْطِينَا ما  
افتَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقَّ وَقَوْقَ، بل  
ويُحاربنا في ديننا.

آمنة تبكي ولا تردّ.

زينب: قد نظرتُ حولي فوجدتُ الدُّنيا  
تتغيّر ولا تثبت على حال، عدا وضعنا  
الذِّي لا يتغيّر ولا يمرُّ عليهِ الزمان،  
وكأنّنا نحيَا بحلقةٍ مفتوحةٍ بِثَقَبٍ كَبِيرٍ  
يتسعُ أكثر فأكثر ليَبتلُونَا بالنهاية!

قد طاولَ الْبُنْيَانَ مِنْ حولِنَا، وَنَحْنُ الَّذِينَ  
أَقْمَنَا بِهَذِهِ الْأَرْضِ، حِينَ كَانَتْ خَالِيَةً إِلَّا  
مِنَ النَّخِيلِ وَالشَّيَاطِينِ.

نعيش بخراصةٍ هي المكان الأنسب لمردةِ  
الجن؛ إذ لا فرقٌ بينها وبين القبور، فهُنَّا  
أمواتٌ وهُنَّاكَ أمواتٌ!

بِيْتٌ يَسْكُنُهُ الْجَانُ، وَالْحَشَرَاتُ  
وَالْزَوَاحِفُ، بَلْ هُوَ مَلْجَأُ الْفُوَيْسَقَةِ بِشَتَّى  
أَنْواعِهَا.

بِيْتٌ يُتَلَى فِيهِ كَلَامُ اللهِ، وَتُقْامُ فِيهِ  
الصَّلَوَاتُ، وَتُفْعَلُ بِهِ الطَّاعَاتُ، وَرَغْمُ  
ذَلِكَ تَشْتَعِلُ بِهِ الْهَرَائِقُ النَّفْسِيَّةُ بِفِعْلِ  
سَحْرِ بَنُو إِبْلِيسِ.

بِيْتٌ قد أَخْذَ مَنْ أَخْذَ أُمَّيِّ، وَلَا زَالَ  
طَامِعًا فِي الْمُزِيدِ.

بِيْتٌ أَقْمَنَاهُ بِإِذْنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،  
وَسَنْخُرُجُ مِنْهُ كَذَلِكَ بِإِذْنِهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى.

آمنةً بعدها تنهَّدْتُ والدموع يتتساقط من  
عينيهَا: سامحيني يَا ابْنَتِي، لَمْ أَكُنْ أَعْلَمْ  
مَا يُخْبَأُ القدر لِي وَلَكُمْ.

زِينَبْ بعدها عانقتها: عَلَى مَاذَا أَسْأَمْحَكِ  
أُمِّي وَأَنْتِ أَوْلَ مَنْ ظُلِمَ فِينَا؟!

بَلْ أَنْتِ أَوْلَ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهَا الْبَلَاءُ، لَا  
تَحْزُنْنِي، وَاحْمَدِي اللَّهَ أَنْ أَنْارَ بَصِيرَتِكِ،  
وَكَشَفَ لِكِ الْحَقِيقَةَ.

لَا جُلَانِكِ تُقْسِمِينَ بِقُوَّتِي زِينَبْ.

قَالَهَا أَبَدُونْ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَثْنَاءَ  
نُومِهَا، ثُمَّ تَسَلَّلُ لِحَلْمِهَا عَنْ طَرِيقِ  
عَقْلِهَا الْبَاطِنِ.

أَتَاهَا بِصُورَةِ كَهْلٍ وَسَيمِ، نَادَاهَا وَهِيَ  
تَسْرِيرُ بِالْطَّرِيقِ، اسْتَدَارَتْ لِتَتَظَرَّرَ إِلَيْهِ  
فَكَانَ أَمَامَهَا فِي لَمْحِ الْبَصَرِ.

يتَّنفَسُ أنفاسَهَا، ويُشَتِّمُ شَعْرَهَا الفَاحِم،  
الطَّوِيلُ الْمُسْتَرِسِلُ، فَزَعَتْ مِنْهُ وَحَوَّلَتْ  
الْهَرَبَ، لَكِنَّهُ كَانَ قَدْ أَحْكَمَ قَبْضَتَهُ عَلَيْهَا.

أَخَذَ يَنْظَرُ لِجَسْدِهَا نَظَرَاتٍ جَائِعٍ إِلَى  
الْخُبْرَزِ، انْقَبَضَ قَلْبُهَا وَسَأَلَ دَمَعَهَا،  
حاوَلَتْ الصَّرَاخَ لَكِنَّ صَوْتَهَا قَدْ تَخَلَّى  
عَنْهَا!

بَدَأَ فِي تَجْرِيدِهَا مِنْ مَلَابِسِهَا، زَادَتْ  
سُرْعَةُ نَبْضَاتِهَا، تَمَنَّتْ لَوْمَاتٍ قَبْلَ أَنْ  
يَفْعَلَ بِهَا مَا يُرِيدُ، حَاوَلَتْ وَحَوَلَتْ  
وَحَاوَلَتْ، لَكِنَّ كَيْفَ الْخَلاصُ مِنْهُ وَقَدْ  
سَيَطَرَ عَلَيْهَا؟

قاوَمَتْهُ بِقَلْبِهَا العَامِرُ بِحُبِّ خَالقِهِ  
وَمَوْلَاهُ، أَبْتَلَتْ الْخَزْوَعَ وَالْإِسْتِسْلَامَ،

**وتحولت نخوتها ودمائهما الحرة لقوّةٍ عظيمةٍ.**

اقْتَرَبَ بِشَفَّيْهِ مِنْ شَفَّيْهَا مُحَاوِلًا  
تَقْبِيَاهَا، لَكِنَّهَا قَدْ قَاتَلَتْهُ، دَعَتْ رَبَّهَا أَنْ  
يَحْفَظَهَا وَيَنْصُرَهَا، حَاوَلَ تَجْرِيَدَهَا الْكَامِلُ  
مِنْ مَلَابِسِهَا لَكِنَّهَا صَرَخَتْ بِهِ بَعْدَمَا عَادَ  
إِلَيْهَا صَوْتُهَا: خَسَتْ وَهَلَكَتْ پَا مَلْعُونٍ.

وَالَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكُمْ بِالْحَقِّ، لَا جُنَاحَ لَكُمْ  
تُقْسِمُ بِقُوَّتِي!

ضحاك أَبَدُون ضحاك سُخْرِيَّة، وتابع: ألم  
تعلمي بآنك آدميَّة؟

زينب: بلى، وهذا من فضل ربّي.

أَبَدُون: بل من سخطه يا حمقاء، فأنت ضعيفة إلى الحد الذي يجعلك تخافين مني، رغم وسامتي وتجسدي على هيئة إدمي مثلك.

زينب: أنا لا أخشى إلا الله.

أَبَدُون وهو يتجرد من ملابسه: سنرى يا جميلة جميلات من عرفتهن من الآدميات!

زينب بكل قواها، والدموع يجري بمحقليها: مدد يا رب.

قالت لها فتزلت الدنيا لها، وعلاصوت الرعد وهو يسبح بحمد ربّه، وهتف بها هاتف أنْ أقرأي سورة الضحى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْأَضْحَى (1) وَالْيَلِ إِذَا سَجَى (2) مَا  
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلِلآخرةِ خَيْرٌ  
لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ  
فَتَرْضَى (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَأَوْى (6)  
وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا  
فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا  
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ  
فَحَدَّثَ (11).

وما أنْ أتمَّت تلاوتها حتَّى حضرَ أمامها  
أحد ملوك الجنّ وأشدّهم بأساً، وهو  
الملك (أبا محرز الأحمر)، رآهُ أَبْدُون

فاختفي على الفور قبل أن يدخل في قتالٍ  
معه.

استيقظت زينب من نومها مطمئنة، لما  
حققتْهُ من نصرٍ مُبِينٍ بفضلِ ربها،  
على أَبَدُون، صلتْ فجرها بمعيّةِ أمها،  
بينما سالم وغامق قد ذهبَا لأداءِ الصلاة  
بالمسجد.

مررت الأيام وحاول عابدين الدفاع عن  
ابنته، لكن اللاشيء قد تعقبهُ وحذره،  
وأخبرهُ بأنَّ العهدَ معهم لا يُنقض إلَّا  
بخروجِ الروح.

اللاشيء: عابدين، ولدي المطیع، رغم  
كونكَ آدميَّ إلَّا أنَّكَ قد بلغت مكانة، لم  
ولن يبلغها أحدٌ من بنى مولانا المُعظم  
(إبليس).

عابدين: لكنّها ابنتي.

اللاشىء: أنتَ ميّتٌ يا عابدين، أمّا الذي  
أخاطبهُ الآن فهو ابني.

عابدين: لكنّي لا زلتُ حيًّا!

اللاشىء: هكذا تشعر، لوجودِ ابني  
بجسدي، ما أنتَ إلَّا جسد، جسد بلا  
روح، والجسد الذي يحيا بلا روحٍ لهو  
جثة محمولة، تمشي على قدمين بينما  
قد فارقتها الحياة.

عابدين: ولكنْ....

اللاشىء مقاطعاً بصوتٍ غاضبٍ: لا  
تجادلني، وتعلّم من تاج السرّ كيف تكون  
الطاعة؟

قد أمرناه البارحة باغتصاب طفلة لم تتجاوز الثامنة، ثم ذبحها على إحدى مقابر الفراعنة؛ ومن ثم فتح المقبرة وخروج الكنوز من باطن الأرض ففعل.

كما أمرناه من قبل بالزنا بحلائيل جيرانه ومريديه، و فعل أيضًا، بل إنه لم يتركهن حتى حَلَّنَ منه جمِيعًا!

عبددين: لكن مكانتي عندكم أعظم من مكانته.

اللاشيء: لأنك قد تعذيت حدودًا فاقت ما فعله مولانا المُعظم.

عبددين: كيف؟

اللاشيء: قد ولدت مُسلماً وخرجت من الإسلام، ولا أفضل عندها من فعل كهذا،

بَلْ إِنَّكَ قَدْ تَفَوَّقْتَ عَلَيْنَا نَحْنُ، وَنَحْنُ بَنُو  
إِبْلِيسِ!

لَذَا قَدْ سَخَرْنَا مَوْلَانَا الْمُعْظَمْ (إِبْلِيسِ)  
لَذَا دَمْتَكَ، وَنَهَانَا عَنِ إِزْعَاجِكَ وَعَدْمِ  
إِطَاعَةِ أَمْرِكَ، بَلْ إِنَّهُ قَدْ أَمْرَنَا بِالْحَفَاظِ  
عَلَيْكَ مِنْ أَيِّ خَطَرٍ؛ لَأَنَّنَا لَنْ نَجِدْ مِثْلَكَ  
أَبَدًا.

وَمَا نَفْعَلْهُ بِزَينَبِ مَا هُوَ إِلَّا مُحاوْلَةٌ مِنْنَا  
لِلْحَفَاظِ عَلَيْكَ مِنْهَا، فَقَدْ صَارَتْ عَدُوَّةً لَكَ  
بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهَا الْحَقُّ، نَحْنُ نَحْمِيكَ بِطُرُقٍ  
لَا تَفْهَمُهَا عَابِدِينَ.

عَابِدِينَ: لِمَ جَعَلْتَمْ وَنِي أَقْوَمْ بِتِجْرِيبَةِ كُلِّ  
مَا تَعْلَمْتَهُ عَلَى آمْنَةِ وَأَبْنَائِيِّ، وَخَصْوَصًا  
زَينَبِ، الَّتِي عَانَتْ وَلَا زَالَتْ تُعَانِي؟

اللاشىء: كي لا يفتخـر أمرك ولتعلـو  
مكانـتك، لم تـكن لـتصل إـلى ما وصلـت إـليـه  
إـلا بـما فـعلـت.

عـابـدـيـن: لـم؟

اللاشـىء: لأنـ ظـلـمـكـ لـلـغـرـيـبـ يـرـفـعـكـ  
عـنـ دـرـجـةـ، بـيـنـمـاـ ظـلـمـكـ لـمـنـ هـمـ مـنـكـ  
وـمـنـ دـمـكـ، يـرـفـعـكـ عـنـ دـنـاـ إـلـىـ مـنـزـلـةـ  
مولـانـاـ المـعـظـمـ (إـبـلـيسـ).

فـكـرـ أـبـدـونـ كـيـفـ يـنـتـقـمـ مـنـ زـينـبـ فـيـ  
الـوـاقـعـ قـبـلـ الـأـحـلـامـ، وـهـدـاهـ تـفـكـيرـهـ لأنـ  
يـتـجـسـدـ لـهـاـ عـلـىـ هـيـئـةـ شـابـ وـسـيمـ.

## الفصل الثالثون

كثُفَ مِنْ مُفْزِعَاتِ الْأَحْلَامِ وَالْكَوَابِيسِ،  
حَتَّى أَرْهَقَ قَابِهَا، وَأَصَابَهَا بِالخُوفِ مَمَّا  
تُشَاهِدُه.

صارت حبيسة الكوابيس خصوصاً أثناء حيضها، حتى أنَّ أَبَدُون قد جعلَ ينتظر فترة حيضها كُلَّ شَهْرٍ؛ كي يُعذِّبها كيفما شاء وهي لا حيلة لها ولا شفاعة.

فتارةٌ يُحاولُ الإعتداءُ عَلَيْهَا، لَكِنَّهَا تُسْتَيقظُ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ مَا لَا تُرِيدُ، وتارةٌ يُرْهِبُها عن طَرِيقِ ذبحٍ وتقطيعِ الأَجسادِ الْأَدْمِيَّةِ، وَهَذَا حَتَّى جَعَلَهَا تَكْرَهُ اللَّيْلَ وَتَخْشِيُ النَّوْمَ!

تجسد لها في صورة شابٍ وسيم، يعمل بالوحدة الصحية بالبلدة.

قد حرك السحر بمعادتها فأتعجب جهازها الهضمي، أخذتها آمنة وذهبت بها إلى الوحدة الصحية، فوجدت طبيباً وسيماً، قد جاء بدلاً من الطبيب (سعيد) تخصص باطنی عام.

سيلفيانا ، أين الطبيب سعيد؟

قالتها آمنة وهي تسند زينب.

سيلفيانا : قد تم نقله إلى الوجه البحري، تفضل، فحضررة الطبيب (علي) موجود بالداخل.

آمنة: أهو الطبيب الجديد؟

سيلفيانا : أجل خالة.

دخلت آمنة غرفة الفحص ومعها  
سيافيانا ، تساعد زينب على الوقف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قالتها آمنة.

علي: وعليكم السلام ورحمة الله  
وبركاته، أهلاً وسهلاً بك يا خالة،  
تفضلي بالجلوس.

سيافيانا : الخالة آمنة تُريد فحص ابنتها  
زينب حضرة الطبيب.

علي مُبتسماً: حسناً، تفضلي آنسة  
زينب.

زينب بهمـسٍ: أمي لن أنكشف على  
رجل.

آمنة: لا يوجد غيره بعدما أخذت الطبيبة  
مادلين إجازة.

سيلفيانا : لا تقلقي، سأقوم أنا بفحصكِ.

استلقت زينب على سرير الفحص،  
وأخذت سيلفيانا تضع سمّاعة الكشف  
على بطنهَا دون أن تكشف عنها، بينما  
الطبيب على يسمع ما تخبره بهِ  
السمّاعة دون النظر إلى زينب.

وبعد دقائق، كتب على الدواء المناسب  
لحالة زينب المرضية، وأخذ يُحدّثها بنبرةٍ  
هادئة حتى اطمأنَت.

مرّت الأيام وصار الطبيب على هو  
الوحيد العالم بحالة زينب، بل والمُعالِج  
لها، ثمَّ تقدّم لخطبتها، رفضت في بادئ

الأمر؛ لعدم استعدادها نفسياً، والخوف عميقٍ يقطن قلبها.

وافقت آمنة شريطة أن تكون الخطبة خالية من إظهار الفرح؛ احتراماً لراجية التي توفت قبل أربعة أشهر.

حاول معها على كما أمرته آمنة، لكنّها لم تستجب له، فتدخلت آمنة ونصحتها بالموافقة المبدئية؛ إذ هو عريس فريد من نوعه، وكيف لا تسرقه إداهن منها، وافقت بناءً على رغبة أمها.

لاحظت أنَّ أَبَدُون قد اختفى من أحلامها، فلم يَعُدْ يُهاجمها مرة أخرى فاستبشرت بعليٍّ خيراً.

مررت أربعة أشهر على خطبة زينب وعلي، قد جعلها اتعلق به بعدهما أظهر

لها تقوّاه وورعه، كما قدّم لها قابهُ  
كَهِيَّةٍ تَلْيُقُ بِهَا، نظير أنْ تُمْكِنَهُ مِنْ  
قابها هي الأُخرى.

مُكْنِتَهُ مِنْ قابها بعدها استشارت أمّها،  
لَكِنْ سُرْعَانَ مَا تغَيَّرَ عَلَيْهَا وَتَبَدَّلَ حَالَهُ؛  
إِذْ كَانَ يُطَالِبُهَا بِالتَّغْزِلِ بِهِ وَهِيَ الْحَيَّةُ،  
نَهَتْهُ عَنِ تَلَاقِ الْمُطَالِبَةِ لِمَا فِيهَا مِنْ  
مُخَالِفَةٍ لِلشَّرِيعَةِ الْحَنِيفِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَهِ، بَلْ  
رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، وَهُنَّا تَحْقِيقَ حَدْسِهَا،  
وَهُوَ أَنَّ أَبَدُونَ قَدْ أَرْسَلُهُ إِلَيْهَا!

لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ بِأَنَّهُ هُوَ أَبَدُونَ، لَكِنَّهَا مِنْذُ  
الْبَدَائِيَّةِ كَانَتْ قَلْقَةً بِشَأنِهِ، لَذَا كَانَ قَرَارُهَا  
بِالرَّفْضِ، لَوْلَا تَدْخُلَ أُمّهَا، خَوْفًا مِنْ  
الْتَّحْدِثَةِ عَنْهَا لِتَأْخِرُهَا فِي الزَّوْاجِ، فَقَدْ  
تَخَطَّتِ التَّلَاثُونَ بِعَامِ

يقولون بأنَّ زينب قديمة جدًا، إذ ولدت  
قبل أن تصل الكهرباء إلى البلدة، وها  
هي البلدة تضاء بالأنوار وأعمدة  
الكهرباء تزيّن الشوارع!

أتاهَا أَبَدُون بعْدَمَا كشَّفَتْ حَقِيقَتَهُ،  
لِيُخِيفَهَا أَكْثَر.

قد شاهدتهُ وهو يُمسِّك بنسخة منها،  
بعدما جرّدها من ملابسها، فقام بشقِّ  
صدرها وأخرج قلبها، قلبًا نظيفًا جميلاً،  
وأخذ يُقطّعهُ بساطورٍ حادّ.

صرخت زينب بكل قواها: قلبي ببابي!

جاءتها راجية فضررت يدَ أَبَدُون فوقَعَ  
القلب، أخذتهُ وأعطَتْهُ لزينب، وأمرتها  
أنْ تهرب به، فعلت زينب ما أمرتها به

راجيَة، وهرولَتْ وهي تحملُ قلبها بينَ  
كفيها!

هذهِ المرّة لم تستيقظ زينب كعادتها؛ إذ  
أصابها الإغماء بعد رؤيتها للكابوس،  
حاولَتْ آمنةً أنْ توقظهَا لكنَّهَا لم  
 تستجب.

أسرع سالم إلى الوحدة الصحية، لم يجد  
غير سيلفيانا فقصَّ عليها ما حَدث، فما  
كانَ منها إلَّا أنْ أخذت بعض الأدوية،  
وعادت معهُ إلى البيت.

أعطت زينب بعض مُنشطات القلب عن  
طريق الوريد، وما أنْ فعلتْ حتى عادَ  
إليها وعيها من جديد.

أراكَ قد أحببَتها بُنيّ.

قالَها اللاشىء.

أَبَدُون بِصُوتٍ حَزِينٍ: لَا، لَكِنَّ أَمْرَهَا  
عَجِيبٌ.

اللاشيه: كَيْفَ؟

أَبَدُون: هِيَ طُهْرٌ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ  
الْأَرْضِ، لَا تَتَغَيِّرُ أَوْ تَتَبَدَّلُ، بَلْ إِنَّهَا لَا  
تَسْتَجِيبُ لِلْمُلْوَثَاتِ، حَتَّى حِينَما تَجَسَّدتُ  
فِي صُورَةِ (عَلِيٍّ)، الشَّابِ الْوَسِيمِ، الَّذِي  
أَغْرِمْتُ بِهِ فَتِيَاتَ الْبَلْدَةِ، بَلْ وَرَأَوْدَنَهُ عَنْ  
نَفْسِهِ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَجْعَلَهَا تَتَسَاهَّلَ  
وَتَقْبِلَ بِمَا حُرِّمَ عَلَيْهَا.

اللاشيه: تَذَكَّرُ النَّارُ لَا تُحِبُّ الطِّينَ، لَا  
تَسْنَ هَذَا الْأَمْرُ أَبْدًا.

أَبَدُون بِصُوتٍ فَاتِرٍ: أَعْرَفُ ذَلِكَ جَيْدًا.

اللاشيه: قَدْ أَرْهَقْتَكَ تَلَاقِ الْفَتَاهَةِ، لَذَا فَإِنَّا  
أَعْفُوكَ مِنْ مَهْمَتِكَ، وَسَأَتَوَلَّ أَنَا قَتْلَاهَا.

أَبَدُون بدهشةٍ: ماذما؟؟؟؟؟

اللاشيء: كما سمعت.

أَبَدُون: أمرٌ مولاي.

مارأى مولانا المُعظّم في القضاء على  
البشرية جماعة، لا زينب وحسب؟

قالها اللاشيء.

إبليس: أُوافق، ولكنْ كيف؟

اللاشيء: سنوحى لرجالنا من الإنس  
بِمُخطط المليار الذهبي.

إبليس: ثمَّ مه؟

اللاشيء: ثُمَّ نُساعدهم على تنفيذه  
كتصنيع بعض الفيروسات القاتلة،  
والأوبئة المُعدية؛ كي نختصر وقتاً  
 وجهداً.

إبليس: رائع، ومن من أبنائي الإنسانيين  
المُكَلّف؟

اللاشيه: بنى صهيون، فشروطنا كُلّها  
تنطبق عليهم، كما أنّهم مغرورون، لذا  
سنغرّيهم بحكم الأرض كُلّها، وجعلها  
تحت سلطتهم، نظير تصريحهم  
الفيروسات القاتلة، وإباحة الشذوذ كي  
نقطع النسل البشري، وكذا الحروب  
المدمرة بين الدول، لنتغذى نحن على  
الطاقة السلبية الناتجة عنها.

إبليس بدھشة: وهل وافق المُغفلون؟

اللاشيه: أنت قلتها يا مولانا، مُغفلون،  
قد وافقوا واتفقا معنا على البدء طليعة  
عام ألفين وعشرون!

إبليس: وما الضمان الذي طلبوه منّا كي  
يضمن لهم وعدنا؟

اللاشيء ضاحكاً بسخرية: لم يطلبوا  
شيئاً يا مولانا، حتى أتّني ظنّن لهم من  
بني جنسك لا من الطين.

قهقهة إبليس وتابع: عجباً لهم، يُثقون بي  
وأنا الغادر، ويغدرون ببعضهم وهُم لأبٍ  
واحد وأمّ واحدة!!

اللاشيء: دعهم على عما هم يا مولانا،  
سيُنفذون لنا مهمنا في القضاء على  
البشر، ثمّ نقضي عليهم نحنُ لتعود  
الأرض لأصحابها الحقيقيين.

إبليس: وهو كذلك، ما دام البشر  
يتناحرُون فيما بينهم، فلنُفي أمان.

جَلَسَ أَبَدُونْ بَعِيدًا يُحْدِثُ نَفْسَهُ: يَا لَكِ  
مِنْ فَتَاهٍ قَوِيَّةٍ يَا زَيْنَب!

قَدْ هَزَمْتِ بَنْوَ إِبْلِيسَ، وَأَنْتِ الْمُضْعِيفَةُ  
ابْنَةُ الطِّينِ.

بَلْ حَتَّى لَمْ تَسْتَسْلِمِي كَيْ تُرْحَمِي مِنْ  
مُعَانِاتِكِ التِّي لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ، بَلْ قَوَمْتِ  
وَقَوَمْتِ، وَأَبَيْتِ الْخَنْوَعَ، حَقًّا إِنَّ دَمَائِكِ  
لَحُرَّةٌ!

زَيْنَبْ حَسَنَاءُ الظَّاهِرِ، طَاهِرَةُ الْبَاطِنِ،  
سِيِّدَةُ الْعَفَافِ.

آهِ لَوْ كُنْتِ جَنِيَّةً لَتَزَوَّجْتُ بِكِ عَلَى الْفَورِ،  
لَكِنْ لَا شَيْءٌ يَكْتَمِلُ، حَفْظَكِ رَبِّكِ مِنْ مَكَرِ  
الْمَاكِرِينَ.

رَبِّكِ؟

قد طابت منه زينب المدد فجاءها في  
الحال، معنى هذا أنَّ ربَّها يرعاها،  
ويُدافع عنها، بل ولم يخذلها أبداً.

هل هذه ميزة قد اختصَّها الله بها، أم أنها  
متاحة لسائر بني آدم؟

الله، لفظٌ مطمئنٌ لِقَلْبِ زينب، حتى قلبها  
لا يحمل بداخله سوى هذا الاسم.

زينب، ماذا فعلتِ بي؟

ذهبْتُ لأقتلكِ فقتلني حُبُّكِ يا ابنة الطين!

ما هذا الذي تقولهُ أَبَدُون؟

انتبه لنفسكِ، فأنتَ مخلوقٌ من النار،  
وهي مخلوقة من الطين، كما أنَّكَ كافر  
وهي مُسلمة.

وبعد دقائق قال: الإسلام، أود التعرف  
على هذا الدين.

فَكَرِّ فِيمَا مَنْ يُعِينُهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، دُونَ  
أَنْ يَعْلَمْ بِهِ الْلَاشِيَءُ، فَكَانَ النَّفَرُ الَّذِينَ  
اسْتَمْعُوا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ثُمَّ أَسْلَمُوا.

ذَهَبَ إِلَيْهِمْ سَرَّاً، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُعْلَمُوْهُ  
مَا عَلِمُوهُمْ إِيَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، فَفَعَلُوا، وَأَسْلَمُوا بَدْءًُونَ بَعْدَ بَضْعَةِ  
أَشْهُرٍ.

توقفَ الرَّوَايَ وَأَخْذَ يَبْكِي حَتَّى ابْتَلَّتْ  
لُحَافَهُ.

اقْتَرَبَ مِنْهُ أَحَدُ الصَّبِيَّةِ، فَرَبَّتْ عَلَى كَتْفَهِ  
بَحْنَانٍ بَالِغٍ، وَتَابِعٌ: عَلَامُ البُكَاءِ مُولَانَا؟

الراوي بصوٍتٍ يقطعهُ البُكاء: على الظُلم  
بُنْيٍّ، أشَدُّ مَا يَكُونُ الْبَلَاءُ حِينَ يُبَتَّلِي  
المرءُ فِي دِينِهِ.

أحد الصبية: ماذا حَدَثَ لِأَبَدُون؟

الراوي بعدهما كفَفَ دمَعَهُ: قَدْ عَلِمَ أَبَاهُ  
بِإِسْلَامِهِ فَقْتَلَهُ، وَمَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ.

أمَّا زينب فَقَدْ زادَ بُلَوْهَا بَعْدَ مَوْتِ  
أَبَدُونَ، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَسِلِمْ لِهِمْ، وَظَلَّتْ  
تُقاومُ حَتَّى وَقَفَتْ أَمَامَ القاضِي بِإِحْدَى  
الْمَحاَكِمِ؛ تُطَالِبُ بِالْقَصَاصِ مِنْ وَالدَّهَا،  
الَّذِي خَانَ الْأَمَانَةَ فَدَمَرَ مُسْتَقْبَلَهَا،  
وَحرَمَهَا حَقُّهَا فِي الْحَيَاةِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهَا  
مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ الزَّوْجِ، كَمَا سَلَبَهَا  
أَمَانَهَا، وَتَسَبَّبَ فِي خُوفِهَا وَذُعرِهَا، بَلْ  
وَعَادَاهَا فِي دِينِهَا.

ذرفت عيني القاضي، ورق لها أقلبها،  
لأنّه لم يأمر بالقبض على عابدين؛ لعدم  
كفاية الأدلة!

زينب: سيدى القاضي، يعلم الله أنّ  
موقفي هذا ثقيل على قلبي ثقل الجبال،  
لأنّه الحق اسم الله، أمرنا بالسعى  
والمطالبة برد الحقوق لأهلها، وأنا أهلها  
سيدى القاضي.

قد أعطاني الله لأبى كامانة سيسأل عنها  
أمامه سبحانه وتعالى، لأنّه وللأسف  
الشديد قد خان الأمانة، حين عاداها في  
دينهما، وبدلًا من أن يكون هو العون  
والسند، كان هو المعول الذي هدم بنائي  
النفسي قبل الجسدي!

سَيِّدِي الْقَاضِيِّ، أَحِيَا طِبَّاً لَهُ عُمْرِي  
بِشَعُورِ الْيُتُّمِ، لَذَا أَطَالُبُكُمْ بِالقصاصِ مِنْهُ،  
قَدْ ظَلَمْنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ يَا سَيِّدِي، حَتَّى  
جَسَدِي قَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ أَحَدُ خَدَّامِهِ مِنْ  
مَرْدَةِ الْجَنِّ، فَأَكَلُوا لَحْمِي وَشَرَبُوا دَمِي.

ذَابَ لَحْمِي أَمَامَ عَيْنِي سَيِّدِي، قَتَلَنِي  
بِبَطْءٍ دُونَ جَنَاحِيِّ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ  
حَقِيقَتَهُ عَلَى يَدِيِّ.

مَدَتْ إِلَيْهِ يَدِي بِالْخَيْرِ، فَقَطَعَهَا بِسَيفِ  
الْغَرْ.

سَيِّدِي الْقَاضِيِّ، اقْتَصَ لِي مِنْهُ؛ كَيْ أَحِيَا  
كُلَّ أَئِرِ البَشَرِ، اقْتَصَ لِي مِنْهُ، لِيَطْمَئِنَّ  
قَلْبِيِّ، وَيَرْتَاحَ عَقْلِيِّ، وَتَهَدَّأْ نَفْسِيِّ،  
وَتَسْكُنَ رُوحِيِّ.

قد سرق صحتي وبعض عمرِي سيدِي  
القاضي، قد سرق بسمتي وسعادتي،  
وكاد أن يسرق ديني لكنَّ الله سلم.

وهل رد لها القاضي حقها؟  
قالها أحد الصبية.

الراوي مبتسماً: لا، لكنَّ الله قد عوضها  
خيراً، حين رزقها بزوجٍ تتكأ عليه، كان  
لها بمثابة الجبر عن كُلّ شيءٍ انكسر  
بقلبها.

أحد الصبية: وكيف عرفت يا مولانا هذه  
الرواية؟

ولماذا عنونتها لنا بمعد أبدون؟؟!  
الراوي بنبرةٍ هادئة: عرفتها لأنَّ بطالتها  
تكون أمي!

فَأَنَا يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبْنَةِ  
مُحَمَّدٍ، وَابْنُ زَيْنَبِ بْنَةِ آمِنَةِ بْنَةِ  
الشِّيخِ زَكْرِيَاً أَبْنَى الْعُمْدَةِ، ابْنَةِ رَاجِيَةٍ.

أَمَّا عَنْ تَسْمِيَتِ لَهَا بِمَعْبُودٍ أَبَدُونَ، فَقَدْ  
شَعِرْتُ بِأَنَّ هَذَا الْغُنْوَانَ هُوَ الْأَقْرَبُ  
لِلْمُحْتَوِيِّ، وَلِتَكُنْ بِمَثَابَةِ رِسَالَةِ كُلِّ مَنْ  
تُسْأَلُ لَهُ نَفْسُهُ السِّيرُ فِي طَرِيقِ الضَّلَالِ،  
وَالْبُعْدُ عَنِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أَحَدُ الصَّبِيَّةِ: مَاذَا حَدَثَ لِعَابِدِينَ؟

الراوي: اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَعْلَمُ وَلَدِي، لَكُنَّهُ قَدْ  
اخْتَفَى وَاخْتَفَتْ مَعْنَاهُ مُعَايَةُ زَيْنَبَ، أَهُمْ  
قُتْلُوهُ، أَمْ أَنَّهُ قَدْ تَبَخَّرَ حِينَ كُشِّفَ أَمْرُهُ؟

اللَّهُ أَعْلَمُ، لَكُنَّ الْحَقِيقَةُ أَنَّ أَمْثَالَ عَابِدِينَ  
يَخْشَوْنَ الضَّوْءَ؛ إِذْ هُمْ كَالْخُفَافِ يَقْبَلُونَ

يَرُونَ إِلَّا فِي الظُّلْمَاءِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَتِ الْحَقِيقَةُ،  
أَعْمَاهُمْ ضُوءُهَا الْوَهَاجُ.

وَهَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى دُرُبِ أُمِّي (زَيْنُبْ)  
رَحِمَهَا اللَّهُ، لَذَا قَدْ قَمَتْ بِفَتْحِ الْمَسْجِدِ  
رَغْمَ قَرْارِ الْأَوْقَافِ بِإِغْلَاقِهِ؛ مَنْعَلًا لِإِنْتَشَارِ  
عَدُوِّي فِيروسِ كُورُونَا.

أَحَدُ الصَّبِيَّةِ: مَا الَّذِي دَفَعَكَ لِفَعْلِ هَذَا يَا  
مَوْلَانَا؟

الراوي: لأنَّ المساجد هي بيوت الله في  
الأرض، كما أنها مصادر مُتجددة للتفاؤل  
والأمل، فلَمَّا نَقَومَ بِإِغْلَاقِهَا نُعْطِي فرصةً  
لِلشَّيْطَانِ بِتَقْوِيَّةِ طَاقَتِهِ السَّابِيَّةِ، وَمَنْ ثُمَّ  
هَزَّيْمَتْنَا.

لَا تَحْزِنُوا يَا أَبْنَائِي، غَدًا أَلْقَاكُمْ وَأَرُوِي  
لَكُمْ رِوَايَةً أُخْرَى.

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ.

مریم تورکان